بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الكتاب والسنة

شعبة التفسير وعلوم القرآن

التناسق الموضوعي في سورة النحل

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب:

ماجد بن عبدالعزيز بن سعيد الحارثي

الرقم الجامعي (٤٣١٧٧٠٠٩)

إشراف فضيلة الشيخ:

أ . د/ أمين محمد عطية باشا

الأستاذ بقسم الكتاب والسنة

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

مُلخّص الرسالة

بعنوان: التناسق الموضوعي في سورة النحل.

تتكوَّن الرسالة من مقدمة، وتمهيد، وبابين، وخاتمة، وفهارس.

وفي المقدمة: أهداف البحث، وبيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

وأما التمهيد: ففيه تعريف التناسق الموضوعي في السورة لغة واصطلاحًا.

وأما الباب الأول: ففيه مقدمات تعريفية، ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: اسم السورة وما اشتهر لها من أسماء، وما ورد في فضلها، وعدد آياتها، وتاريخ نزولها.

الفصل الثاني: مكي السورة ومدنيها، ومناسبتها لما قبلها وما بعدها.

الفصل الثالث: أسباب نزول السورة، ومقاصدها، وأهدافها.

وأما الباب الثاني: ففيه مناسبات موضوعات سورة النحل .

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: مناسبات اسم السورة لموضوعاتها، ومناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها كذلك.

الفصل الثاني: موضوعات السورة الكريمة وتناسقها، ويشتمل على أربعة مباحث: المبحث الأول: المقدمة: التوحيد ودلائله، والمبحث الثاني: بيان وتبيان لبعض ما في الكتاب الحكيم من الآداب، والمبحث الثالث: كفران النعمة، والمبحث الرابع: طريقة الدعوة إلى التوحيد.

الفصل الثالث: تفسير آيات السورة في ضوء تناسقها الموضوعي، ويشتمل على تسعة عشر موضوعًا.

وأخيرًا، خُتم البحث بخاتمة، وفهارس فنية كاشفة عن مضامين الرسالة. وقد توصَّلت الدراسة إلى أن سورة النحل مترابطة متناسقة في آياتها، وإن تعددت موضوعاتها، فهي تسير سيرًا متناسقًا مترابطًا؛ بل إن الآية الواحدة إذا قُرئت سواء كانت في بداية السورة، أو في منتصفها، أو حتى في آخرها؛ فإنها تُعطي موضوعًا متكاملًا قائمًا بذاته، وهذا من إعجاز القرآن الكريم، حيث نلمس في الآية الواحدة الترابط الوثيق بين جملها، كما نلاحظ التناغم والتناسق في أجمل صوره. وخلصت الدراسة أيضًا إلى أن كلَّ تكرار في القرآن له مغزى وهدف، وأن السياق يناسب ذكر هذا الموضوع مرات ومرات، وربما تكرّرت الآية، ولكنها تكون في سياق آخر غير الذي طُرق من قبل. وخلصت الدراسة كذلك إلى أن سورة النحل وإن تعددت موضوعاتها، فلها موضوع واحد تتمحور عليه السورة، ألا وهو التوحيد ودلائله.

** والحمد لله من قبل ومن بعد **

ماجد بن عبدالعزيز بن سعيد الحارثي

Message Digest

.Entitled: thematic consistency in Surat bees

The message consists of an introduction, preface, and door, and a .conclusion, and indexes

At the forefront: the objectives of the research, and the statement of the importance of the subject, and the reasons for his choice, and .previous studies, and research plan

The boot: provides an objective definition of consistency in Sura .language and idiomatically, and the definition of the compound

The first section: tariff is subject to the introductions, and contains :three chapters

Chapter I: The name of the Sura and famous names, and and buttock .j virtue, and the number of verses, and descent

Chapter II: Makki Surah and Mdnyha, and suitability for the before .and after

Chapter III: the reasons for the descent of the Sura, and its purposes .and objectives

And Part II: is subject to substantive consistency in Surat Al-Nahl: An Empirical Study

:Topics Sura precious and consistency, and contains three chapters

Chapter One: Name occasions Sura subjects, suitable light Sura .subjects as well

Chapter II: Topics Sura precious and consistency, and includes four sections: Section I / Introduction: unification and no proof or evidence, and the second section / statement and show some of what in the Book of Wisdom, and the third section / be rejected grace, and .fourth section :/ way calling to unification

Chapter III: interpretation of Sura verses in the light of thematic .consistency, and includes twenty-four subject

Finally concluded Find a conclusion, and indexes art revealing the contents of the letter, has concluded that Al bees interconnected consistent in their mandates and varied themes are proceeding consistent coherent; but that verse per if read, whether at the beginning of the sura, or in the middle, or even in the recently I find that it gives a subject integrated freestanding, and this miracle Quran verse per touch close interrelationship between Jmlha, luck harmony and consistency in the most beautiful pictures, and concluded that the frequency with which spoke of people, past and present between and leprosy, that each iteration meaningful The goal, and that context fits mentioned the subject again and again, and probably repeated verse, but in the other subject is that ways before, and also concluded that although it had varied subjects it may one theme centered upon Sura, and the subject of Sura prominent uniformity Majed ** Thankfully before and after **and no proof or evidence bin Abdulaziz bin Saeed Al-HHarthy

المقدمة

الحمد لله الذي كان بعباده خبيرًا بصيرًا، وتبارك الذي نزَّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، وصلِّ الله على من أرسلته هاديًّا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فإن أولى ما يتنافس فيه المتنافسون، ويشتغل به المشتغلون، هو كتاب الله ﷻ، تعلمًا وتعليمًا؛ إذ هو المعجزة الباهرة، والحجة القاهرة، لا تنتهي عجائبه، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخلق على كثرة الردِّ، وما يزال العلماء في كل عصرٍ ومصر ينهلون من علومه، ثم يبينون للناس ما فهموا، ويذكرون لهم ما استنبطوا، واضعين - في ذلك كله - معرفة مراد الله تعالى. وقد سلكوا طرائق متعددة في تفسيرهم لكتاب الله، ومن هذه الطرائق والمناهج التي سلكها هؤلاء العلماء، التفسير بالمأثور، وهذا المنهج يغلب عليه ما جاء في القرآن نفسه من البيان، والتفصيل، والشرح، والتوضيح لبعض آياته، وما نُقل عن المصطفى - صلوات الله وسلامه عليه - وما نُقل عن صحابته الأفذاذ - رضوان الله عليهم - وما نُقل أيضًا عن التابعين - رحمهم الله - مما أجمعوا عليه من تفسير وتوضيح لمراد الله - تبارك وتعالى - وقد تدرَّج هذا اللون من التفسير، وهذا المنهج من الرواية إلى التدوين، فرسول الهدى قد بيَّن لصحابته ما أشكل عليهم من معاني القرآن، حيث تدارسوه بينهم، وعلموه للتابعين؛ بل وُجد من تكلَّم - على نطاق ضيق - من الصحابة بمحض رأيه واجتهاده؛ وما ذلك إلا لرفعة وعلو مستواهم الفكري، وتخوفهم من الإقدام على تفسير كتاب الله، والتفسير على حسب حاجتهم، وتناسب عصرهم. ثم أتى عصر التابعين، الذين تصدَّى بعضهم للتفسير، حيث رووا عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن الصحابة - رضي الله عنهم - بل وزادوا على ذلك من أقوالهم، بمقدار ما زاد من الغموض الذي أُحتيج معه إلى شرح وإيضاح من التابعين، ليواكب عصرهم ويناسبه، وما يتطلّبه ذلك العصر. ثم أتت طبقة بعد التابعين روت عنهم ما قالوا، مع زيادة ما أُحتيج إلى شرح يناسب عصرهم، وهكذا دواليك مع كل طبقة، إلى أن جاء دور التدوين، فكان أول ما دُوّن - كما أسلفت - التفسير بالمأثور، ولم يكن التفسير مستقلًا بحاله؛ بل دُوِّن على أنه باب

من أبـواب الحـديث، ثـم انفصـل وأصـبح مسـتقلًا قائمًـا بذاتـه. وقد مـرَّ بمراحل، حيث كـان أجزاء، ثم وُجدت الموسوعات الكبيرة، كتفسير الطبري الذي جمع بعضـا مـن المـروي عـن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصحابة والتابعين بالإسناد، ثم دَوَّن بعد ذلـك أنـاس التفسير بالمأثور، ثم أتت مرحلة تم فيها حذف الأسانيد، فاختلط الصحيح بالعليل، ثـم تغيَّـرت منـاهج المفسرين من التفسير بالمأثور إلى التفسير بـالرأي، وهـذا التغيُّـر إنمـا أتـى ليناسـب حاجـات العصر. ويُطلق على هذا المنهج التفسير بالرأي، وهـو عبـارة عـن تفسـير القـرآن بالاجتهـاد، بعـد معرفـة المفسِّر لكـلام العـرب ومنـاحيهم فـي القـول، ومعرفتـه للألفـاظ العربيـة ووجـوه دلالاتهـا، واسـتعانته فـي ذلـك بالشـعر، ووقوفـه علـى أسـباب النـزول، ومعرفتـه بالناسـخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتـاج إليهـا المفسِّر [1]. وكـان مـن هـذا المـنهج ظهـور التخصصـات المختلفـة، فظهـرت كتـب تفسـيرية تُعنـى باللغـة، وأخـرى بالفقـه، وهكـذا دواليـك، وبهـذا كانـت طرائـق التفسـير ومناهجـه متنوعـة، بـدأت بالتفسـير التحليلي، والتفسير الإجمالي، والتفسير المقارن، والتفسير اللفظـي، الـذي كـان يسـير بـإزاء التفسير العام جنبًا إلـى جنـب. كمـا ظهـرت أنمـاط جديدة فـي التفسـير المعاصـر، حيث اهتم المفسـرون بحاجـات العصـر، وتنـاولوا الكشـف عمـا تضـمَّنه القـرآن مـن قواعـد تُبنـى عليهـا الحياة الاجتماعية، وهذا النـوع الـذي سنبحثه مـن أنـواع التفسـير الجديـدة، والـذي يُبحث فيـه عـن التناسـق والترابط والـتلاحم الموضـوعي فـي السـورة القرآنيـة، والـذي تنـتظم بـه آياتهـا تحـت ربـاط واحـد جـامع، ويظهـر مـن خـلال اكتشـافه حقـائق القـرآن ومنهجـه وإعجـازه، ومسايرته للعصر الذي نعيش فيه. وتتجلَّـى هدايـة القـرآن الكـريم فـي أمثـل صـورة، ولا شـك أن مثل هذا اللون الجديد مـن التفسـير لـه أهميـة كبـرى، وغايـة عظمـى، بـذلت فيـه جامعتنـا العريقة، جامعة أم القرى، ممثلة في قسم الكتاب والسنة، شعبة التفسير وعلوم القرآن، جهدًا بالغًا بعد أن تنبَّهت لمكانة هذا الاتجاه، وحرصت كعادتها علـى أن تكـون سبَّاقة فـي عـرض فكرتها؛ خدمة لكتاب الله، فاقترحت هذا المشروع المبارك، تاركـة المجـال لطلابهـا لخـوض غمـار الكتابـة فـي هـذا الموضـوع المهـم، وقـد أقرَّت هـذا المشـروع الضـخم تحـت مُسـمى: (التناسـق الموضـوعي لسـور القـرآن الكـريم)، وقـد اخترت مـن هـذا المشـروع سـورة النحـل وإبراز التناسق الموضوعي فيها .

---

[1] انظر : التفسير والمفسرون للذهبي، ج٤، ص/٥ ، وج٤، ص/٤١ بتصرف.

أهداف البحث:

١ ـ الوقوف على الارتباط الوثيق بين موضوعات سورة النحل، وارتباط آياتها بعضها ببعض.

٢ ـ إظهار إعجاز القرآن العظيم من خلال نظمه.

٣ ـ بيان التناسق الموضوعي في سورة النحل من خلال بحث علمي رصين.

٤ ـ الوقوف على الهدايات القرآنية في سورة النحل، والاستفادة منها في واقع مجتمعنا.

٥ ـ الرد على الناعقين، الذين يدّعون التكرار لبعض موضوعات سور القرآن من خلال بيان التناسق الموضوعي.

٦ ـ إظهار صورة كاملة متقنة التناسق بشكل يُسهم في إبراز شخصية السورة وإظهارها.

٧ ـ الربط الواقعي لمجتمعنا، وما يعتريه من تساؤلات ومشاكل، من خلال فهمنا لموضوع السورة، ومدى تناسق موضوعاتها.

أهمية الموضوع:

١ ـ هذه السورة مكية، والسور المكية تُسلّط الضوء على التوحيد ، والبعث والجزاء، والوحي والرسالة بوجه عام، والهدف من خلق الخلق، الذي هو عبادة الله وتوحيده، فكانت هذه السورة، شأنها شأن المكي، تُعالج وتُوضّح وتُبيِّن أسس العقيدة الإسلامية، وتؤكّد بشدة وتلزم على ضرورة الالتزام التام بهذه المبادئ والقيم، حتى تتحقّق السعادة للموحِّد في الدنيا والآخرة، وأن من ترك هذه المبادئ وأعرض عنها، فإن النتائج المترتبة على ذلك، وقوع القوارع، والمصائب، والطوام الكبرى عليه، وهذا يعني أهمية العقيدة وإبرازها للناس صافية نقية .

٢ ـ من أبرز خصائص أسلوب القرآن الكريم وأحد دلائل إعجازه، وحدة النسق في السورة القرآنية.وموضوعي يصب في إبراز هذا النسق وهذه الوحدة التي ـ كما أسلفت ـ تدل على إعجاز القرآن .

٣ ـ لا شك أن أسلوب القرآن وإعجازه مباين لأساليب التأليف البشرية ومناهجها، ويعني هذا أنه بحاجة إلى مزيد من الدراسة والعناية، وخصوصًا فيما يتعلَّق بالتناسق الموضوعي للسورة، وخصائص إعجاز القرآن، ودراستنا هذه تأتي خطوة في هذا السياق .

٤ ـ إبراز ما تضمنته السورة من نعمُ الله على الإنسان لا تُعدُّ ولا تُحصى، وقد ذكرت هذه السورة بعضًا من نعم الخالق على خلقه، حتى تتوجَّه النفوس تلقاء ربها، تعبده ولا تُشرك معه أحدًا في عبادته؛ شكرًا لله وعرفانًا بنعمه.

٥ ـ مهما تعدَّدت القضايا في السورة الواحدة، ومهما اختلفت المواضيع، فهي متناسقة متلاحمة مترابطة، وإبراز هذا التناسق في غاية الأهمية ؛ لذا سأقوم بإبراز ذلك .

٧ ـ لكل عصر مطالبه الخاصة به؛ لذا وجب إبراز هدي القرآن وأهدافه بصورة تناسب عصرنا الذي نعيش فيه، وهذا ما سأقوم به .

أسباب اختيار الموضوع :

١ ـ عظيم أهميته، ومناسبته لحاجة العصر المتسارعة.

٢ ـ الحرص على خدمة كتاب الله من خلال هذا الموضوع .

٣ ـ قلة الدراسات في هذا المجال، نسبة إلى غيره من العلوم الأخرى المتعلقة بكتاب الله تبارك وتعالى.

٤ ـ تلبية للتوجيهات الكريمة من قسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعتنا، جامعة أم القرى.

٥ ـ الرغبة في تحقيق الغرض من نزول القرآن، ألا وهو التدبر، حيث قال الله ـ تبارك وتعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [(١)] ، وموضوعنا هذا يعتمد اعتمادًا كليًّا على النظر والتدبُّر.

الدراسات السابقة:

١ ـ تفسير سورة النحل، وبيان الأهداف التي ترمي إليها: بحث مُقدَّم من محمد متولي إدريس؛ للحصول على درجة العالمية (الدكتوراه) في التفسير وعلوم القرآن، بإشراف فضيلة الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي، عميد كلية أصول الدين بأسيوط، وفضيلة الأستاذ الدكتور/ أحمد السيد الكومي، رئيس قسم الدعوة، والأستاذ المتفرغ بالكلية، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، قسم الدراسات العليا، شوال ١٤٠٠ هـ ، أغسطس ١٩٨٠م .

وقد تناول الباحث الفاضل تفسير سورة النحل تفسيرًا تحليليًّا، مُقسِّمًا بحثه على النحو التالي:

القسم الأول: معنى السورة وسبب تسميتها، والمكي والمدني في السورة، والناسخ والمنسوخ، ومناسبة السورة لما قبلها، ومقاصد السورة، وتفسيرها الإجمالي ... .

القسم الثاني: العقيدة الإسلامية ....

القسم الثالث: الأخلاق الإسلامية ....

القسم الرابع: نظرات عامة في توجيه الدعوة ....

وقد التزم بمنهج المفسرين في التفسير، حيث جعل تفسيره تفسيرًا تحليليًّا، مقدمًا للتفسير بالمأثور ومرجحًا له، فإن لم يصح، رجع إلى اللغة والرأي، ثم يذكر أقوال المفسرين في الآية، معقبًا على ما تحتاج إليه من تعقيب، أو ترجيح، أو تنبيه. وقد قسَّم بحثه إلى أقسام: القسم الأول، حيث قسمه إلى مباحث، المبحث الأول: معنى السورة وسبب

---

(١) سورة ص، الآية ٢٩.

تسميتها، والمبحث الثاني: المكي والمدني في السورة، والمبحث الثالث: الناسخ والمنسوخ في السورة، والمبحث الرابع: مناسبة السورة لما قبلها، والمبحث الخامس: مقاصد السورة، والمبحث السادس: التفسير الإجمالي للسورة.

والقسم الثاني: العقيدة الإسلامية، وفيه جولتان، يستعرض من خلالهما التفسير التحليلي، ومعاني المفردات، والمناسبة، والمعنى العام، والخلاصة، والفوائد. والقسم الثالث: الأخلاق الإسلامية، ويذكر فيه معاني المفردات، والتفسير التحليلي، والمناسبة، والمعنى العام، والخلاصة، والفوائد. والقسم الرابع: نظرات عامة حول الدعوة، وبالطريقتين السابقتين نفسيهما، ثم الخاتمة، ثم الفهارس.

والذي يسعى الباحث لإضافته هنا، هو بيان التناسق الموضوعي في السورة لغة واصطلاحًا، وفضل السورة، وعدد آياتها، وتاريخ نزولها، ومناسبة اسم السورة لموضوعاتها، ومناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها، وتقسيم السورة إلى موضوعات متناسقة مترابطة، وسيكون تفسير الباحث بعيدًا تمام البعد عن التفسير التحليلي.

٢ ـ من بلاغة القرآن الكريم في سورة النحل: لخديجة بنت عبدالله بن حمد النهدي، ماجستير، لغة عربية، بلاغة، الرئاسة العامة لتعليم البنات، كلية الآداب للبنات، إشراف الأستاذ الدكتور/ فرج كامل أحمد سليم، وقد اختصت هذه الرسالة بحصر الموضوعات البلاغية فقط.

٣ ـ تسخير ما في الكون للإنسان على ضوء سورة النحل، وآثار ذلك في توحيد الخالق سبحانه: لزهرية بنت محمد الفاداني الساعاتي، ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، كتاب وسنة، إشراف الأستاذ الدكتور/ أبو ضيف مجاهد حسن ، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م. وقد قسمت الباحثة بحثها إلى ثلاثة أبواب، الباب الأول، وعنوانه آيات الله الكونية في السماء، مشتملًا على خمسة فصول، الفصل الأول: تعريف الشمس لغة، وتسخيرها للإنسان، ومظاهر الانتفاع بها، وآثار ذلك على الإنسان والحيوان والنبات....

والفصل الثاني: تعريف القمر لغة، وأهميته ....

والفصل الثالث: تعريف النجوم لغة، وأهميتها ....

والفصل الرابع: تعريف الليل والنهار لغة، واختلافهما، وفوائدهما.

والفصل الخامس: تعريف الطير لغة، وتسخيرها، والانتفاع بها.

أما الباب الثاني، فعنونت له بتسخير الأرض للإنسان، وقسمته إلى ستة فصول:

الفصل الأول: تعريف الأرض لغة، وارتباط الإنسان بها، وتذليلها وفرشها، وتثبيتها بالجبال، وكذلك نعمة الظلال، والجبال، واللباس، مع شواهدها وآثارها.

الفصل الثاني: تعريف الماء لغة، وأهميته للحياة، ومظاهر تسخيره للإنسان.

الفصل الثالث: النباتات، وأهميتها، وفوائدها للإنسان والحيوان، واختلاف التربة، مع الحكمة والشواهد.

الفصل الرابع: تعريف الأنعام لغة، ومظاهر تسخيرها للإنسان، والفوائد والحكم والشواهد.

الفصل الخامس: تعريف النحل لغة، وأهميته للإنسان، والشراب المستخرج منه ....

الفصل السادس: اشتقاقات الأنهار والبحار في اللغة، والفوائد، والتسخير والآثار.

والباب الثالث عنونت له بالإنسان، وقسمّته إلى فصلين:

الفصل الأول: أطوار خلق الإنسان، والسمع والبصر وفائدتهما، والقلب والعقل، والبنين والحفدة.

الفصل الثاني: اللسان ونعمه، والشواهد.

٤ ـ النعم في ضوء سورة النحل: لإدريس بن حامد بن محمد، ماجستير، جامعة الملك سعود، كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية، تخصص علوم قرآن، ١٩٩٦م، وهي مقتصرة على النعم فقط.

٥ ـ الأصول التربوية من خلال سورتي النحل ولقمان: لعبد المجيد بن عبدالله بن محمد الغامدي، دكتوراه، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية، ١٩٩٢م، وهي بعيدة عن موضوع بحثي.إذ هي مقتصرة على إبراز الأصول التربوية من خلال هاتين السورتين فقط .

٦ ـ ظواهر أسلوبية وفنية في سورة النحل: لأسامة بن عبد المالك بن إبراهيم بن عثمان، ماجستير، وهي في مجال اللغة العربية، وتحديدًا في البلاغة، إشراف خليل عودة، ٢٠٠١م، جامعة النجاح الوطنية بفلسطين، قسم اللغة والدراسات القرآنية.

٧ ـ نعم الله على الإنسان في ضوء سورة النحل: لعبداللطيف بن عبدالرحمن بن سليمان، ماجستير، علوم قرآن، وهي خاصة بذكر النعم فقط، الأردن، الجامعة الأردنية ١٩٩٦م.

٨ ـ التوحيد والشكر في سورة النحل، لعبدالحميد محمود طهماز، وهو كتاب قسَّمه مؤلفه إلى خمسة فصول، عنون الفصل الأول بالمجموعة الأولى من النعم، والفصل الثاني: جحود وعناد ومفارقات مستنكرة، والفصل الثالث: المجموعة الثانية من النعم، والفصل الرابع: المجموعة الثالثة من النعم، والفصل الخامس: مواساة وتثبيت، وقد ألَّفه عام ١٤١٠هـ .

<u>خطة البحث التي اعتمدتها:</u>

مقدمة، وتمهيد، وبابان، وخاتمة:

<u>المقدمة: وتشتمل على بيان أهمية الموضوع، وأهدافه، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث:</u>

<u>التمهيد: تعريف التناسق الموضوعي في السورة لغة واصطلاحًا.</u>

<u>الباب الأول: التناسق الموضوعي: مقدمات تعريفية، وتشتمل على ثلاثة فصول:</u>

<u>الفصل الأول: اسم السورة، وفضلها، وعدد آياتها ، ويشتمل على ثلاثة مباحث:</u>

المبحث الأول: اسم السورة وما اشتهر لها من أسماء، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالسورة لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: اسم السورة وما اشتهر لها من أسماء.

المبحث الثاني: ما ورد في فضل السورة أو بعض آياتها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأهمية من معرفة فضائل السور.

المطلب الثاني: ما ورد في فضل السورة أو بعض آياتها.

المبحث الثالث: عدد آيات السورة، واختلاف العلماء في ذلك.

الفصل الثاني: تاريخ نزولها ،ومكي السورة ومدنيها، ومناسبتها لما قبلها وما بعدها، ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تاريخ نزول السورة الكريمة.

المبحث الثاني: المكي والمدني من السورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أقوال أهل العلم في السورة، من حيث مكيتها ومدنيتها، والروايات الدالة على مكية السورة.

المطلب الثاني: الآيات التي قيل عنها: إنها مدنية.

المبحث الثالث: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الفائدة من معرفة المناسبات بين السور والآيات.

المطلب الثاني: مناسبة السورة لما قبلها.

المطلب الثالث: مناسبة السورة لما بعدها.

الفصل الثالث: أسباب النزول المروية في نزول بعض آيات السورة، ومقاصدها وأهدافها:

المبحث الأول: أسباب النزول الواردة في السورة.

المبحث الثاني: مقاصد السورة وأهدافها.

الباب الثاني: مناسبات موضوعات سورة النحل، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: مناسبات السورة الكريمة، ويشتمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: مناسبة اسم السورة لموضوعاتها.

المبحث الثاني: مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها.

الفصل الثاني: موضوعات السورة الكريمة وتناسقها، ويشتمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: المقدمة: التوحيد ودلائله، ويشمل الآيات (١ إلى ٨٩).

المبحث الثاني: المقصد الأول: بيان لبعض ما في الكتاب الحكيم، ويشمل الآيات(٩٠ إلى ١١١).

المبحث الثالث: المقصد الثاني: كفران النعمة وحلالها وحرامها، ويشمل الآيات (١١٢ إلى ١١٩).

المبحث الرابع: الخاتمة: طريقة الدعوة إلى التوحيد، ويشمل الآيات (١٢٠ إلى ١٢٨).

الفصل الثالث: تفسير آيات السورة في ضوء تناسقها الموضوعي، ويشتمل على الموضوعات الآتية:

المقدمة: التوحيد ودلائله، وتشتمل على الموضوعات التالية:

الموضوع الأول: التوحيد، ويشمل الآيات (١ـ ٢).

الموضوع الثاني: أدلة توحيد الله، ويشمل الآيات (٣ـ ١٦).

الموضوع الثالث: مقارنة بين الإله الحق والآلهة المزعومة، ويشمل الآيات (١٧ـ ٢٣).

الموضوع الرابع: المقارنة بين موقفي المشركين والموحدين من الوحي، وبيان جزاء كل فريق، ويشمل الآيات (٢٤ـ ٣٢).

الموضوع الخامس: تهديد للمشركين لعلهم يعودون إلى جادة الصواب، ويشمل الآيات (٣٣ـ ٣٤).

الموضوع السادس: احتجاج الكفار بمشيئة الله، وإنكارهم البعث، ويشمل الآيات (٣٥ ـ ٤٠).

الموضوع السابع: المهاجرون في سبيل الله، وما ينتظرهم من خير، ويشمل الآيات (٤١ ـ ٤٢).

الموضوع الثامن: التأكيد على بشرية الرسل، وبيان مهمتهم، ويشمل الآيات (٤٣ـ ٤٤).

الموضوع التاسع: تهديد وإنذار للمشركين، ويشمل الآيات (٤٥ـ ٤٧)

الموضوع العاشر: كمال قدرته وخضوع كل شيء له، ويشمل الآيات (٤٨ـ ٥٠).

الموضوع الحادي عشر: عقائد المشركين، ويشمل الآيات (٥١ـ ٦٤).

الموضوع الثاني عشر: من دلائل القدرة الإلهية والتوحيد، ومظاهر النعم على الناس، ويشمل الآيات (٦٥ـ ٦٩).

<u>الموضوع الثالث عشر:</u> أحوال الناس وأطوارهم الدالة على خالقهم، ويشمل الآيات (٧٠- ٧٤).

<u>الموضوع الرابع عشر:</u> الاستدلال على وحدانية الله تعالى بضرب الأمثال وعلمه للغيب، ويشمل الآيات (٧٥- ٧٧).

<u>الموضوع الخامس عشر:</u> عود على بدء بتعداد النعم، ويشمل الآيات (٧٨- ٨٣).

<u>الموضوع السادس عشر:</u> مشاهد يوم القيامة، ويشمل الآيات (٨٤- ٨٩).

<u>المقصد الأول: بيان لبعض ما في الكتاب الحكيم من الآداب، ويشمل الموضوع التالي:</u>

بيان وتبيان لما في القرآن من الآداب، ويشمل الآيات (٩٠- ١١١).

<u>المقصد الثاني: كفران النعمة وحلالها وحرامها، ويشمل الموضوع التالي:</u>

كفر النعمة وحلالها وحرامها، ويشمل الآيات (١١٢- ١١٩).

<u>الخاتمة: طريقة التنزيل الحكيم في الدعوة إلى الله، وتشتمل على الموضوع التالي:</u>

إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - ومنهجه في الدعوة إلى التوحيد، ويشمل الآيات (١٢٠ - ١٢٨).

الخاتمة: وتشتمل على النتائج.

الفهارس: <u>وتتضمن الفهارس الآتية:</u>

١- فهرس المصادر والمراجع.
٢- فهرس الآيات القرآنية.
٣- فهرس القراءات الشاذة.
٤- فهرس الأحاديث النبوية.
٥- فهرس الآثار.

٦- فهرس الأعلام.
٧- فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة.
٨- فهرس الأماكن والبلدان.
٩- فهرس الشواهد الشعرية.
١٠- فهرس الموضوعات.

والله أسأل أن ينفعنا، ويرزقنا الإخلاص في القول والعمل، والسر والعلن، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

كتبه/ ماجد بن عبدالعزيز الحارثي

الباب الأول : مقدمات تعريفية للسورة ، وفيه تمهيد وثلاثة فصول

التمهيد : تعريف التناسق الموضوعي في السورة لغة واصطلاحا .

التناسق لغة: النَّسَقُ ما جاء من الكلام على نِظام واحد، والنَّسْقُ بالتسكين مصدر نَسَق الكلام، إذا عطف بعضه على بعض، وبابه نصر، والتَّنْسِيقُ التنظيم [١]. والنَّسَقُ من كل شيء: ما كان على طريقة نِظام واحد، عامٌّ في الأشياء، وقد نَسَّقْتُهُ تَنْسِيقًا، ويخفّف [٢]. ونَسَقْتُه نَسَقًا ونَسَّقْتهُ تنسيقًا، ونقول: انتَسَقَتْ هذه الأشياء بعضها إلى بعض: أي تَنَسَّقَتْ[٣]، ويُقال: رأيت نَسَقًا من الرجال والمتاع: أي بعضُها إلى جنب بعض، والنَّسْق، بالتسكين: مصدر نَسَقْتُ الكلام، إذا عطفت بعضه على بعض؛ ويُقال: نَسَقْتُ بين الشيئين وناسَقْتُ [٤].

وفي حديث عمر بن الخطاب ﷺ [٥]: (ناسقوا بين الحج والعمرة)، أي تابِعوا وواتروا. يُقال: نَسَقْتُ بين الشيئين وناسَقْت [٦].

فالتناسق لغة يأتي على معانٍ عديدة:

١ ـ اتساق الكلام على نظام واحد.

٢ ـ التنظيم.

٣ ـ العطف.

٤ ـ التتابع والتواتر.

---

(١) انظر: مختار الصحاح للرازي، ج٢٧٤/١.

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور ج٣٥٢/١٠.

(٣) انظر: كتاب العين للفراهيدي ج٨١/٥.

(٤) انظر: لسان العرب، ج٣٥٣/١٠.

(٥) وهو: عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي، أبو حفص. ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لُقّب بأمير المؤمنين، الصحابي الجليل، الشجاع الحازم، صاحب الفتوحات، يُضرب بعدله المثل (٤٠ ق هـ - ٢٣ هـ) . انظر: الأعلام للزركلي، ج٤٥/٥.

(٦) انظر: غريب الحديث لابن الجوزي، ج٤٠٥/٢، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ج١١٦/٥، وكنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للبرهان فوري، ج٩/٥، وتاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، ج٤٢٠/٢٦، ولسان العرب ج٣٥٣/١٠.

والاتساق قد ورد في قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ ﴾ [١] ، ومن معانيها عند أهل التفسير، أنها للاكتمال، والاجتماع، والاستواء، والاستدارة [٢].

التناسق اصطلاحًا:

أن يأتي المتكلم بكلمات متتالية معطوفات متلاحمة تلاحما سليما مستحسنا، بحيث إذا أفردت كل جملة منه، قامت بنفسها، واستقل معناها بلفظها [٣] .

أو بناء السورة الذي يتسم بالتناسق بين أجزائه، والترابط المعنوي بين آياته [٤].

وبناء على ذلك فهو يأتي بمعنى: اتساق الكلام على نظام واحد منظم ومتتابع.

---

(١) سورة الانشقاق، الآية ١٨.

(٢) انظر: جامع البيان للطبري، ج٢٤/٢٤٨، وتفسير عبدالرزاق الصنعاني، ج٣/٤٠٨، وتفسير ابن أبي حاتم، ج١٠/٣٤١١، ومفاتيح الغيب للرازي، ج٣١/١٠١، وجامع القرطبي، ج١٩/٢٧٨، وتفسير ابن أبي زمنين، ج٢/٣٠٨، والدر المنثور للسيوطي، ج١٥/٣٢١، وتفسير ابن كثير، ج٨ /٣٥٩، وتفسير البغوي، ج٨/٣٧٥، وفتح القدير للشوكاني، ج٧ /٤٥٢، والتحرير والتنوير لابن عاشور، ج٣٠/٢٠٢، وروح المعاني للآلوسي، ج١٥/٢٩٠، والتفسير المنير للزحيلي، ج٣٠/١٤٥، وتفسير المراغي، ج٣/٩٣، وفي ظلال القرآن لسيد قطب، ج٦/٣٨٦٩، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج١/٣٥٢، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب، ج٤/٥١.

(٣) انظر: الكليات للكفومي، ج١/٦٤٥.

(٤) انظر: وحدة النسق في السورة القرآنية لرشيد الحمداوي، ص٤.

الموضوعي لغة:

المادة التي يبنى عليها المتكلم أو الكاتب كلامه ومن الأحاديث المختلق[1].

الموضوعي اصطلاحًا:

القضايا التي جاءت في القرآن الكريم ،أو دلت عليها آيات الكتاب الحكيم .

معنى التناسق الموضوعي:

تناسق أوضاع السورة، وائتلاف عناصرها، وأخذ بعضها بحجز بعض، حتى إنها لتنتظم منها وحدة محكمة لا انفصام لها [2].

وبناء على ذلك فهو: علم يبحث فيه عن اتساق موضوعات السورة الواحدة بشكل منظم ومتتابع.

---

[1] انظر : المعجم الوسيط ج٢ص/١٠٣٩.

[2] انظر : النبأ العظيم للدكتور / محمد عبدالله دراز،ص/١٤٢.

الباب الأول : التناسق الموضوعي ، ويشتمل على ثلاثة فصول :

<u>الفصل الأول : ويشتمل على أربعة مباحث :اسم السورة ، وفضلها ، وعدد آياتها ، وتاريخ نزولها .</u>

المبحث الأول : اسم السورة وما اشتهرت به من أسماء . وفيه مطلبان :

المطلب الأول : التعريف بالسورة لغة واصطلاحا .

تعريف السورة لغة :

تطلق السُوْرة في اللغة على معان عديدة، ومنها :

١ ـ المنزلة والجمع سور .

٢ ـ البناء الذي حسن وطال .

قال الجوهري [١] : السُوَرُ جمع سورة ، وهي كل منزلة من البناء، ومنه سُورَةُ القرآن؛ لأنها منزلةٌ بعد منزلة مقطوعةٌ عن الأخرى ، ومن الشواهد على أن جمع السورة سور

---

[١] الجَوْهَرِيُّ أَبُو نَصْرٍ إِسْمَاعِيْلُ بنُ حَمَّادٍ التُّرْكِيُّ إِمَامُ اللُّغَةِ، ، الأَترَارِيُّ – وَأُترَارُ هِيَ مَدِينَةُ فَارَابَ ـ مُصَنِّفُ كِتَابِ(الصِّحَاحِ)، وَأَحَدُ مَنْ يُضْرَبُ بِهِ المَثَلُ فِي ضَبطِ اللُّغَةِ، وَفِي الخَطِّ المَنسُوبِ، قَالَ جَمَالُ الدِّيْنِ عَلِيّ بن يُوْسُفَ

قول الراعي النميري [1] :

هنَّ الحرائرُ لا ربّاتُ أحمرةٍ ** سودُ المحاجرِ لا يقرأنَ بالسّورِ [2]

قال ويجوز أن يجمع علـى سُوْرَاتٍ وسُوَرَاتٍ [3] .

وقال النابغة [4] :

أَلَمْ ترَ أن الله أعْطاكَ سُورةً *** تَرَى كلَّ مَلكٍ دونَها يتذَبْذَبُ [5]

معناه : أعطاك رفعة ومنزلة ، وجمعها سُور أي رِفَعٌ [6].

القِفْطِي ، مَاتَ الجَوْهَرِيّ مُتَرَدِّياً مِنْ سَطْحِ دَارِهِ بِنَيْسَابُوْرَ، فِي سَنَةِ ثَلاَثٍ وَتِسْعِيْنَ وَثَلاَثِ مائَةٍ. ثُمَّ قالَ:وَقِيْلَ:مَاتَ فِي حُدُوْدِ سَنَةِ أَرْبَعِ مائَةٍ - رَحِمَهُ اللهُ - . انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ج١٧ص/٨٢ .

[1] الرَّاعِي أَبُو جَنْدَلٍ عُبَيْدُ بنُ حُصَيْنٍ النُّمَيْرِيُّ مِنْ كِبَارِ الشُّعَرَاءِ ، الَّذِي يَقُوْلُ فِيْهِ جَرِيْرٌ:
فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ ... فَلاَ كَعْباً بَلَغْتَ وَلاَ كِلاَبَا
وَإِنَّمَا لُقِّبَ بِالرَّاعِي؛ لِكَثْرَةِ مَا يَصِفُ الإِبِلَ فِي شِعْرِهِ. انظر : سير أعلام النبلاء ج٤ص/٥٩٨ ، المتوفى سنة ٩٠ هـ .
انظر ديوانه ج١ص/١٠١ .

[2] انظر : ديوان الراعي النميري ج١ص/١٠١ .

[3] انظر : لسان العرب ج٤ص/٣٨٦ .

[4] هو: زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. من أهل الحجاز. كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة (٠٠٠ - نحو ١٨ ق هـ = ٠٠٠ - نحو ٦٠٤ م). انظر : الأعلام ج٣ص/٥٤ .

[5] انظر : ديوان النابغة الذبياني ج١ص/٦ .

[6] انظر : تهذيب اللغة للأزهري ج١٣ص/٣٦ .

٣ ـ ومن معاني السورة أيضًا الرفعة .

٤ ـ وسورة كل شيء حدّه .

٥ ـ والعلامة [١].

تعريف السورة اصطلاحا :

وقال الجعبري [٢] : (حد السورة قرآن يشتمل على آي ذي فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات) [٣] .

---

[١] انظر : لسان العرب ج٤ص/٣٨٧ .

[٢] هو: إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري، أبو إسحاق: عالم بالقراءات، من فقهاء الشافعية. له نظم ونثر. ولد بقلعة جعبر (على الفرات، بين بالس والرقة) وتعلم ببغداد ودمشق، واستقر ببلد الخليل (في فلسطين) إلى أن مات (٦٤٠ ـ ٧٣٢ هـ = ١٢٤٢ ـ ١٣٣٢ م). انظر : الأعلام ج١ص/٥٥ .

[٣] انظر : البرهان للزركشي ج١ص/٢٦٤ .

المطلب الثاني : اسم السورة وما ذكر لها من أسماء:

سميت هذه السورة ـ عند السلف ـ بسورة النحل ، وهو اسمها المشهور في المصاحف، وكتب التفسير، وكتب السنة [1] .

وسبب التسمية :

أن لفظ (النحل) لم يرد في سورة غير هذه السورة [2] ،في قوله ـ سبحانه ـ : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [3] ، وهي تسمية للكل باسم الجزء ، إشارة إلى أهمية هذا الجزء ؛ لما للنحل من عجيب الشأن في دقة فهمها ، وترتيب بيوتها على أشكال هندسية رائعة الصنع ...

أما ما ذكر لها من أسماء أخرى ، فمنها اسم (النعم) . ذكره جمع من المفسرين[4] ، واسم (الآلاء) [5] .

---

[1] انظر : الدر المنثور ج٩ص/٥ ، وتفسير مقاتل ج٢ص/٢١٣ ، وتفسير الصنعاني ج٢ص/٢٦٤ ،وصحيح البخاري كتاب التفسير باب قوله (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) ج٦ص/١٠٢ . وسنن الترمذي باب ومن سورة النحل ج٥ص/٢٩٨ ،والتحرير والتنوير ،ج١٣/ص٧٤ .

[2] انظر : التحرير والتنويرج١٣ص/٧٤ ، والتفسير المنير ،ج١٤ص/٧٩ ، وزهرة التفاسير لأبي زهرة ج١ص/٤١٢٠ .

[3] سورة النحل آية ٦٨ ، وآية ٦٩ .

[4] انظر : تفسير الرازي ،ج١٩ص/١٦٧ ، والتحرير والتنوير ،ج١٣ص/٧٤ ، وتفسير اللباب لابن عادل ج١ص/٣١٧١ ، وروح المعاني ،ج٧ص/٣٣٢ ، والتفسير المنير ،ج١٤ص/٧٩ ، والتفسير الواضح لمحمد حجازي ج٢ص/٢٩٦ ، وتفسير الخازن ،ج٣ص/٦٦ ، والسراج المنير لمحمد الشربيني ،ج٢ص/١٦٩ ، ومراح لبيد لكشف معنى القرآن مجيد لمحمد الجاوي ،ج١ص/٥٨٦ ، وأحكام القرآن لابن العربي ،ج٥ص/١٤٩ ، ونيل المرام لصديق القنوجي ،ج١ص/٣٥٥ ، وتفسير القرطبي ،ج١٢ص/٢٦٦ ، والدر المنثور ج٩ص٩٣ ، وتفسير ابن كثير ج٤ص/٥،٩١ وتفسير السمعاني ،ج٣ص/١٥٨، ونسب الماوردي القول إلى الكلبي . انظر : تفسير الماوردي ج٣ص/٢٠٧ .

[5] ذكره السمعاني في تفسيره . انظر : تفسير السمعاني ،ج٣ص/١٥٨ .

وسبب التسمية :

ترجع إلى ما عدّده الله فيها من نعمه على عباده [1] .

وتسمى سورة النحل أيضا بسورة الامتنان [2] ، وبعد العرض السابق أخلص إلى أن الاسم التوقيفي لها ، هو سورة النحل ، وأما الأسماء الأخرى والتي ذكرت هي : (النعم ، والآلاء، والامتنان) ، فهي وصف للسورة ،ومستوحاة مما اشتملت عليه من النعم ، وكلها تؤدي إلى معنى واحد.

---

[1] انظر : تفسير القرطبي ،ج١٢ص/٢٦٦ ، ونيل المرام ،ج١ص/٣٥٥ ، والسراج المنير ،ج٢ص/١٦٩ ، وتفسير الخازن ،ج٣ص/٦٦ ، والتفسير الواضح ،ج٢ص/٢٩٦ ، والتفسير المنير ،ج١٤ص/٧٩ ، وروح المعاني، ج٧ص/٣٣٢ ، وتفسير اللباب ،ج١ص/٣١٧١ ، والتحرير والتنوير ،ج١٣ص/٧٤ .

[2] انظر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ،ج١ص/٥٢٦ .

المبحث الثاني : ما ورد في فضل السورة أو بعض آياتها ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الأهمية من معرفة فضائل السور .

لاشك أن لفضائل السور أهمية عظمى ، وهذه الأهمية تأتي من طريقين مفترقين ، يتمثل الطريق الأول في أهمية النصوص الصحيحة التي تحث على فضل السور، حيث إنها تكون مدعاة لحث النفس على الإقبال على تلك السور؛ لما لها من فضل خاص مدعوم بنص صحيح . وأما الطريق الثاني ، فأهميته واضحة جلية، من حيث انتشار تلك الفضائل بين العوام انتشارا واسعًا ، فهم يحفظونها عن ظهر قلب ، مع أنها لم تثبت بطرق صحيحة عن رسول الله . ﷺ وتظهر الأهمية من خلال ذكر تلك الفضائل ، وتعقبها ، والحكم عليها في الهامش ، وبيان ضعفها ،لتحذير الناس منها . وما إقبال الناس عليها إلا لحرصهم على الأجر والثواب ،حيث إنهم ينكبون على تلك السورة ؛لوجود فضائل سمعوا بها، وهذا حافز مهم ومطلوب ، وخصوصا إذا كانت هناك نصوص صحيحة صريحة ، ولكن المشكلة تكمن في ضعف تلك الفضائل أو وضعها ، وتعلق الناس بها . وفي المقابل فإذا وردت أحاديث صحيحة في فضائل السور، فهذا ما يسعد القلب ، ويبهج النفس ؛ لأنها مدعاة إلى زيادة الرغبة في تلاوة الذكر الحكيم ، وعدم هجره ، والاجتهاد في حفظه ، والحرص على تكثير الحسنات ومحو السيئات .ومعرفة الأحاديث الصحيحة التي تبين منزلة من يقرأ سورة معينة من القرآن الكريم ومكانته ، أو فضل القرآن الكريم ككل من الأهمية بمكان؛ ومن ثم الحرص على المداومة على ذكر الله ،ومن السور والآيات التي صح فضلها، واشتهرت بركتها قراءة المعوذات ، وآية الكرسي ، وبعض الآيات الأخرى التي ترشد الناس إلى ما ينفعهم ، والابتعاد عما يضرهم ، ومن هذه الفوائد التي يجنونها ،الحماية والحفظ من شياطين الإنس والجن ، والمعالجة بآيات الذكر الحكيم من خلال تلاوة وقراءة آياته على من أصيب بالعين أو السحر أو المس . وكذلك الأمراض النفسية والجسدية ، وفي التنزيل الحكيم بيان فضل محمد ﷺ على سائر الخلق ، عندما اختصه الله بهذا القرآن

العظيم المعجزة الدائمة ،الذي أنزله الله عليه بآيات لها من الفضائل والمبشرات ما الله به عليم ؛ بل وبيان فضل هذه الأمة المحمدية وقيمتها، وتميزها عن سائر الأمم التي اختصها الله بأفضل نبي ، وأكرم مرسل، وميزها عن باقي الأمم بهذا الكتاب الكريم ، وبهذه الآيات العظيمة ، فلله الحمد من قبل ومن بعد على نعمه التي لا تعد ولا تحصى .

المطلب الثاني : ما ورد في فضل السورة أو بعض آياتها :

ما ورد في فضل السورة :

من ذلك ما رواه واثلة بن الأسقع [١] أن النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ قال : " أعطيت مكان التوراة السبع ، وأعطيت مكان الزبور المئين ،وأعطيت مكان الإنجيل المثاني ، وفُضّلت بالمفصل " [٢] .

والمقصود بالطوال السبع الطوال : أولها البقرة ، وآخرها براءة ، ـ إذا كانت الأنفال والتوبة سورة واحدة ـ وهناك أكثر من قول في ذلك . والمئون : ما وليها ، وسورة النحل من المئين . والمثاني : وهي ما ولي المئين ، والمفصل : ما ولي المثاني [٣] . ومقصود الحديث ،الفضل الكبير لهذه السور، فكل قسم بحاله ،له من المكانة التي تجعل جزءًا منه كالتوراة ، وآخر كالزبور ، وثالث كالإنجيل . بل وفضل بالمفصل ، وهذا فضل كبير ،

---

[١] وهو : واثلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الكناني الليثي. وقيل: واثلة بن عبد اله بن الأسقع، كنيته أبو شداد، وقيل: أبو الأسقع وأبو قرصافة. أسلم والنبي صلى الله عليه وسلم يتجهز إلى تبوك، وقيل: إنه خدم النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين. وكان من أصحاب الصفة. انظر : أسد الغابة لابن الأثير ،ج٣ص/٩٩ .

[٢] أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده باب حديث أبي ثعلبة الخشني ،ج٤ص/١٠٧ ، وعلق على إسناده شعيب الأرنؤوط بأنه حسن ، ومسند الطيالسي باب أعطيت مكان التوراة السبع ... ،ج٢ص/٣٥١ ، والمعجم الكبير للطبراني الباب الخامس (من اسمه واثلة) ج١٥ص/٤٥١ ، ودلائل النبوة للبيهقي باب قدوم ضمام بن ثعلبة على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ج٥ص/٤٧٥ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ج٥ص/٣٨٦ ، وخلاصة القول أن الحديث حسن لشواهده . انظر : موسوعة فضائل سور وآيات القرآن لمحمد بن رزق بن طرهوني ،ج١ص/١٢٩ .

[٣] انظر : الإتقان في علوم القرآن ،ج/١ص٩٨ .

وميزة عظيمة لمحمد ـ ﷺ ـ على سائر الرسل ، وفضل كبير ، وخاصية جليلة للقرآن على سائر الكتب السماوية . ومن المعلوم أن سورة النحل من المئين ، فيخصها من الخير والفضل ما يخص باقي سور المئين .

ومن الأحاديث التي استخرجتها من بطون الكتب ، والتي فيها فضل سورة النحل ، وجدت هذا الحديث ، الذي حكم عليه بعض المحدثين بالوضع ، ولكني ذكرته لبيان أنه من الأحاديث المتكلم فيها ، ليتجنب الناس هذه الأحاديث ، ولعل السبب في ذكر هذه الأحاديث رغم ضعفها أو وضعها هو إقبال الناس على الشاذ والمستغرب دائما في شؤون حياتهم ، ولكنهم عندما يلاحظون أن هذا الحديث فيه مقال ، أو وضع ، فإنهم يحجمون عن نشره ، إلا لبيان ضعفه ، وهذا الحديث هو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بالنعم التي أنعمها عليه في دار الدنيا ، وأعطي من الأجر ، كالذي مات فأحسن الوصية " [١] .

ومن الأحاديث كذلك عن جعفر [٢] : (أن من قرأ هذه السورة في كل شهر ، كفى عنه سبعون نوعا من البلاء، أهونها الجذام [٣] ،والبرص [٤]، وكان مسكنه في جنة عدن وسط

---

[١] انظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ،ج٦ص/٥ ، وتفسير البيضاوي ،ج٣ص/٤٢٨ ، والكشاف للزمخشري ،ج٢ص/٦٤٥ ، وتفسير اللباب ،ج١ص/٣٢٧٢ ، وتفسير أبو السعود ،ج٤ص/١٦٨ ، والسراج المنير للشربيني ،ج٢ص/٢١٣ ، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادي ،ج١ص/٢٠٣ ، وذكر أنه حديث واه ، والكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر ،ج٢ص/٢٥١ ، وذكر أنه رواه الثعلبي من حديث سلام بن سليم حدثنا هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن اسلم عن أبي أمامة عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... . فذكره سواء ، ورواه ابن مردويه في تفسيره بسنده في آل عمران ، ورواه الواحدي في تفسيره الوسيط بسنده المتقدم في يونس ، وذكره أيضا الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي للمناوي، ج٢ص/٧٦١ ، وذكر أنه موضوع .

[٢] جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب القرشى الهاشمي ، أبو عبد الله المدني الصادق ، ولد ٨٠ هـ ، وتوفي ١٤٨ هـ ، رتبته عند ابن حجر : صدوق فقيه إمام ، رتبته عند الذهبي : قال القطان : في نفسي منه شيء ، و قال ابن معين : ثقة ، و قال أبو حنيفة : ما رأيت أفقه منه . انظر : رواة التهذيبيين وهي من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة ،ص/٩٥٠ .

[٣] و الجذام داء ،وقد جذم الرجل بضم الجيم ،فهو مجذوم ولا يقال : أجذم . انظر : مختار الصحاح ،ج١/ص٤٢ .

[٤] البرص داء معروف ،نسأل الله العافية منه ،ومن كل داء ،وهو بياض يقع في الجسد . انظر : لسان العرب، ج٧/ص٥ .

الجنان) . وحديث على [1] : (يا على ،من قرأ سورة النحل ،فكأنما نصر موسى وهارون على فرعون، وله بكل آية قرأها ،مثل ثواب أم موسى) [2] .

وكما أسلفت ،أن ذكري لهذه الأحاديث الموضوعة الساقطة ،إنما هو لبيانها للناس ولتحذيرهم منها .

---

(1) على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، أبو الحسن الهاشمي (أمير المؤمنين ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، توفي ٤٠ هـ ، قال ابن حجر : (من السابقين الأولين ، و رجح جمع أنه أول من أسلم ، و هو أحد العشرة). انظر رواة التهذيبيين ،ص/٤٧٥٣ .

(2) انظر : بصائر ذوي التمييز ج١ص/٢٠٣ ، وذكر أنها أحاديث ساقطة ، ولم أجد أحدا تكلم عن هذه الأحاديث أو حتى خرجها ، والحديث الساقط يعني أنه موضوع . انظر : الموقظة في علم مصطلح الحديث للذهبي ،ج١ص/٥ .

ما ورد في فضل بعض آياتها :

عن شتَير بن شَكَل ـ رحمه الله ـ [1] ، قال: سمعت عبد الله رضي الله عنه [2] يقول : (إن أجمع آية في القرآن في سورة النحل) ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [3] ، وعن شتَيْر بن شَكَل ـ رحمه الله ـ ، قال: (سمعت عبد الله رضي الله عنه يقول: إن أجمع آية في القرآن لخير أو لشر، آية في سورة النحل) .

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [4] .

---

[1] وهو : شتير بن شكل بن حميد العبسى ، أبو عيسى الكوفى ، من الطبقة الثانية من كبار التابعين ، رتبته عند ابن حجر، والذهبي : ثقة . انظر : رواة التهذيبيين ،ص/٢٧٤٧ .

[2] وهو : عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر ،أبو عبد الرحمن الهذلي ،كان إسلامه قديماً أول الإسلام، حين أسلم ابن زيد وزوجته فاطمة بنت الخطاب، وذلك قبل إسلام عمر بن الخطاب بزمان ، وتوفي ابن مسعود بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين. انظر : أسد الغابة ،ج٢ص/١٧١ .

[3] سورة النحل الآية ٩٠ .

[4] انظر : تفسير الطبري ،ج١٧ص/٢٨٠ ، وتفسير الشوكاني ،ج٤ص/٢٥٧ ، وتفسير البغوي ،ج٥ص/٣٩ ، وتفسير ابن كثير ،ج ٤ص/ ٥٩٦، والتسهيل لعلوم التنزيل للكلبي ،ج١ص/٨٥٩ ، وتفسير النسفي ،ج٧ص/٤٥٦ ، زاد المسير لابن الجوزي ،ج٤ص/١٢٢ ، وأيسر التفاسير للجزائري ،ج٢ص/٣١٩ ، والتفسير المظهري للمظهري، ج١ص/٢٠٨٢ ، وزهرة التفاسير ،ج١ص/٤٢٥٣ ، والمستدرك على الصحيحين للحاكم وقال : (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) ، وعلق الذهبي في التلخيص بقوله : (على شرط البخاري ومسلم) .
انظر :المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص ، ج٢ص/٣٨٨ ، والمعجم الكبير، ج٨ص/٣٩ .

وعن ابن مسعود ﷺ قال : (أعدل آية في القرآن ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ وأحكم آية ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨ ﴾) [1] [2] .

وعن ابن عمر ﷺ [3] ، أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ خرج ذات يوم إلى الناس، فقال : (أيكم يخبرني بأعظم آية في القرآن ،وأعدلها ،وأخوفها ،وأرجاها، فسكت القوم ، فقال ابن مسعود : على الخبير سقطت ،سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم يقول ـ : " أعظم آية في القرآن ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [4] ،وأعدل آية في القرآن ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ [5] إلى آخرها ،وأخوف آية في القرآن ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨ ﴾ [6] ،وأرجى آية في القرآن ﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣ ﴾ [7] [8]) .

---

(1) سورة النحل ،الآية ٩٠ ، وسورة الزلزلة الآية ٧ والآية ٨ .

(2) انظر : الإتقان في علوم القرآن ،ج٢ص/٤٢٦ ، وضعيف الجامع الصغير ،ج٧ص/٣٢٩، وقال عنه :أنه ضعيف .

(3) وهو : عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ، أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم ، ومات وهو ابن ست وثمانين سنة . انظر : أسد الغابة ،ج٢ص/١٥٣ .

(4) سورة البقرة ،الآية ٢٥٥ .

(5) سورة النحل ،الآية ٩٠ .

(6) سورة الزلزلة ،الآيتان ٧ ، ٨ .

(7) سورة الزمر ،الآية ٥٣ .

(8) انظر : الدر المنثور للسيوطي ،ج٣ص/١٧٢ ، وقد عزاه لابن مردويه ،والشيرازي في الألقاب ،والهروي في فضائله ،عن ابن مسعود ، وقد علق الألباني على هذا الحديث بقوله : (وقد ساق إسناد ابن مردويه الحافظ ابن كثير في(تفسير البقرة) (١/ ٣٠٧)، وبه عرفت ضعفه ؛ فإنه

عن هرم بن حيان ـ رحمه الله ـ [1] أنه حين نزل به الموت قالوا له : (يا هرم ، أوص) . قال : (أوصيكم أن تقضوا عني ديني) . قالوا : (وما توصي يا هرم ؟) . قال : (أوصيكم بآخر سورة النحل ، ثم قرأ عليهم ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨ ﴾ [2] [3]) .

وما سبق ذكره عن هرم ـ رحمه الله ـ ما هي إلا نظرات وتأملات ليس فيها حديث عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يدل على أفضلية ، وإنما تأملات ونظرات تحسب لأصحابها .

من طريق عبد الله بن كيسان: حدثنا يحيى بن عُقيل ،عن يحيى بن يعمر ،عن ابن عمر ،عن عمر بن الخطاب: أنه خرج ذات يوم إلى الناس، وهم سماطات، [فقال]: أيكم يخبرني بأعظم آية في القرآن ؟ فقال ابن مسعود: على الخبير سقطت، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:... فذكر الفقرة الأولى فقط. فلا أدري أهكذا وقعت الرواية لابن مردويه، أم أن ابن كثير اختصرها ؟ وعلى الأول يكون السيوطي تساهل في عزو الحديث بتمامه لابن مردويه، ونصها عنده بعد قول عمر: " بأعظم آية في القرآن":" وأعدلها، وأخوفها، وأرجاها"، فسكت القوم. فقال ابن مسعود: على الخبير سقطت... الحديث بتمامه. قلت: وعبد الله بن كيسان، قال الذهبي في " المغني ":"مروزي ضعفه أبو حاتم ". وقال الحافظ في " التقريب ":" صدوق يخطىء كثيرًا ". وإن مما يؤكد ضعفه ،أنه قد صح موقوفاً على ابن مسعود ؛ فقال الشعبي: جلس مسروق وشتير بن شكل في مسجد الأعظم، فرأهما ناس، فتحولوا إليهما، فقال مسروق لشتير: إنما تحول إلينا هؤلاء لنحدثهم، فإما أن تحدث وأصدقك، وإما أن أحدث وتصدقني. فقال مسروق: حدِّث أصحابك. فقال شتير: ثنا عبد الله بن مسعود: أن أعظم آية في كتاب الله: {الله لا إله إلا هو الحي القيوم} إلى آخر الآية. فقال مسروق: صدقت. ثم ذكر تمام الحديث، يصدق مسروق شتيرًا في كل ذلك. أخرجه الطبراني في " المعجم الكبير " (٩/١٤٢ ـ ١٤٣). وإسناده صحيح، لكن قد صح في غير ما حديث مرفوع ،أن آية الكرسي أعظم آية في القرآن، عند مسلم وغيره ؛ فانظر " صحيح الترغيب " (١٣/ ٦/ ٥ و ٧/ ٣). انظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة للألباني، ج١٤ص/١١٢٥.

[1] وهو : هَرِمُ بنُ حَيَّانَ العَبْدِيُّ البَصْرِيُّ ،وَيُقَالُ: الأَزْدِيُّ، البَصْرِيُّ، أَحَدُ العَابِدِيْنَ. حَدَّثَ عَنْ: عُمَرَ. وَرَوَى عَنْهُ: الحَسَنُ البَصْرِيُّ، وَغَيْرُهُ. وَلِيَ بَعْضَ الحُرُوْبِ فِي أَيَّامِ عُمَرَ، وَعُثْمَانَ بِبِلاَدِ فَارِس. قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: كَانَ عَامِلاً لِعُمَرَ، وَكَانَ ثِقَةً، لَهُ فَضْلٌ وَعِبَادَةٌ. وَقِيْلَ: سُمِّيَ هَرِماً؛ لأَنَّهُ بَقِيَ حَمْلاً سَنَتَيْنِ حَتَّى طَلَعَتْ أَسْنَانُهُ. انظر : سير أعلام النبلاء، ج٤ص/٤٨ .

[2] سورة النحل، من الآية ١٢٥ وحتى الآية ١٢٨ .

[3] انظر : حلية الأولياء ،وطبقات الأصفياء للأصبهاني ،ج٢ص/١٢١ ، وتفسير الطبري ،ج١٧ص/٣٢٧ ، والدر المنثور ،ج٩ص/١٣٧ ، ومفاتيح الغيب ،ج٢ص/٢٩٠ ، وتفسير الكشاف ،ج٢ص/٦٤٥ ، وروح المعاني، ج٧ص/٤٩٣ وتفسير أبي السعود ،ج٤ص/١٦٨ .

المبحث الثالث : عدد آيات السورة واختلاف العلماء في ذلك :

عدد كلماتها ألف وثماني مئة وإحدى وأربعون كلمة ،وحروفها سبعة آلاف وسبع مئة وسبعة أحرف ، وهي مئة وثماني وعشرون آية ،ليس فيها اختلاف [١] .

وفيها مما يشبه الفواصل ، وليس معدودا بإجماع : أكثر من موضع ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [٢] ، ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [٣] ، ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [٤] ، ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ﴾ [٥] ، ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ [٦] ، ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ [٧] ، ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [٨] ﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ﴾ [٩] ، ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [١٠] ، ﴿ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ﴾ [١١] .

وعكسه خمسة :﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [١٢] ،

---

[١] انظر : البيان في عد آي القرآن للداني ،ج١/ص١٧٥.

[٢] سورة النحل ،الآية ٩ .

[٣] سورة النحل ،الآية ٢١ .

[٤] سورة النحل، الآية ٢٣ .

[٥] سورة النحل ،الآية ٣١ .

[٦] سورة النحل ،الآية ٣٢ .

[٧] سورة النحل ،الآية ٦٢ .

[٨] سورة النحل ،الآية ٧٢ .

[٩] سورة النحل ،الآية ٧٥ .

[١٠] سورة النحل ،الآية ٩٦ .

[١١] سورة النحل ،الآية ١١٧ .

[١٢] سورة النحل ،الآية ٨ .

﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴾ [1] ، ﴿ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ [2] . ﴿ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [3] ،

﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴾ [4] [5] .

---

(1) سورة النحل، الآية ١٩ .

(2) سورة النحل ،الآية ٢٢ .

(3) سورة النحل ،الآية ٤٠ .

(4) سورة النحل ،الآية ١١٦ .

(5) انظر : مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور للبقاعي ،ج٢ص/٢١٣ .

الفصل الثاني : تاريخ نزول السورة،ومكي السورة ومدنيها ، ومناسبتها لما قبلها وما بعدها ، ويشتمل على مبحثين .

المبحث الأول : تاريخ نزول السورة الكريمة :

أجمع العلماء على مكية السورة ،وإن اختلفوا في بعض آياتها ، وهو ما سنتكلم عنه في الفصل التالي ، بحول الله . وبالنظر إلى آيات السورة ،نجد أنها تتناول العقيدة ،والدعوة إلى التوحيد ،وعبادة الله وحده لا شريك له ، وإثبات الرسالة والبعث ، والجزاء والحساب ، وذكر القيامة وأهوالها ومشاهدها ، ومجادلة أهل الشرك والزيغ والعناد ، وسرد ترهاتهم وأباطيلهم وخرافاتهم ،وإقامة الحجج الدامغة عليهم ، وغير ذلك من خصائص السور المكية ،التي تؤكد مكية السورة ، ويتعلق مبحثنا هنا بتحديد وقت نزول السورة تقريبا ، فلو أخذنا على ـ سبيل المثال لا الحصر ـ قوله ـ سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (١) ، لوجدنا أنها تتحدث عن هجرة الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ من مكة إلى الحبشة ، والتي هاجروا إليها بسبب ظلم أهل مكة لهم ،وتعذيبهم إياهم، وإبعادهم عن الدار والأوطان والأهل والمال (٢) ، وقد حدثت هذه الهجرة في رجب من السنة الخامسة من بعثة المصطفى محمد ﷺ (٣) غير أن كثيرا من أهل السير لم يذكروا سنة الهجرة تحديدا (٤) . وأيا كان تاريخها ، سواء كان في السنة الخامسة ، أم بعد ذلك ؛ فما يعنينا هو أن الهجرة للحبشة كانت والصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ في مكة ، وأن الآية الأنفة الذكر، كانت تتحدث عن هجرة الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ من مكة إلى الحبشة ،وهذا يقودنا إلى تاريخ نزول السورة الكريمة

---

(١) سورة النحل ،الآية ٤١ .

(٢) انظر : تفسير الماوردي ،ج٣ص/١٨٨ .

(٣) انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ،ج١ص/٢٠٤ ، وهذا ما أكده ابن حجر ، حيث عنون للباب بقوله : (قوله باب هجرة الحبشة) ، وقال : (أي هجرة المسلمين من مكة إلى أرض الحبشة ،وكان وقوع ذلك مرتين ،وذكر أهل السير أن الأولى كانت في شهر رجب من سنة خمس من المبعث ...) . انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج٧ص/١٨٨، وعنون ابن كثير للباب بقوله : (باب هجرة أصحاب رسول الله، من مكة إلى أرض الحبشة) في كتابه البداية والنهاية ،ج٣ص/٨٤ ،بقوله : (وروى الواقدي أن خروجهم إليها في رجب سنة خمس من البعثة) .

(٤) كابن إسحاق في كتابه (سيرة ابن إسحاق المبتدأ والمبعث والمغازي) ،ج٤ص/١٩٣ ،تحت عنوان (حديث الهجرة الأولى إلى الحبشة) .

بشكل تقريبي ، ويؤكد على أن الهجرة تمت قبل الهجرة إلى المدينة ، وهذا ما يؤكد مكية السورة كذلك .

المبحث الثاني : المكي والمدني من السورة ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أقوال أهل العلم في السورة، من حيث مكيتها ومدنيتها، والروايات الدالة على مكية السورة : لم يختلف جمهور أهل العلم في مكيتها ،إلا قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [1] ، إلى آخر السورة، فإنها نزلت بالمدينة في قتل حمزة [2] ، قاله ابن عباس [3] . وفي رواية أخرى عنه ،أنها مكية غير ثلاث آيات، نزلت بالمدينة ،وهي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [4] إلى قوله : ﴿ تَعْلَمُونَ ﴾ [5]، وقال قتادة [6] :هي مكية إلا خمس آيات ،وهي قوله :﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [7]، وقوله : ﴿ ثُمَّ

---

(1) سورة النحل ،الآية ١٢٦ . انظر : تفسير المراغي ،ج١٤ص/١٤ ، ومراح لبيد ،ج١ص/٥٨٦ ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ،ج٤ص/٢٣٩ ، وتفسير الجلالين ،ج٤ص/٤٠٩ ، وتفسير الرازي ،ج١٩ص/١٧٣ ، والدر المنثور ،ج٩ص/٥ ، وتفسير القرطبي ،ج١٠ص/٦٥ ، وتفسير البغوي ،ج٤ص/٧ ، وتفسير البيضاوي، ج٣ص/٣٨٤ ، وتفسير السمعاني ،ج٣ص/١٥٨ ، وتفسير اللباب ،ج١ص/٣١٧١ ، وروح المعاني ،ج٧ص/٣٣٢ .

(2) وهو : حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، أبو يعلى، وقيل: أبو عمارة، كني بابنيه: يعلى، وعمارة. وأمه بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة، وهي ابنة عم آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم، وهو شقيق صفية بنت عبد المطلب أم الزبير، وهو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاعة . انظر أسد الغابة، ج١ص/٢٨١ .

(3) وهو : عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي ، أبو العباس ، ابن عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حبر الأمة وترجمان القرآن (٣ ق هـ ـ ٦٨ هـ) . انظر : حلية الأولياء ،ج١ص/٣١٤ ، ومعرفة الصحابة للأصبهاني، ج٣ ص/١٦٩٩ ، وأسد الغابة ،ج٣ص/٣٠٠ ، والإصابة لابن حجر ،ج٤ص/١٤١٤ .

(4) سورة النحل ،الآية ٩٥ .

(5) انظر : تفسير الماوردي ،ج٣ص/١٧٧،وتفسير القرطبي ،ج١٠ص/٦٥ ، وروح المعاني ،ج٧ص/٣٣٢ .

(6) وهو : قتادة بن دعامة السدوسي ، أبو الخطاب ، مفسر حافظ ، تابعي تكلم في القدر ، وربما دلس في الحديث (٦١ ـ ١١٨ هـ) . انظر حلية الأولياء ،ج٢ص/٣٣٣ ، والثقات للبستي ،ج٥ص/٣٢٣ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي، ج١ص/٩٢ ، وتهذيب التهذيب لابن حجر ،ج٨ص/٣٠٦ .

(7) سورة النحل، الآية ٤١ .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَـٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [1] ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [2] ،إلى آخر السورة، زاد مقاتل [3]، وقوله : ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [4] ، و ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [5] [6]) .

وروى أمية الأزدي [7] ،عن جابر بن زيد [8] : (أن أربعين آية منها نزلت بمكة، وبقيتها نزلت بالمدينة) [9] . وهي مكية في قول الحسن [10] ، وعكرمة [11] ،

---

(1) سورة النحل، الآية ١١٠ .

(2) سورة النحل، الآية ١٢٦ .

(3) وهو : مقاتل بن حيان البلخي ، أبو بسطام ، كان من العلماء العاملين ، ذا نسك ودين ، توفي سنة ١٥٠ هـ . انظر : مشاهير علماء الأمصار للبستي ،ص/١٩٥ ، وتهذيب الكمال للمزي ،ج٧ص/٢٠٨ ، وسير أعلام النبلاء، ج٦ص/٣٤٠، وتذكرة الحفاظ ،ج١ص/١٣١ .

(4) سورة النحل، الآية ١٠٦ .

(5) سورة النحل، الآية ١١٢ .

(6) انظر : تفسير الخازن ،ج٣ص/٦٦ .

(7) وهو : أمية بن زيد الأزدي البصري ، من كبار أتباع التابعين ، رتبته عند ابن حجر : مقبول . انظر رواة التهذيبيين ٥٥٤.

(8) وهو : أَبُو الشَّعْثَاءِ جَابِرُ بنُ زَيْدٍ الأَزْدِيُّ اليَحْمَدِيُّ مَوْلاَهُم، البَصْرِيُّ، الخَوْفِيُّ كَانَ عَالِمَ أَهْلِ البَصْرَةِ فِي زَمَانِهِ، وَهُوَ مِنْ كِبَارِ تَلاَمِذَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ. قَالَ أَحْمَدُ، وَالفَلاَّسُ، وَالبُخَارِيُّ، وَغَيْرُهُم: تُوُفِّيَ أَبُو الشَّعْثَاءِ سَنَةَ ثَلاَثٍ وَتِسْعِيْنَ. انظر : سير أعلام النبلاء ،ج٤ص/٤٨١ .

(9) انظر : روح المعاني ،ج٧ص/٣٣٢ .

(10) وهو : الحسن بن أبي الحسن بن يسار البصري ، أبو سعيد ، إمام زمانه علما وعملا (٢١ ـ ١١٠ هـ) . انظر : مشاهير علماء الأمصار ص٨٨ ، وسير أعلام النبلاء ،ج٤ص/٥٦٣ ، ومعرفة القراء الكبار للذهبي، ج١ص/٦٥ ، وغاية النهاية لابن الجزري ،ج١ص/٢٣٥ .

(11) وهو : عكرمة بن عبدالله البربري المدني ، أبو عبدالله ، مولى ابن عباس ، تابعي من أعلم الناس بالتفسير والمغازي (٢٥ ـ ١٠٥ هـ) . انظر : حلية الأولياء ،ج٣ص/٣٢٦ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ،ج٣ص/٢٦٥ ، وتهذيب التهذيب، ج٧ص/٢٢٨ ، وطبقات المفسرين للأدنه وي، ٢٤ .

وعطاء [1]، وجابر [2] [3] وقيل : كلها مدنية [4].

وبعد العرض السابق، أرى ـ والله أعلم ـ أن السورة مكية ،إلا في بعض آياتها ، ومما يؤكد ذلك :

١ ـ جميع موضوعات السورة تسير على ضوابط المكي ، فهي تتكلم عن الساعة ، والتوحيد ، والبعث والجزاء يوم القيامة ... .

٢ ـ عن عبد الله بن عباس ـ ﷺ ـ قال : بينما رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ بفناء بيته بمكة جالس، إذ مر به عثمان بن مظعون ـ رضي الله عنه ـ [5] فكشر [6] إلى رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ : " ألا تجلس قال :

---

[1] وهو : عطاء بن أبي رباح ، واسم أبي رباح أسلم القرشي ، مولاهم المكي ، ثقة فقيه فاضل من أساطين العلم ، توفي سنة : (١١٤ هـ) . انظر : حلية الأولياء ،ج٣ص/٣١٠ ، والثقات ،ج٥ص/١٩٨ ، وتهذيب الكمال، ج٥ص/١٦٦ وتذكرة الحفاظ ،ج١ص/٧٥ .

[2] وهو : جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي ، صحابي ، من المكثرين في الرواية عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وروى عن جماعة من الصحابة ، وكانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي، يؤخذ عنه العلم (١٦ ق هـ ـ ٧٨ هـ) . انظر : معرفة الصحابة ،ج٢ص/٥٥٢ ، والاستيعاب، ج١ص/٢٩٣ ، وأسد الغابة ،ج١ص/٣٠٦ ، والإصابة ،ج١ص/٤٣١ .

[3] انظر : تفسير القرطبي ،ج١٠ص/٦٥ ، والنكت والعيون ،ج٣ص/١٧٧ ، وروح المعاني ،ج٧ص/٣٣٢ .

[4] حكاه الأصم . انظر : تفسير الرازي ج١٩ص/١٧٣ ، وتفسير اللباب ج١ص/٣١٧ .

[5] وهو : عُثْمَانُ بنُ مَظْعُوْنِ بنِ حَبِيْبِ بنِ وَهْبٍ الجُمَحِيُّ ابْنِ حُذَافَةَ بنِ جُمَحَ بن عَمْرِو بنِ هُصَيْصِ بن كَعْبٍ الجُمَحِيُّ، أَبُو السَّائِبِ. مِنْ سَادَةِ المُهَاجِرِيْنَ، وَمِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ المُتَّقِيْنَ، الَّذِيْنَ فَازُوا بِوَفَاتِهِم فِي حَيَاةِ نَبِيِّهِم، فَصَلَّى عَلَيْهِم. وَمَاتَ: فِي شَعْبَانَ، سَنَةَ ثَلاَثٍ. انظر : سير أعلام النبلاء ،ج١ص/١٥٣ .

[6] الكَشْرُ: بُدُوُّ الأسنان عند التبسم . انظر : لسان العرب ج٥ص/١٤٢ .

بلى . قال : فجلس رسول الله صلى الله عليه و سلم مستقبله، فبينما هو يحدثه، إذ شخص رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ ببصره إلى السماء، فنظر ساعة إلى السماء ،فأخذ[1] يضع بصره حتى وضعه على يمينه في الأرض فتحرف رسول الله صلى الله عليه و سلم عن جليسه عثمان إلى حيث وضع بصره ،وأخذ ينغض رأسه[2] ،كأنه يستفقه ما يقال له وابن مظعون ينظر، فلما قضى حاجته ،واستفقه ما يقال له، شخص بصر رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ إلى السماء ،كما شخص أول مرة ،فاتبعه بصره حتى توارى في السماء، فأقبل إلى عثمان بجلسته الأولى، قال : يا محمد ،فيما كنت أجالسك وآتيك ما رأيتك تفعل كفعلك الغداة . قال : وما رأيتني فعلت؟ قال : رأيتك تشخص ببصرك إلى السماء، ثم وضعته حيث وضعته على يمينك، فتحرفت إليه وتركتني فأخذت تنغض رأسك، كأنك تستفقه شيئا يقال لك ،قال : وفطنت لذاك ؟قال :عثمان نعم . قال رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ أتاني رسول الله آنفا وأنت جالس، قال : رسول الله ؟ قال : نعم . قال : فما قال لك ؟ قال :﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[3] . قال : عثمان فذلك حين استقر الإيمان في قلبي، وأحببت محمدا "[4] . فهذا الحديث ـ وإن كان فيه مقال ـ يدل على أن السورة مكية التصريح في الآية التسعين بأنها كانت مقروءة لدى النبي ﷺ في العهد المكي .

---

[1] شَخَصَ بصره ،من باب خضع فهو شَاخِصٌ ،إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف . انظر : مختار الصحاح، ج١ص/١٤٠ .

[2] ينغض رأسه : يحركه ويميل إليه . انظر : لسان العرب ج٧ص/٢٣٨ .

[3] سورة النحل الآية ٩٠ .

[4] مسند الإمام أحمد ،ج١ص/٣١٨ ، وعلق عليه شعيب الأرنؤوط بأنه ضعيف ، والأدب المفرد، وعلق عليه الألباني بأنه ضعيف ،ج١ص/٣٠٧ ، والمعجم الكبير ،ج٧ص/٤٢٢ ، وقال في معجم الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ، رواه أحمد والطبراني ، (وشهر) وثقه أحمد وجماعة، وفيه ضعف لا يضر ، وبقية رجاله ثقات، ج٦ص/٤١٨ ، وانظر : تفسير ابن كثير ،ج٤ص/٥٩٧ .

٣ ـ قد ورد عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بأسانيد صحيحة ،نزول خواتيم النحل بمكة، سأذكرها تباعا بحول الله .

٤ ـ جابر بن زيد القائل بأن أربعين آية من أول السورة مكي ، وما بعدها مدني ،لا يرى مدنية السورة [١] .

٥ ـ ذكر ابن الضريس [٢] ، أن سورة النحل من القسم المكي [٣] .

ومن الروايات الدالة على مكية السورة .

١ ـ وأورد الزهري [٤] ترتيب سور القرآن ، وجعل سورة النحل من السور المكية [٥] .

٢ ـ ما ذكرته في صدر المطلب الأول عن ابن عباس ، وقتادة ، ومقاتل ، والحسن ، وعكرمة ، وعطاء وجابر، من أن السورة مكية [٦] .

---

[١] انظر : البيان ،ص/١٣٥ .

[٢] هو : ابْن الضُّرَيْس، أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ أَيُّوْبَ الرَّازِيّ الحَافِظُ، المُحَدِّث، الثِّقَة، المُعَمَّر، المصنِّف، أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ أَيُّوْب بن يَحْيَى بن ضُرَيْس، البَجَلِيّ، الرَّازِيّ، صَاحِب كِتَاب (فضَائِل القُرْآن). مَوْلِدُهُ فِي حُدُوْدِ عَام مائَتَيْن. مَاتَ ابْن الضُّرَيْس يَوْم عَاشُورَاء سَنَة أَرْبَعٍ وَتِسْعِيْنَ وَمائَتَيْن بِالرَّيِّ . انظر : سير أعلام النبلاء ،ج١٣ص/٤٤٨ .

[٣] انظر : فضائل القرآن لابن الضريس ،ج ١ص/٣٤ .

[٤] وهو : مُحَمَّدُ بنُ مُسْلِمِ بن عُبَيْدِ اللهِ ابْنِ عَبْدِ اللهِ بن شِهَابِ ، الإِمَامُ، العَلَمُ، حَافِظُ زَمَانِه، أَبُو بَكْرٍ القُرَشِيُّ، الزُّهْرِيُّ، المَدَنِيُّ، نَزِيلُ الشَّامِ. رَوَى عَن: ابْنِ عُمَرَ، وَجَابِرِ بن عَبْدِ اللهِ شَيْئاً قَلِيْلاً، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُوْنَ سَمِعَ مِنْهُمَا، وَأَنْ يَكُوْنَ رَأَى أَبَا هُرَيْرَةَ وَغَيْرَهُ ، فَإِنَّ مَوْلِدَه فِيمَا قَالَهُ دُحَيْمٌ ،وَأَحْمَدُ بنُ صَالِحٍ: فِي سَنَةِ خَمْسِيْنَ، وَفِيْمَا قَالَهُ خَلِيْفَةُ بنُ خَيَّاطٍ: سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِيْنَ. انظر : سير أعلام النبلاء ،ج٥ص/٣٢٦ .

[٥] انظر : تنزيل القرآن لابن شهاب ،ص/٢٨ .

[٦] انظر : ص/٤٤ من هذه الرسالة .

المطلب الثانى : الآيات التي قيل عنها أنها مدنية :

الآيتان الحادية والأربعون والثانية والأربعون ،قوله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [١] .

ومستند القول بمدنيتهما ما يلى :

أولا : ما أخرجه الطبري من طريق عطية العوفي[٢] عن ابن عباس : (هم قوم هاجروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة بعد ظلمهم، وظلمهم المشركون) [٣].

وفي إسناد هذا الدليل نظر ؛ لأن فيه عطية العوفي [٤] ،وهو ضعيف ، ثم ما بينه ابن عطية [٥] من أن الصحيح عند جمهور أهل العلم هو نزول هذه الآية في مهاجري

---

(١) سورة النحل ،الآيتان :٤١ و ٤٢.

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، إمام المفسرين، وصاحب جامع البيان في تفسير القرآن، المتوفى سنة ٣١٠هـ . ينظر : سير أعلام النبلاء (٣/٣٣٦٦)، وطبقات المفسرين للداوودي (٣٦٤)، وطبقات الأدنه وي (٤٨) .

(٣) انظر : تفسير الطبري ،ج١٧ص/٢٠٤ .

(٤) وهو : عطية بن سعد ، أبو الحسن الكوفي ، ضعيف ومدلس ، فقد ضعفه أحمد بن حنبل ، وهشيم ، والثوري ، ويحيى بن معين ، وعده ابن حجر في المرتبة الثالثة من مراتب المدلسين ، وهم الذين أكثروا من التدليس ،فلم يحتج الأئمة إلا بما صرحوا فيه بالسماع ، وقد قيل : إنه كان يجالس أبا سعيد الخدري ﷺ ، فلما مات جالس الكلبي ، فيروي عنه، ويكنيه بأبي سعيد ، توفي سنة ١٢٧ هـ . انظر : الضعفاء الكبير للعقيلي ،ج٣ص/٣٥٩ ، والكامل في الضعفاء لابن عدي، ج٥ص/٣٦٩ ، وتعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس لابن حجر العسقلاني، ص/١٣٠ .

(٥) وهو : عبدالحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي ، أبو محمد الأندلسي ، كان فقيها عالما بالتفسير والحديث واللغة والنحو ، توفي سنة ٥٤٦ هـ . انظر : السير للشيباني ،ج١٩ص/٥٨٦ ، وطبقات المفسرين للسيوطي ،ص/٦٠ ، وطبقات المفسرين ،ج١ص/٢٦٥ .

الحبشة ،حيث قال : (لما ذكر الله ـ تعالى ـ كفار مكة الذين أقسموا، أن الله لا يبعث من يموت، ورد على قولهم ، ذكر مؤمني مكة المعاصرين لهم ، وهم الذين هاجروا إلى أرض الحبشة ، هذا قول الجمهور ، وهو الصحيح في سبب الآية ؛ لأن هجرة المدينة لم تكن وقت نزول الآية) [١].

ثانيا : ما أخرجه الطبري عن داوود بن أبي هند [٢] ،

قال : (﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ ﴾ ،إلى قوله: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ في أبي جندل بن سهيل) [٣] [٤] .

وإسناد هذا الدليل معضل [٥] ، ولا يوجد في الرواية تصريح بأن قصة أبي جندل ﷺ هي سبب نزول الآية ، والصحيح كما علمنا ،أنها نزلت في مهاجري الحبشة ، وقد ذكره البخاري [٦] في باب غزوة الحديبية [٧] ، وقال ابن عطية ـ رحمه الله ـ بعد أن ذكر قول من قال إن سبب الآية أبو جندل ... قال : (وهذا ضعيف ، لأن أمر أبي جندل كان والنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة) [٨] .

---

[١] انظر : المحرر الوجيز لابن عطية ،ج٤ص/١٦٩ .

[٢] وهو : القشيري مولاهم ، أبو بكر ، أو أبو محمد البصري ، الإمام الزاهد الورع ، ثقة ،ثبت حجة ، توفي سنة ١٣٩ هـ . انظر : تاريخ البخاري ،ج٣ص/٢٣١ ، والحلية ،ج٣ص/٩٢ ، والسير ،ج٦ص/٣٧٦ .

[٣] وهو : أبو جندل بن سهيل بن عمرو، صحابي، قرشي ، جاء إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل فراغ كتاب الحديبية ، وكان من ضمن الشروط التي اشترطها سهيل بن عمرو ،أنه قال : لا يأتيك منا أحد ،وإن كان على دينك إلا رددته إلينا ، وخليت بيننا وبينه ، فرد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبا جندل بن سهيل يومئذ إلى أبيه ، واستشهد أبو جندل باليمامة ،وهو ابن ثمان وثلاثين سنة . انظر : الإصابة ،ج٤ص/٣٤ .

[٤] انظر : تفسير الطبري ،ج١٧ص/٢٠٥ .

[٥] وهو : ما سقط من إسناده اثنان فصاعدا . انظر : النكت على مقدمة ابن الصلاح لابن بهادر، ج٢ص/١٤ .

[٦] وهو : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بردزبة الجعفي مولاهم ، أبو عبدالله البخاري ، كان إماما ، حافظا ، حجة ، رأسا في الفقه والحديث ، مجتهدا في الدين والورع والتأله ، توفي سنة ٢٥٦ هـ . انظر : تاريخ بغداد للبغدادي، ج٢ص/٤ ، وتهذيب الكمال ،ج٢٤ص/٤٣٠ ، والكاشف للذهبي، ج٢ص/١٥٦ .

[٧] صحيح البخاري ، كتاب المغازي ،ج١٤ص/٨١ .

[٨] انظر : تفسير ابن عطية ،ج٤ص/١٦٩ .

فنخلص إلى أن دعوى مدنية هاتين الآيتين تستند على أدلة ضعيفة ، والاعتماد على ما ذهب إليه الجمهور ، في أنهما نزلتا في مهاجري الحبشة ، وإن كان المعنى يعم كل من هاجر[١] .

---

(١) انظر : المكي والمدني في القرآن الكريم لعبدالرزاق حسين أحمد ،رسالة ماجستير ،ج٢ص/٧٣١ .

الآية السادسة بعد المئة قوله تعالى :

﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [١] .

ومستند القول بمدنيتها أنها :

(نزلت في أناس من أهل مكة آمنوا فكتب إليهم بعض أصحاب النبي صلى

الله عليه وسلم أن هاجروا إلينا ،فإنا لا نراكم منا حتى تهاجروا ، فخرجوا يريدون المدينة، فأدركتهم قريش في الطريق ،ففتنوهم عن دينهم ،فكفروا كارهين) [٢] .

وهذا القول رُدّ وضُعّف ؛ لأن الآية مكية ،وكان هذا في أول الإسلام ،قبل أن يؤمروا بالهجرة [٣] .

الآية العاشرة بعد المئة :

---

(١) سورة النحل، الآية ١٠٦ .
(٢) انظر : تفسير الخازن ،ج٣/ص٩٩ .
(٣) انظر : المرجع السابق .

﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَـٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [١] .

ومستند القول بمدنيتها :

قول مقاتل : ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ ﴾ (من مكة إلى النبي صل الله عليه وسلم بالمدينة) [٢] .

ويقول ابن عطية : (وهذه الآية مدَنية ، ولا أعلم في ذلك خلافاً ، وإن وجد فهو ضعيف) [٣] .

فنخلص إلى أن هذه الآية مدنية .

الآية الثانية عشرة بعد المئة :

---

[١] سورة النحل ،الآية ١١٠ .

[٢] انظر : تفسير مقاتل ،ج٢ص/٢٤٠ .

[٣] انظر : تفسير ابن عطية ،ج٤ص/٢٠٢ .

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [1] .

ومستند القول بمدنيتها :

(لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ وصف هذه القرية بصفات ست كانت هذه الصفات موجودة في أهل مكة ، فضربها الله مثلا لأهل المدينة ، يحذرهم أن يصنعوا مثل صنيعهم ، فيصيبهم ما أصابهم من الجوع والخوف ، ويشهد لصحة ما قلت ،إن الخوف المذكور في هذه الآية في قوله : (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) هو البعوث والسرايا التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يبعثها) [2] .

ويستدلون بقول حفصة [3] ـ رضي الله عنها ـ عندما كان عثمان [4] ـ رضي الله عنه ـ محصورا : (فكانت تسأل عنه ما فعل، حتى رأت راكبين ، فأرسلت إليهما تسألهما، فقالا : قُتِل ، فقالت حفصة: والذي نفسي بيده إنها القرية، تعني المدينة التي قال الله تعالى : ﴿

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [5].

---

[1] سورة النحل الآية ١١٢ .

[2] انظر : تفسير الخازن ،ج٣ص١٠٢ .

[3] وهي : حفصة بنت عمر بن الخطاب ، صحابية جليلة صالحة ، من أزواج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، ولدت بمكة، وتزوجها خنيس بن حذافة السهمي ، فكانت عنده إلى أن ظهر الإسلام ، فأسلم ، وهاجرا إلى المدينة ، فمات عنها، فخطبها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أبيها ، فزوجه إياها . (١٨ ق هـ ـ ٤٥ هـ) . انظر : الاستيعاب، ج٤ص/٣٧٢ ، وحلية الأولياء ،ج٢ص/٥٠ ، وأسد الغابة ،ج٧ص/٧٤ .

[4] وهو : عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، من قريش، أمير المؤمنين، ذو النورين، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين، من كبار الرجال الذين اعتز بهم الإسلام في عهد ظهوره. ولد بمكة، وأسلم بعد البعثة بقليل. وكان غنيا شريفا في الجاهلية . انظر الأعلام ،ج٤ص/٢١٠ .

[5] سورة النحل الآية ١١٢ . وانظر : تفسير الطبري ،ج١٧ص/٣١٠ .

ولكن ابن عطية رد على استشهاد الطبري بقول حفصة ـ رضي الله عنها ـ حيث قال : (فأدخل الطبري هذا على أن حفصة ،قالت : إن الآية نزلت في المدينة ،وإنها هي التي ضربت مثلاً ، والأمر عندي ليس كذلك ،وإنما أرادت أن المدينة قد حصلت في محذور المثل وحل بها ما حل بالتي جعلت مثلاً ، وكذلك يتوجه عندي في الآية ،أنها قصد بها قرية غير معينة ، جعلت مثلاً لمكة ،على معنى التحذير لأهلها ،ولغيرها من القرى إلى يوم القيامة) [1].

فنخلص إلى أن قول حفصة ـ رضي الله عنها ـ على سبيل التمثيل ، لا على وجه التفسير [2].

الآيات ١٢٦ إلى ١٢٨ قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [3] .

اختلف العلماء في الآيات السابقة إلى ثلاثة أقوال :

---

[1] انظر : تفسير ابن عطية ج٤ص/٢٠٤ .

[2] انظر : زاد المسير ج٤ص/١٣٢ .

[3] سورة النحل من ١٢٦ إلى ١٢٨ .

منهم من يقول : إن الثلاث آيات كلها مدنية [1] ، ومنهم من يقول : إن الآيات مكيات تبعا للسورة [2] ، ويرى أصحاب القول الثالث ، أن هذه الآيات مما تكرر نزوله ، نزلت في مكة ، ونزلت مرة أخرى في المدينة [3] .

وأدلة أصحاب القول الأول :

١ ـ عن أبي بن كعب [4] ، قال : (لما كان يوم أحد [5] ، قتل من الأنصار أربعة وستون رجلا ،ومن المهاجرين ستة . فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم : لئن كان لنا يوم مثل هذا من المشركين لنربين [6] عليهم، فلما كان يوم الفتح ،قال رجل لا يعرف : لا قريش بعد اليوم ،فنادى منادى رسول الله صلى الله عليه و سلم أمن الأسود والأبيض إلا فلانا وفلانا، ناسا سماهم ،فانزل الله تبارك وتعالى ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [7] ،فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : (نصبر ولا نعاقب) [8] .

---

(1) انظر : تفسير مقاتل ،ج٢ص/٥٧ ، ومعاني القرآن للزجاج ،ج٣ص/١٨٩ ، وتفسير السمعاني ،ج٣ص/٢٦٠ ، وتفسير البغوي ،ج٥ص/٧ ، وتفسير البيضاوي ،ج١ص/٥٤٨ ، وتفسير الخازن ،ج٤ص/٧٨ ، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، ج١٤ص/٤١ ، ومصاعد النظر ،ج٢ص/٢٠٧ ، وتفسير أبي السعود ،ج٥ص/٩٤ .

(2) انظر : معاني القرآن للنحاس ،ج٤ص/١١٢ ، وتفسير الرازي ،ج٢٠ص/١٤٢ ، ومحاسن التأويل للقاسمي، ج١٠ص/١٨٠، والتحرير والتنوير ،ج١٤ص/٣٣٥ ، والتفسير الحديث لمحمد عزت دروزة ،ج٦ص/١١٧ .

(3) انظر : الإتقان ،ج١ص/١٠٧ نقله السيوطي عن ابن الحصار .

(4) وهو : أبي بن كعب بن قيس بن عبيد ، من بني النجار ، أبو المنذر ، صحابي أنصاري ، سيد القراء ، كان قبل الإسلام حبرا من أحبار اليهود ، ولما أسلم كان من كتاب الوحي ، توفي سنة ٢١ هـ . انظر : معرفة الصحابة، ج١ص/٢١٤ ، وحلية الأولياء ،ج١ص/٣١٥ ، وأسد الغابة ،ج١ص/٧٨ ، والإصابة ،ج١ص/٢٧ .

(5) وهو : جبل أحُد، وهو جبل أحمر أعلاه دَكْدكٌ، بينه وبين المدينة ميل وأفسح قليلا في شماليّ المدينة . انظر : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار للعمري ،ج١ص/١٦ .

(6) رَبَا الشيء : زاد . انظر : مختار الصحاح ج١ص/٩٨ .

(7) سورة النحل، الآية ١٢٦ .

(8) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، حديث أبي العالية الرياحي عن أبي كعب ـ رضى الله عنه ـ ،ج٥ص/١٣٥ ، وعلق عليه شعيب الأرنؤوط بأن إسناده حسن .

٢ ـ عن أبي هريرة [١] ـ رضي الله عنه ـ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على حمزة بن عبد المطلب ،حين استشهد ،فنظر إلى منظر لم ينظر إلى منظر أوجع للقلب منه، أو قال لقلبه منه ،ونظر إليه وقد مثل [٢] به ،فقال : رحمة الله عليك ،إن كنت ما علمت لوصولا للرحم ،فعولا للخيرات ،والله لولا حزن من بعدك عليك ،لسرني أن أتركك حتى يحشرك الله من بطون السباع ،أو كلمة نحوها ،أما والله على ذلك لأمثلن بسبعين كمثلتك، فنزل جبريل ـ عليه السلام ـ على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بهذه السورة ،وقرأ ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ ﴾ إلى آخر الآية فكفّر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمسك ، عن ذلك) [٣] .

وأدلة أصحاب القول الثاني :

١ ـ إطلاق بعض الصحابة القول بأن السورة كلها مكية [٤] .

٢ ـ أن قوله تعالى : ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ ﴾ [٥] نزل قبل مشروعية الجهاد ، وهذا لا يكون إلا في مكة [٦] .

---

[١] وهو : عبدالرحمن بن صخر الدوسي ، الملقب بأبي هريرة ، إمام، فقيه ،مجتهد ،حافظ ، سيد الحفاظ الأثبات ، روى عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ٥٣٧٤ حديثا (٢١ ق هـ ـ ٥٩ هـ) . انظر : طبقات خليفة ،ص/١١٤ ، وأخبار القضاة لوكيع ،ج١ص/١١١ ، وأسد الغابة ،ج٦ص/٣٣٦ .

[٢] و مَثَلَ بالرجل يَمْثُل مَثْلاً و مُثْلة؛ الأخيرة عن ابن الأعرابي ، و مَثَّل، كلاهما: نكَّل به، وهي الـمَثُلة و الـمُثْلة. انظر : لسان العرب ج١١ص/٦١٤ .

[٣] مسند البزار ،المجلد السابع عشر ،ما انفرد به البصريون ، أبو العالية أو غيره ،ج١٧ص/٢١ ، وقال الحافظ ابن كثير (٢ / ٥٩٢) : " وهذا إسناد فيه ضعف ؛لأن صالحا هو ابن بشير المري ،ضعيف عند الأئمة " . وكذلك ضعفه الهيثمي في " المجمع " (٦ / ١١٩) ..انظر : انظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ج٢ص/٢٨ .

[٤] كابن عباس، وابن الزبير . انظر : الدر المنثور ،ج٥ص/١٠٧ .

[٥] سورة النحل ،الآية ١٢٦ .

[٦] انظر : معاني القرآن للنحاس ،ج٤ص/١١٢ .

٣ ـ أن الروايات التي تفيد نزول هذه الآيات عقب غزوة أحد أو فتح مكة في شأن التمثيل بقتلى أحد ، لا يعني نزولها في ذلك الوقت .

٤ ـ أن دلالة السياق واضحة ، ولموافقته للقاعدة الترجيحية التي تنص على أن " القول الذي تؤيده القرائن في السياق مرجح على ما خالفه " [١]

وأما أصحاب القول الثالث :

فأرادوا التوفيق بين الروايات ، فجعلوها مما تكرر نزوله ، وأرى ـ والله أعلم ـ أنه الرأي الراجح .

والخلاصة ،أن هذه السورة مكية ،عدا الآية العاشرة بعد المئة ،فهي مدنية ، والآيات السادسة والعشرون بعد المئة ،وحتى آخرها، فهي مما تكرر نزوله ، والله أعلى وأعلم وأحكم .

---

[١] انظر : قواعد الترجيح للحربي ،ج١ص/٢٩٩ .

المبحث الثالث : مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها ، وفيه ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : الفائدة من معرفة المناسبات بين السور والآيات .

المناسبة لغة :

(النون ، والسين ، والباء ، كلمة واحدة ، قياسها اتصال شيء بشيء ، منه النسب ، سمي لاتصاله ، وللاتصال به تقول : نسبت أنسب . وهو نسيب فلان، والنسيب : الطريق المستقيم ؛ لاتصال بعضه من بعض) [١] .

(وليس بينهما مناسبة أي : مشاكلة ، وفلانٌ يناسِبُ فلانا، فهو نَسِيبه أي قَريبه) [٢] .

والمشاكلة تعني المماثلة . تقول : هذا شكل هذا : أي : مثله .

فالمناسبة تعني : الاتصال ، والمشاكلة ، والمماثلة ، والقرابة .

المناسبة اصطلاحا :

ارتباط آي القرآن بعضها ببعض ،حتى تكون كالكلمة الواحدة ،متسقة المعاني ،منتظمة المباني [٣] .

---

(١) انظر : مقاييس اللغة لابن فارس ،ج٥ص/٤٢٣ .

(٢) انظر : لسان العرب ،ج١ص/٧٥٦ .

(٣) انظر : الإتقان في علوم القرآن ،ج٢ص/٢٨٨ ، وقد نسب هذا الكلام صاحب الإتقان إلى ابن العربي في سراج المريدين .

أو أنه علم يُعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن [1] .

أو هي بيان : وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة ، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة ، أو بين السورة والسورة [2] .

فوائد المناسبات :

١ ـ جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ،ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء [3] .

٢ ـ المناسبة بين الآيات، تساعد كذلك على حسن التأويل ، ودقة الفهم ، وإدراك اتساق المعاني بين الآيات ، وترابط أفكارها ، وترابط ألفاظها . فالقرآن الكريم فيه كثير من فنون العقائد ، والأحكام ، والأخلاق ، والوعظ ، والقصص ، وغيرها من مقاصد القرآن التي جعلها الله ـ سبحانه ـ هداية للبشر ، والتي تدور جميعها على الدعوة إلى الله، والقرآن يبث هذا المعنى من خلال المقاصد ، والأغراض الموزعة على كافة الآيات والسور ، فلو جمع كل نوع على حدة ؛ لفقد القرآن الكريم بذلك أعظم مزاياه المقصودة [4] .

---

(١) انظر : نظم الدرر في تناسب الآي والسور للبقاعي ،ج١ص/٦ .

(٢) انظر : مباحث في علوم القرآن للقطان ،ص/٩٧ .

(٣) انظر : البرهان في علوم القرآن ،ج١ص/٣٥ .

(٤) انظر : المناسبات بين الآيات وسورها وفوائدها للدكتور / سامي عطا حسن ،ج١ص/١٢ .

المطلب الثاني : مناسبة سورة النحل لما قبلها، وهي سورة الحجر :

وجه ارتباطها بما قبلها ،أنه تعالى لما قال في سورة الحجر: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾[1] ،كان ذ لك تنبيها على حشرهم يوم القيامة ، وسؤالهم عما أجرموه في دار الدنيا، فقيل : أتى أمر الله [2] .

وأيضا لما ختم الحجر بالإشارة إلى إتيان اليقين ، وهو صالح لموت الكل ، ولكشف الغطاء بإتيان ما يوعدون ،مما يستعجلون به ،استهزاء من العذاب في الآخرة ،بعد ما يلقون في الدنيا ؛ ابتدأ هذه بمثل ذلك سواء ، غير أنه ختم تلك باسم الرب المفهم للإحسان ؛لطفا بالمخاطب ، وافتتح هذه باسمه الأعظم الجامع لجميع معاني الأسماء ـ إذا كان اسم (الله) هو الاسم الأعظم ـ ؛ لأن ذلك أليق بمقام التهديد ، ولما ستعرفه من المعاني المتنوعة في أثناء السورة ، وسيكرر هذا الاسم فيها تكرارا تعلم منه صحة هذه الدعوى ، حيث عبر عن الآتي بالماضي ،إشارة إلى تحققه تحقق ما وقع ومضى ، وإلى أن كل آتٍ ولا بد أن يكون قريبا ، فقال ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ [3] ، أي الملك الأعظم الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، بما يذل الأعداء ، ويعز الأولياء ، ويشفي صدورهم ، ويقر أعينهم[4] .

---

[1] سورة الحجر، الآية ٩٢ .

[2] انظر : البحر المحيط لأبي حيان ،ج٥ص/٣٨٤ ، وتفسير المراغي ،ج١٤ص/٥١ ، والتفسير الواضح، ج٢ص/، ٢٩٦ والتفسير المنير ،ج١٤ص/٧٩ ، والتفسير القرآني للقرآن للخطيب ،ج٧ص/٢٦٨ ، وروح المعاني، ج٧ص/٣٣٤ .

[3] سورة النحل ،الآية ١ .

[4] انظر : نظم الدرر ،ج٤ص/٢٤٣ وتفسير المراغي ،ج١٤ص/٥١ ، والتفسير الواضح ،ج٢ص/٢٩٦ ، والتفسير المنير ،ج١٤ص/٧٩، وروح المعاني ،ج٧ص/٣٣٤ .

وأيضا مناسبتها لسورة إبراهيم لأنه تعالى ذكر هناك فتنة الميت، وما يحصل عندها من الثبات أو الخذلان ، وذكر هنا ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ ، و ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[١] ، وما يحصل عقب ذلك من النعيم أو العذاب ، وذكر أيضا النعيم في سورة إبراهيم ،وقال بعده : ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[٢] ، وكررت الآية نفسها هنا : ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾[٣] ، وذكر هنا أنواع النّعم المختلفة[٤] ، تأكيدا وتذكيرا متكررا بنعم الله التي لا يحيط بها الحصر ، ولا يحصيها العد ، ونعمة وإن كان مفردا إلا أنه مضاف إلى لفظ الجلالة ، فيعم ، أي : نعم الله ـ جل وعز ـ .

---

[١] سورة النحل ،الآية ٢٨ و٣٢ .

[٢] سورة إبراهيم ،الآية ٣٤ .

[٣] سورة النحل ،الآية ١٨ .

[٤] انظر : التفسير المنير ،ج١٤ص/٨٠ .

المطلب الثالث : مناسبة سورة النحل لما بعدها ،وهي سورة الإسراء :

إنه ـ تعالى ـ لما أمر رسوله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالصبر، ونهاه عن الحزن عليهم ،وألا يضيق صدره من مكرهم ، وكان من مكرهم نسبته إلى الكذب والسحر، وغير ذلك مما رموه به، أعقب ـ تعالى ـ ذلك بذكر شرفه ،وفضله ،واحتفائه به ،وعلو منزلته عنده [1] . ومن المناسبة أيضا ،أنه لما كان مقصود سورة النحل ،التنزه عن الاستعجال وغيره من صفات النقص ، والاتصاف بالكمال المطلق ؛ لأنه قادر على الأمور الهائلة، ومنها جعل الساعة كلمح البصر أو أقرب ، وختمها بعد بالتنويه بفضل إبراهيم خليل الله ـ عليه السلام ـ والأمر باتباعه بالإشارة إلى نصر أوليائه ـ مع ضعفهم في ذلك الزمان وقلتهم ـ على أعدائه ،على كثرتهم وقوتهم ، وكان ذلك من خوارق العادات ونواقض المطردات ، وأمرهم بالتأني والإحسان ؛ افتتح هذه بتحقيق ما أشار الختم إليه ، بما خرقه من العادة في الإسراء ، وتنزيه ذاته ـ جل وعلا ـ من توهم استبعاد ذلك ؛ تنبيها على أنه قادر على أن يفعل الأمور العظيمة في أسرع وقت كما قال ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾[2] ؛ دفعاً لما قد يتوهم من يسمع نهيه عن الاستعجال وأمره بالصبر ؛ وبيانا لأنه مع المتقي المحسن ؛ وتنويها بأمر محمد ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ ، وإعلاما بأنه رأس المحسنين ،وأعلاهم رتبة ،وأعظمهم منزلة ، بما آتاه من الخصائص التي منها المقام المحمود ، وتمثيلا لما أخبر به من أمر الساعة ، فقال تعالى : ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ﴾(وهو علم للتنزيه ، دال على أبلغ ما يكون من معناه ، منصوب بفعل متروك إظهاره ، فسد مسده) فنزه ذاته العلية عن كل شائبة نقص، يمكن أن يضفيها عليه أعداؤه بهذا اللفظ الأبلغ ،عقب الأمر بالتأني آخر النحل .

كما نزه ذاته المقدسة بذلك اللفظ ،عقب النهي عن الاستعجال في أولها ، وهو دفع لما علم من ردهم على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتكذيبهم له ، إذا حدثهم عن الإسراء ، وفيه

---

[1] انظر : البحر المحيط ج٧ص/٦ .
[2] سورة يس ، الآية ٨٢ .

مع ذلك إيماء إلى التعجب من قصة الإسراء ؛ للتنبيه على أنها من الأمور البالغة في العظمة ، إلى حد لا يمكن استيفاء وصفه [1] .

---

[1] انظر : نظم الدرر ،ج٤ص/٣٢٧ .

الفصل الثالث : ويشتمل على مبحثين :أسباب نزول السورة ،ومقاصدها وأهدافها.

المبحث الأول : أسباب النزول المروية في نزول بعض آيات السورة :

قوله ـ سبحانه وتعالى ـ : ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ ﴾ [1] .

عن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ ، قال : (لما كان يوم أحد ، أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلا ،ومن المهاجرين ستة فيهم حمزة ،فمثلوا بهم .فقالت الأنصار لئن أصبنا منهم يوما مثل هذا لنربين عليهم ،قال : فلما كان يوم فتح مكة، فأنزل الله : ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ ،فقال رجل لا قريش بعد اليوم ،فقال رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ : كفوا عن القوم إلا أربعة) [2] ، وفي رواية أخرى عن أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ ، قال : (لما كان يوم أحد، قتل من الأنصار أربعة وستون رجلا ،ومن المهاجرين ستة ،فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم : لئن كان لنا يوم مثل هذا من المشركين لنربين عليهم .فلما كان يوم الفتح قال رجل لا يعرف : لا قريش بعد اليوم ،فنادى منادى رسول الله صلى الله عليه و سلم : أمن الأسود والأبيض إلا فلانا وفلانا ، ناسا سماهم فانزل الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ : " نصبر ولا نعاقب " [3] .

---

[1] سورة النحل ، الآية ١٢٦ .

[2] أخرجه الترمذي في سننه ، باب سورة النحل ج٥ص/٢٩٩ ، قال هذا حديث حسن غريب من حديث أبي بن كعب . قال الشيخ الألباني : حسن صحيح الإسناد . انظر : صحيح وضعيف سنن الترمذي ،ج٧ص/١٢٩ .

[3] سبقت الإشارة إليه في هذه الرسالة ص/ ٥٦ .

المبحث الثاني: مقاصد السورة وأهدافها:

(١) استهلت السورة الكريمة آيتها الأولى ببراعة فائقة وبداية رائعة، جعلت من المتوقع واقعًا متحقق الوقوع، ودليلًا على أن الله هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، المستحق لإفراده بالعبادة وحده دون سواه. وكانت هذه البداية بداية شديدة القرع، فيها من التهديد والوعيد لمن يستحقه من أهل الكفر والزيغ والعناد، الذين كذَّبوا بوقوع العذاب؛ فكان الردُّ من الله الواحد الأحد سريعًا بتحقق وقوعه، ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ ؛ لأن وقوعه يعني أن الدمار شامل، والإبادة جماعية، والنهاية نهاية أمة، ولكن عنادهم وجهلهم بقوة الواحد الأحد، أعمى أبصارهم، وأصمَّ آذانهم؛ فحسبوا أن مُخبرهم بكلام الله محمد رسول الله ﷺ إنما يخوفهم بما لا وجود له، وأيقنوا أن الله مهملهم لا ممهلهم، ولكنه مع ذلك ينعم عليهم بالإمهال. كما بيَّنت السورة أنه هو الله الواحد المستحق للعبادة، المُنزّه عن الشريك ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ، وأن الكل إليه راجع، وسيبعثهم طال الزمان أو قصر، ولا عذر لأحد؛ فالله اصطفى ملائكته، وهي نعمة خاصة بالملائكة من المنعم ـ سبحانه ـ لأن ينزلوا بكلامه على من يصطفي من البشر، ليكونوا رسل الله في أرضه، وهي نعمة خاصة أيضًا للرسل؛ لينذروا الناس، ويبيِّنوا أن المستحق للعبادة هو الله، حيث قال: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾[١]. ولا شكَّ أن أكبر نعمة أنعمها الله على خلقه توفيق من وفق منهم لتوحيده، وهي أعظم النعم الدالة عليه ـ سبحانه وتعالى[٢].

---

(١) سورة النحل، الآية ٢.
(٢) انظر: تفسير سورة النحل وبيان الأهداف التي ترمي إليها (رسالة جامعية) ، للدكتور/ محمد متولي إدريس، ص ١١٠ بتصرف.

(٢) ونتيجة للبداية السابقة، وهي بيان توحيد الله، كان من المناسب سرد أدلة ذلك التوحيد؛ فذكر الأدلة على التوحيد، وهي خلق السماوات والأرض خلقًا متقنًا، وتصريفًا محكمًا لسماواته ومن فيهن،ولأرضه ومن فيهن، وهذا من الأدلة العظمى على توحيده واستحقاقه العبادة وحده لا شريك له،ومن النعم الكبرى. ومن الأدلة أيضًا، خلق الإنسان الذي جعله خليفة في الأرض، والذي هو في أصله نطفة، فكيف يتجرأ على الخالق الواحد؟ وكيف يُشرك معه غيره؟ وكيف لا يُوحِّده؟ وهو مخلوق ضعيف يدلُّ خلقه على خالقه، المستحق لإفراده بالعبادة، وتنزيهه عن الند والنظير والشريك. ثم إن خلقه نعمة أخرى تُضاف إلى ما سبق ذكره من النعم، وما سيتبعها من نعم أخرى، كخلق الأنعام لهذا الإنسان، الذي ينسى أصل خلقته، ويتناسى خالقه المنعم، وينسى أن كل النعم من المنعم وحده.

ولم تقتصر نعم الأنعام على الأكل فقط؛ بل تعدَّت إلى الانتفاع بها، والاستفادة من أصوافها، وأوبارها، وأشعارها في صنع لباس وفرش يقيهم البرد، ويكون دفئًا لهم، حيث قال الله: ﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٥ ﴾ [١]. وليس عند هذا الحد فقط؛ بل تعدَّت النعم الدالة على المنعم، إلى الاستمتاع بجمال أنعامه، وهي قادمة من الرواح ملأى بطونها، حافلة ضروعها [٢]، وجمالها أيضًا وهي سارحة إلى المرعى. وتستمر أدلة توحيد الله في إنعامه على خلقه، بمساعدة تلك الحيوانات في حمل الأثقال من متاع وطعام وأبدان، تُعينكم وتخفِّف المشقة عنكم، ولن تقف نعمه عليكم عند هذا الحد، بل ﴿ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾، وهنا تهيئة لأذهان الخلق لاستقبال ما ستتمخَّض عنه قدرة القادر الواحد من خلق جديد يخلقه، ونعمة أخرى ينعم بها، ودلالة عظمى يبدعها، تدلُّ على استحقاقه للعبادة. وما نراه في عصرنا من وسائل نقل، وحمل، وركوب، وزينة متعددة متنوعة، لا يشكُّ عاقل في أنها من الخلق الجديد الذي وعد الله به، ولا يشكُّ عاقل أن لكل عصر حاجاته التي تناسبه، وتناسب أهله؛ لذا ربما يخلق الله خلقًا آخر لا نعلمه، ويناسب أهل العصر التالين لنا. والناس متفاوتون في إيمانهم بالتوحيد، فمنهم من سلك الطريق المستقيم، موحدًا، عالمًا بأدلة التوحيد، ومنهم من حاد عن الطريق، حيث يقول الله: ﴿ وَعَلَى

(١) سورة النحل، الآية ٥.

(٢) انظر: الإتقان، ج٣٦/٢.

ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [1]. ومن الأدلة كذلك على وحدانيته، مناسبة ذكر النبات، بعد أن ذكر الإنسان والحيوان، حيث أنبت النبات بعد إنزال المطر من السماء، ليأكله الإنسان والحيوان، ولم يكن النبات من صنف واحد؛بل عدّده الله ونوّعه،فقال سبحانه: ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾[2]. وأنزل الماء لتكون به الحياة شرابًا، وسخَّر الليل والنهار لتستقر الحياة وتتوازن، ولكن هذا الإدراك لا يعقله إلا من كان له عقل. وقد عدّد ونوّع فيما خلق ـ سبحانه ـ لبني آدم، كل ذلك لعلهم يتذكّرون عظمته، وأن هذه النعم لا يمكن أن تكون إلا من خالق عظيم، لا يستطيعها المخلوقون، وأن هذا العظيم هو المستحق للعبادة، وأنها دلائل مؤكدة، وعلامات واضحة على الخالق العظيم.

وهذه نعم أنعم بها الله على عباده خاصة بالبر؛ لذا لفت النظر إلى نعمه على عباده في البحر، فسخَّر البحر لنأكل منه لحمًا طريًّا من سمك وغيره من جملة الحيوانات، ونستخرج منه اللؤلؤ والمرجان، والأصداف والقواقع، والاستمتاع بجمال السفن وروعتها وعظيم نفعها، وهي تشق الماء دون أن تغرق، يستخدمها الناس في التجارة واللهو[3]، حيث قال الله سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[4].

ونصب – جل جلاله- الجبال؛ لكي لا تميد بنا الأرض؛ بل تستقر وتثبت ،وأجرى الأنهار، والطرق، والنجوم؛ للاهتداء إلى مقصدكم من خلال سيركم، ولا يمكن بأي حال من الأحوال قبول قولكم بمساواة الخلق بالخالق، ولا يمكن أن تكون هذه النعم من أصنامكم المخلوقة التي لا تسمع ولا تبصر ولا تجيب، قال ـ سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا

---

[1] سورة النحل، الآية ٩.

[2] سورة النحل، الآية ١١.

[3] انظر: في ظلال القرآن، ج٤/٢١٦٣.

[4] سورة النحل، الآية ١٤.

يَخۡلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾[(١)]. وهذه النعم لا يمكن عدها وإحصاؤها، فضلًا عن أن يقدر على إيجادها مخلوق، ولا آلهتكم المزعومة على أي شيء من ذلك فأمنوا بخالقكم، وإلا فالنار مصيركم ومصير هذه الآلهة، إن لم توقنوا وتؤمنوا.

(٣) الإله واحد، والمعبود واحد، وكل ما سبق من آيات الخلق والنعمة، يدلُّ على أن الإله واحد، يتصرَّف في كونه كيفما يشاء، ومن يُنكر ذلك ويجحده، فنفسه مريضة، كيف لا وهم لم يكتفوا بالتكذيب والجحود، وإنما سعوا في الأرض مفسدين مشككين غيرهم في كتاب الله، صارفين الناس عن اتباع محمد ﷺ، كما يصف الله حالهم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾[(٢)]، ولكن الله حمّلهم أوزارهم كاملة يوم القيامة، وأوزار الذين أضلوهم، وهي نتيجة حتمية للماكرين الضالين المضلين، استحقوا عليها أقسى العقوبات في الدنيا والآخرة، وفي المقابل، استحق الذين أثنوا على كتاب الله خيريِّ الدنيا والآخرة.

ويعود السياق إلى أولئك الماكرين الذين لم يؤمنوا بالآخرة، إذ يأتون بضلالات جديدة، وأعذار واهية، يزعمون فيها أن الله أراد منهم الشرك، وقد ذكر الله قولهم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ﴿٣٥﴾﴾[(٣)]. كما أنهم أنكروا البعث، وغير ذلك من مقولاتهم الباطلة، وقد ناسب أن يكون ختام هذا المقصد، قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾[(٤)]؛ لبيان سفه عقول الكفار، وسوء نياتهم، ودناءة نفوسهم المريضة ووضاعتها؛ إذ سجد لله كل من في السماوات والأرض، وهو أقصى مظاهر الخضوع والخنوع [(٥)]، وهؤلاء في غيهم سائرون، وفي ضلالاتهم مستمرون، والله برحمته وفضله وإمهاله، يزيد من تقرير

---

(١) سورة النحل، الآية ١٧.

(٢) سورة النحل، الآية ٢٤.

(٣) سورة النحل، الآية ٣٥.

(٤) سورة النحل، الآية ٤٩.

(٥) انظر: الظلال بتصرف، ج٤/٢١٧٣.

وحدانيته ، ويحشد الأدلة على ذلك، مبينًا أن الإله واحد، وأنه الملك، وكل شيء ملكه وحده، فهو المنعم، وهو النافع، وهو كاشف الضر، ولكنهم مازالوا مستمرين في ضلالاتهم، وكفرهم، وخرافاتهم الباطلة، حيث جعلوا بعض أموالهم التي هي من الله لآلهتهم، ونسبوا البنات لله، وكرهوا ولادة البنات لأنفسهم. وتستمر الخرافة بتبجحهم بأن لهم الحسنى، ولكن الردَّ من الله حاضر وقاسٍ، حيث قال ـ سبحانه ـ : ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾، وهذا ليس بمستغرب من كفار قريش؛ لأنهم على طريق سلفهم سائرون، وهي تسلية لقلب محمد ﷺ . ويعود الكلام إلى إثبات الإلوهية لله ـ تبارك وتعالى- فهو مُحيي الأرض بعد موتها، حينما ينزل المطر، وهو الذي يسقي الناس اللبن الأبيض السائغ للشاربين من بين فرث ودم، وهو الذي يرزق الناس الرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب، ولكن الناس صرفوا هذه النعمة فيما يضرُّ، فاتخذوا السُكْر من ثمرات النخيل والأعناب [١].

(٤) قضية الوحي، وقد ذكرها الله في مستهل السورة، واصفًا إياه بأنه روح تحيا به القلوب، كما تحيا الأجساد بالأرواح، وهو وحي بشرع لم يأخذ به الكفار؛ فلم ينتفعوا؛ بل ولم يتركوا الناس لينتفعوا به. ومن قبل، فقد أوحي الله إليهم بأمر غريزي فطري، ولكنهم حرَّفوا الفطرة، وهنا أوحى الله إلى النحل بوحي غريزي، فاتبعته والتزمته، فأنتجت شهدًا؛ فما أعجب أمر هذه الحشرة! بل والأعجب، اتخاذها الجبال بيوتًا، ومن الشجر ومما يعرشون، ومن ثم إنتاج العسل الذي فيه شفاء. وشتان بين النحل وعاد، الذين اتخذوا من الجبال بيوتًا، وهي دعوة للتفكّر، وأخذ العظة والعبرة من النحل. وشتان بين تنفيذ النحل لأمر ربها وإنتاجها العسل، وعصيان الكفار لوحي ربهم، وإنتاجهم الكفر والمكر والخديعة؛ بل والسعي لصدِّ الناس عن الإيمان. وفي آخر السورة، ذكر الله أمر الوحي، حيث قال الله ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [٢].

وما سبق في هذا المقصد، هو إكمال لأدلة القدرة الإلهية، وكذلك ما ذكره الله في خلق الناس، ومن ثم توفيهم، أو إطالة العمر لبعضهم، حتى يبلغ أرذل العمر، ويكون ساذجًا

---

[١] انظر الظلال، ج٤/٢١٧٦.

[٢] سورة النحل، الآية ١٢٣.

خرفًا لا يعلم شيئًا. وذكر أيضًا تفضيله لبعض الناس على بعض في الرزق، وأنه – تعالى- زوّجهم، ورزقهم البنين والحفدة، ولكن الكفار جحدوا نعمة الله، وعبدوا غيره، وساووه بغيره – سبحانه- فهل يستوي ذلك العبد المملوك الذي لا يقدر على شيء بمن رزقه الله رزقًا ينفقه في كل حال؟ وهل يستوي أبكم لا يقدر على شيء، وهو عبء على مولاه، إذا أُرسل في أمر لم ينجزه، ومن يأمر بالمعروف، ويبذل النصيحة، لا ينتظر التوجيه من أحد إلا من الله، بل هو المسارع المنجز؟ لا شكَّ أنهما لا يستويان، فكيف تساوون الله الخالق بخلقه؟!

ويستمر المقصد في سرد مظاهر القدرة الإلهية، فتبيّن اختصاص الله بغيب السماوات والأرض، واختصاصه بعلم الساعة، وعلم غيب ما في الأرحام، وإخراج ما في الأرحام، والتفضُّل بالإنعام علينا بالسمع والأبصار والأفئدة، وغيب أسرار الطير، وتسخيرها في جو السماء، وإنعامه الدال على وحدانيته من البيوت بشتى أنواعها؛ لتكون سكنًا وهدوءًا، بل وحملها في الأسفار، والظلال، وستر الإنسان من أكنان الجبال، والسرابيل التي يلبسها الإنسان لتقيه الحر والبرد، وتقيه بأس الحرب، وما هذه النعم إلا لتنقادوا لله خاضعين، مطيعين، عابدين، يقول الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ٨١ ﴾[1]. وإن تولوا يا محمد، فلا يضيرك؛ لأن مهمتك البلاغ. ثم إنهم مردوا على الكفر، رغم علمهم بأن المنعم هو الله، ولكنهم ينكرون ذلك، وستشهد عليهم يا محمد، ولا مجال لإنكارهم وتماديهم في باطلهم؛ بل سيذعنون، ولكن بعد فوات الأوان، وسوف يذوقون العذاب فوق العذاب.

(٥) أوامر، ونواهٍ، وتوجيهات، والنتائج. وأول هذه الأوامر والنواهي، ما نسمعه بشكل دائم في يوم الجمعة، وبالتحديد آخر الخطبة، وهي قوله ـ سبحانه ـ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ

---

[1] سورة النحل، الآية ٨١.

﴿ ... وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾[1]. ولا شكَّ أن هذه الآية جامعة للتكاليف، وحاوية للأخلاق عامها وخاصها. ومن الأوامر والنواهي أيضًا، الأمر بالوفاء بالعهد، والنهي عن نقض الأيمان بعد توكيدها، فمن لم يلتزم، كان العذاب الأليم من نصيبه، ومن التزم كان خيرًا له. ومن التوجيهات، الحثُّ على آداب تلاوة القرآن الكريم، كالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، حين قراءة القرآن الكريم، وبيان حقارة الشيطان وضعفه أمام من آمن بالله وتوكل عليه، وبيان سلطانه لمن تولاه، وعبده وأطاعه. ومن التوجيهات، بيان مفتريات المشركين على كتاب الله، وعلى رسول الله، حتى لا يقع فيها عباد الله، وإنما وقع فيها من لا يؤمن بآيات الله كذبًا وافتراءا[2]. ومن التوجيهات، بيان أن من كفر بالله ـ إلا من أكره- فعليه الغضب من الله، وله العذاب العظيم. وإيقاعه العذاب عليهم لا يعجزه، فقد أوقع العذاب بتلك القرية التي كفرت بأنعم الله، حيث قال ـ سبحانه وتعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[3].

والكفر بنعمة الله يشمل أيضًا تحريم ما أحلَّ الله من الطيبات التي أحلها الله ـ سبحانه ـ وبيان المحرمات، وبيان أن من أحلَّ أو حرَّم من تلقاء نفسه، فقد عرَّض نفسه للعقوبة؛ لأنه افترى على الله الكذب. وبمناسبة ذكر ما حرَّم على المسلمين من الخبائث، ذكر ما حرَّم على اليهود من الطيبات بسبب ظلمهم، ولم يكن محرمًا على آبائهم في عهد إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ الذي وصفه الله بقوله: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ وقد جاء دين محمد فعادت الطيبات كلها حلالًا [4]. ودينه ﷺ[5]، محمد كدين إبراهيم، فلا المشركون الذين ادعوا حبهم لإبراهيم، اقتدوا به وعبدوا الله،

---

[1] سورة النحل، الآية ٩٠.

[2] انظر: تفسير الرازي، ج٢٠/٢٥٨ بتصرف.

[3] سورة النحل، الآية ١١٢.

[4] سورة النحل من الآية ١٢٠ إلى الآية ١٢٢.

[5] انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها، للدكتور/ عبدالله شحاتة، ص١٨٩.

وانكروا نعم الله، ولا اليهود الذين زعموا حبه أطاعوه، وصاروا على نهجه؛ بدليل تعظيمهم للسبت الذي لم يكن يُعظِّمه إبراهيم ـ عليه السلام ـ. ولما علمنا أن محمدًا كان المتبع لملة إبراهيم كانت هذه الملة، قد تأسَّست بأسس ثابتة، ينبغي الانطلاق من خلالها من دعوة الناس إلى الدين الحنيف بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بأسلم الطرائق وأسهلها وأفضلها، ولكن ربما يتجاوز المُجادل حدَّه؛ لذا وجَّه الله الدعاة حيال ذلك بقوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾[1]، فلا تزيدوا عن حقكم، وإن صبرتم فالصبر خير لكم، ولن يضيع من اتقى الله وأحسن؛ لأنه معه، وهو حافظه سبحانه.

---

[1] سورة النحل، الآية ١٢٦.

الباب الثاني: مناسبات موضوعات سورة النحل

الفصل الأول: مناسبات السورة الكريمة، ويشتمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: مناسبة اسم السورة لموضوعاتها.

المبحث الثاني: مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها.

المبحث الأول: مناسبة اسم السورة لموضوعاتها:

سميت السورة باسم سورة النحل، وموضوعاتها تدور حول العقيدة. فالنحل حشرة عظيمة النفع، وكثيرة الفائدة، والعقيدة إن كانت صحيحة صافية، كان صاحبها عظيم النفع، وكثير الفائدة. إن المتأمل في هذه السورة، التي سميت باسم حشرة، يُلاحظ أن الله أوحى إليها بوحي غريزي، حيث قال ـ سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[1]. فالله أوحى إلى تلك الحشرة، بأن تتخذ من الجبال والشجر، ومما جعله الناس لهم عروشًا؛ بيوتًا محكمة، متقنة، دقيقة، عجيبة، على أشكال سداسية، متصلة لا انقطاع بينها، حتى صارت كأنها قطعة واحدة. والعجيب والغريب في أن هذه البيوت أشكالها سداسية؛ لأنك لو نظرت من المثلّث إلى المَعْشر ـ عدا السداسي ـ لرأيت أن كل واحد إذا جُمع إلى أمثاله لم يتصل، وكانت الفُرج ظاهرة واضحة، ويعني هذا انعدام الحماية بين تلك الأجزاء[2]. ولم يتوقف وحي الله إلى النحل عند هذا الحد، ولكن أمرها أن تأكل من كل الثمرات، فتُسرع إلى تلك البيوت العجيبة الصنع، التي ذلّل الله لها تلك الطرق، وسخرها لها؛ لتُخرج ما في بطونها من عسل، ليكون شرابًا مختلفًا ألوانه، ينتفع به الناس ويستشفون. والمتأمل لاسم السورة وموضوعاتها، يلاحظ ما يلي:

١ ـ أن الله أوحى إلى النحل بوحي فطري غريزي، واستجابت لربها فورًا، وأن الله أوحى إلى الناس بوحي شرعي، حيث قال ـ سبحانه وتعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن

---

[1] سورة النحل من الآية ٦٨ إلى الآية ٦٩.

[2] انظر: تفسير ابن العربي، ج٥/١٧٤، بتصرف.

﴿ يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾[1]؛ لينذروا الناس ويبينوا لهم أن الإله، هو الله الواحد الأحد لا شريك له، وليس آلهتكم التي عبدتموها من دون الله هي الإله، ولكنَّ المشركين لم يستجيبوا لله ولا لرسله، وهم بشر فضَّلهم الله على سائر الخلق، والوحي إليهم وحي بشرع، وتلك الحشرة الصغيرة أوحى الله إليها بوحي غريزي، فاستجابت لله، رغم أنها تنحل بلا عوض، بينما وحي الله إلى الناس بعوض، إن هم استجابوا عوَّضهم الجنة. ولو نظرنا بعين المتأمل أيضًا إلى آخر السورة، لوجدنا وحيًا آخر وُجّه لنبي الأمة، محمد ﷺ أن يتّبع ملة إبراهيم الخليل - عليه السلام - حيث قال الله - سبحانه وتعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾[2]، وقد اتبع النبي ﷺ ملة أبيه إبراهيم - عليه السلام.

٢ - المتأمل أيضًا في وحي الله إلى النحل، يُلاحظ أن النحل يصعد إلى المرتفعات من الجبال وأعالي الأشجار، بل رأيت في الصين أبراجًا عالية بناها الإنسان ليسكن فيها، أقول: رأيت النحل اتخذ من تلك الأبراج بيوتًا له، والله يأمر الناس بتوحيده فقط، وصرف العبادة له، دون طلوع الجبال وصعود أعالي الأشجار، كما أنه إذا استجاب وآمن بالله إلهًا واحدًا، فإنه سيكون في أعالي الجنان في الآخرة، وستكون همته ومقامه في الدنيا في أعلى المراتب وأشرفها.

٣ - والناظر ببصر وبصيرة في وحي الله لبناء بيوت النحل بشكل متقن بديع الصنع، يُلاحظ أن الإنسان إن صحت عقيدته، ووحَّد الله، وجعله إلهًا واحدًا، فإنه قد أحسن أساسه، وأجاد قواعده التي سيسير عليها في الدنيا، ويجني خيرها في الآخرة [3].

---

[1] سورة النحل، الآية ٢.

[2] سورة النحل، الآية ١٢٣.

[3] انظر: أسرار أسماء سور القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، للدكتور/ الحسنين الشافعي، ص٥٥٧، بتصرف.

٤ ـ والمتأمل أيضًا لأمر الله النحل بالأكل من كل الثمرات، يُلاحظ أن الإنسان الموحِّد يتلذذ بالطاعات الكثيرة من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج، وغيرها الكثير من العبادات؛ فكل عبادة ثمرة يتلذذ بها من آمن ووحّد [1].

٥ ـ أن المتفكر في سلوك الطريق المخرج من بيوت النحل، والموصل إلى الثمرات التي تأكل منها تلك الحشرة، والمرجع إلى بيوتها، دون أن تحيد عنه قيد أنملة، إنما هو تسخير من الله؛ لأنها أطاعت ربها، علمًا أنها ربما تقطع الأميال الكثيرة، ولا تضيع في ذهابها وإيابها. وكذلك الذي وحّد الله وآمن به؛ فطريقه أمن وأمان، لا تجده ضائعًا تائهًا متخبطًا، مرة يعبد صنمًا، وأخرى يعبد نارًا، وثالثة يعبد فأرًا، و تجده في حالة الشدة ينقلب موحدًا، وفي الرخاء مشركًا، وإنما طريقه مُسخَّر مُيسَّر لا شبهة فيه.

٦ ـ إن المتفكّر في النحل حين تأكل الثمرات المتنوعة، لا شك أنه يلاحظ نتاجها العجيب، حيث إنها تُنتج الشهد والعسل بأصناف متعددة، وألوان مختلفة، فيه الأبيض، والأصفر، والأسود، والأحمر، رغم أن النحل واحد، لكن الثمرات مختلفة. وكذلك الذي آمن ووحَّد، هو إنسان واحد، ولكنه إن عدَّد عباداته ونوّعها؛ فإنه سينتج حسنات توصله ـ بإذن الله ـ إلى الجنة، ولكن المشرك لن ينتج إلى الاستكبار، والكفر، والعناد [2].

٧ ـ والناظر إلى العسل الذي تنتجه النحلة، يجد فيه الشفاء من كثير من الأمراض التي ذكرتها كتب الطب، ولا يتسع المجال لذكرها. وكذلك الذي آمن ووحَّد، جعل الله له الشفاء من أمراض القلوب من الشبهات والشهوات، ثم إن الإيمان يُحدث في قلب المؤمن وعقله

---

[1] انظر: أسرار أسماء سور القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، للدكتور/ الحسنين الشافعي، ص/٥٥٧، بتصرف.
[2] انظر: تفسير الزمخشري، ج٦١٨/٢، بتصرف.

تغيرات جذرية في المفاهيم، والإدراك، والتعامل ، وتنفتح له أبواب المعرفة . وأما من بقي على شركه، فإنه يتخبط في شبهاته وشهواته، ولا يوجد معنى لحياته [١].

٨ ـ أن المتأمل في هذه الحشرة وعالمها بأسره، يدرك أنها آية من آيات الله، الدالة على توحيده في ربوبيته وإلوهيته، وعظيم قدرته، وفائق إبداعه، حيث حوّل العشب إلى شهد وعسل، استفاد منه الإنسان، وغيره من المخلوقات أكلًا، واستطبابًا، وتمتعًا. وكذلك ينبغي للإنسان المشرك أن يُغيره القرآن من إنسان لا خير فيه، ضال، مضل، لا ينتج إلا سوءًا، ولا يدعو إلا إلى سوء يغيره إلى إنسان مُوحِّد، مُنتج لنفسه ولغيره.

٩ ـ المتأمل في وحي الله إلى النحل، يدرك عناية الرب ـ سبحانه ـ بمخلوقاته، وكذلك اهتمام الله بالإنسان بإرسال الرسل مبشرين ومنذرين، وجعل الآيات الدالة عليه في نفسه، ومن حوله من مخلوقات، من سماء، وأرض، وجبال، وبحار، وحيوانات؛ لتسلم نفسه .

١٠ ـ أن المتبصر لحياة النحل بأسرها، يلاحظ ذلك الجد والنشاط، والحركة المستمرة المنتظمة بشكل يأسر العقول والقلوب، ويدعو الإنسان إلى بذل الجهد في عمل الطاعات بشكل منظم متقن، فصلاة الصبح لها وقتها، بأركانها وواجباتها، بشكل منظم فيها حركة ما بين وقوف وركوع، وقيام وسجود وجلوس، ولكن غير الموحِّد يسير في حركة مضطربة معوجة كلها ضلال.

---

[١] انظر: أسرار أسماء سور القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، للدكتور/ الحسنين الشافعي، ص/٥٥٧، بتصرف.

١١ ـ والمتأمل في حياة النحل أيضًا، يجد الدفاع المستميت من قِبل النحل عن مملكته وملكته، دفاعًا مستميتًا ضد المعتدين؛ حبًّا في مملكته واعتزازًا بها، ويرشد هذا الذي آمن ووحّد الله إلى الاعتزاز بدينه، والدفاع عن عقيدته ضد المعتدين[1].

---

[1] انظر: أسرار أسماء سور القرآن الكريم، رسالة دكتوراه للدكتور/ الحسنين الشافعي، ص/٥٥٧، بتصرف.

المبحث الثاني: مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها:

اُفتتحت السورة الكريمة بقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١﴾[1]، حيث صُدّرت الآية بالماضي المراد به المستقبل المحقق الحدوث، وأن هذا الذي سيحدث هو يوم القيامة، والذي فيه من الوعيد الشديد لأولئك المشركين، الذين جعلوا مع الله غيره. وتظهر مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها فيما يأتي:

١ ـ أن أهم وأكبر موضوع تقوم عليه السور المكية، موضوع التوحيد، والسورة التي بين أيدينا مكية، وآيتها الأولى تُشير إلى قضية الإيمان باليوم الآخر، وتنزيه الله عن الشرك. ويُعدُّ الإيمان بالله واليوم الآخر من أهم موضوعات العقيدة والإيمان، ولن يكون هناك إيمان بالله واليوم الآخر، إلا إذا أنزل الله ملائكته بكتبه المبينة للتوحيد، والتي يُرسل بها من يصطفي من البشر؛ لينذروا الناس، ويبينوا لهم نبذ الشريك، والإيمان بالساعة.

٢ ـ ذكر الله دلائل ومؤكدات على أنه الخالق المستحق للعبادة دون سواه، ومن تلك الأدلة، خلق السماوات والأرض، والإنسان، والأنعام، وتسخير ما فيها من منافع لذلك الإنسان من كماليات وضروريات، وإنزاله المطر؛ ليبقى الجنس البشري حيًّا، ولتبقى معه المخلوقات الأخرى حية إلى ما شاء الله، وتعاقب الليل والنهار، وتسخير البحار والأنهار والجبال والنجوم، وبيان أن هذه الدلائل تُوجب صرف العبادة لله وتوحيده، وأن الأصنام التي عبدها الكفار، لا تستطيع ذلك ولا تقدر عليه؛ فلماذا لا تعبدوه وتوحدوه؟!

---

[1] سورة النحل، الآية ١.

٣ ـ يصف الله تلك الآلهة المزعومة، بأنها لا تخلق، ميتة غير حية، لا تشعر ولا تحس، وربكم إله واحد، حي لا يموت، يعلم سركم وجهركم، ويعلم مكركم، وأنه قادر على عذابكم في الدنيا والآخرة؛ فكيف تجعلون معه غيره، ولا تؤمنون بالساعة؟ أم هل تنتظرون أخذ أرواحكم من قِبل الملائكة، وبعدها تُذعنون؟ أم تريدون أن يأتيكم عذاب لا قِبل لكم به، وبعدها توحدون الله ولن ينفعكم ذلك ؟

٤ ـ أن قيام الساعة يعني أن هناك بعثًا وحسابًا، وجنة ونارا، وهذا ما سطره صدر الآية، حيث يُبيّن ذلك الله في قوله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[١]. إن هؤلاء الجاحدين الكافرين يبذلون جهدًا في قسمهم بالله إنكارا للبعث، ويعني هذا إنكار قيام الساعة.

٥ ـ يذكر الله كثيرًا الجزاء، إما إلى جنة، وإما إلى نار، وهذا لن يكون إلا بعد قيام الساعة.

٦ ـ يذكّر الله الكفار بمخلوقات الله ـ سواء كانت في السماوات أم في الأرض- بخضوعها وخنوعها لله، ساجدة له عابدة موحدة، وهؤلاء الكفار يجعلون معه أحدًا غيره.

٧ ـ يذكّر الله بنعمه التي لا تعدُّ ولا تحصى، ومع ذلك تجد الكفار يلجؤون إلى أصنامهم وأوثانهم، يطلبونها ويعبدونها، والله هو المعطي، وهو المنعم الذي لا يمكن أن يُشرك معه غيره ، ولن يتصرف في هذا الكون أحد غيره [٢].

---

[١] سورة النحل، الآية ٣٨.
[٢] انظر: أسرار أسماء سور القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، للدكتور/ الحسنين الشافعي، ص٥٦٢، بتصرف.

٨ ـ يُقرّب الله ـ سبحانه وتعالى ـ إلى أذهانهم صورًا محسوسة مشاهدة، من خلال ضربه للأمثال لهم من واقعهم، حتى لا يعبدوا ولا يُشركوا معه غيره، حيث يقول ـ سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرًّا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٧٥ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٦ ﴾[١].

٩ ـ عندما ذكر الله في مستهل السورة أمر الساعة، أعاد ذلك مرة أخرى بشكل صريح، حيث قال سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٧٧ ﴾[٢].

١٠ ـ عندما ختم الله السورة بذكره إبراهيم ـ عليه السلام ـ فإن ذلك فيه لفتة لطيفة. فإبراهيم خليل الله، هو إمام الموحدين، وقدوة المؤمنين، حيث دعا إلى إبطال الشرك، وتنزيه الله الواحد الأحد، وفق أنموذج يسير عليه الموحدون، وفي مقدمتهم محمد ﷺ وهذا الأنموذج هو نبراس للموحِّد في نفسه، وفي دعوة غيره إلى التوحيد، كما أن مستهل السورة كان ينزه الله ـ سبحانه ـ عن الشريك [٣].

---

[١] سورة النحل من الآية ٧٥ إلى الآية ٧٦.

[٢] سورة النحل، الآية ٧٧.

[٣] انظر: أسرار أسماء سور القرآن الكريم، الحسنين الشافعي، ص٥٦٢، بتصرف.

الفصل الثاني: موضوعات السورة الكريمة وتناسقها، ويشتمل على المباحث الآتية:

المبحث الأول: المقدمة: التوحيد ودلائله، ويشمل الآيات (١ إلى ٨٩)

المبحث الثاني: المقصد الأول: بيان لبعض ما في الكتاب الحكيم من الآداب ويشمل الآيات (٩٠ إلى ١١١).

المبحث الثالث: المقصد الثاني: كفران النعمة، ويشمل الآيات (١١٢ إلى ١١٩).

المبحث الرابع: الخاتمة: طريقة التنزيل الحكيم في الدعوة إلى التوحيد، ويشمل الآيات (١٢٠ إلى ١٢٨).

المبحث الأول: المقدمة: التوحيد ودلائله، ويشمل الآيات (١ إلى ٨٩):

النص القرآني، قال تعالى: ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ (١) يُنَزِّلُ
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ (٢) خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ (٣) خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ (٤)
وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ (٥) وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ
وَحِينَ تَسۡرَحُونَ (٦) وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ
رَّحِيمٞ (٧) وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ (٨) وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ
ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ (٩) هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ
شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ
وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ (١١) وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ
وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ (١٢) وَمَا ذَرَأَ
لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ (١٣) وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ
ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ
وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ (١٤) وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ
وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ (١٥) وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ (١٦) أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ (١٨) وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ
وَمَا تُعۡلِنُونَ (١٩) وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ (٢٠) أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا
يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ (٢١) إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ
(٢٢) لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ (٢٣) وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ

أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ
يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم
مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ
ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ
ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا
نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ
مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا
حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا
يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟
ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ
بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ
ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾
وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم
مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ
عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ لَا
يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ
فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ
﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟
يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ
فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ

إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ
مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ
لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ
دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾
يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ
فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ
ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾
لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ
عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ
ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي
ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ
﴿٦٠﴾ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا
يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَ وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ أَنَّ
لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ
ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي
ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا
لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ
يَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ
لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ

قَدِيرٞ ٧٠ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ
أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ٧١ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ
أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ٧٢
وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٧٣ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ
ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧٤ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ
مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٧٥
وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا
يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٧٦ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٧٧ وَٱللَّهُ
أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ
تَشۡكُرُونَ ٧٨ أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ
لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٧٩ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا
يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٨٠ وَٱللَّهُ جَعَلَ
لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ
وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ٨١ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ
ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٨٢ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٣ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ
مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ٨٤ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ
فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٨٥ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ
شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَۖ فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٨٦ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ
يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٨٧ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا
فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ٨٨ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا

بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[1].

بُدئت السورة الكريمة بصيغة الماضي؛ لتأكيد تحقُّق وقوع أمر الله، سواء كان بعذاب أيًّا كان نوعه، أو بتصرُّم الأيام، وانقضاء حياتيِّ الدنيا والبرزخ، وقيام الساعة؛ فهو أمر قد حُسم، وسيكون في موعده الذي حدَّده الله الواحد الأحد، الذي يتوجَّب على خلقه توحيده وإفراده بالعبادة. ومع قوة هذه الصيغة الحاسمة الجازمة، التي ولا شك أنها ذات أثر في النفس عميق، وذات وقع مهما كانت هذه النفس متعالية متكبرة، أقول: مع قوة هذه الصيغة، إلا أن رحمة الله حاضرة (فلا تستعجلوه).

ولا يعني أن أمره ـ أيًّا كان هذا الأمر ـ واقع أنه سيأخذ أهل الشرك مأخذًا عنيفًا قاسيًا بشكل مباشر، فالفرصة قائمة، وباب التوبة مفتوح، والمجال متاح للعودة عن الغي والضلال والإشراك. وهو إشعار من الله وتأكيد بأنه الإله الواحد، المستحق للعبادة، الرحيم بخلقه، فعلمه بشرك المشركين، دليل وتأكيد على علمه للغيب، وأنه لا يستطيع أحد إعطاء الفرص للعودة إلى الجادة إلا هو، ولا يمكن بأي حال من الأحوال تشبيه آلهتهم المزعومة به (سبحانه وتعالى عما يشركون) [2].

وهذه نعمة كبرى، أنعم الله بها على عباده، حيث لم يترك الناس هكذا دونما تحذير، وبيَّن ـ سبحانه ـ أن أمره واقع متى ما أراد، وأنه منزَّه عن النظير لا يشبهه، ولا يماثله، ولا يناظره أحد. وأضاف نعمة أخرى إلى خلقه، وهذه النعمة تكمن في بيانه للناس ما أراد، حيث أنزل عليهم من السماء ما يُحيي قلوبهم، ويُنجِّي أبدانهم، إن هم سمعوا وأطاعوا. وهؤلاء الذين اختارهم واصطفاهم من ملائكته؛ ليبلِّغوا أمر الله إلى رسل الله، الذي عبَّر الله عنه بالروح، له جماله ومعناه؛ فالقلوب والنفوس بأمر الله تحيا وتستفيق من ظلام الشرك وسباته، إلى نور التوحيد وحياته، ومن رقدة الجهل ونوم الغفلة، إلى يقظة العلم ونور المعرفة، وروح العقيدة وحياة النفس كما تحيا الأجساد بالأرواح[3]. واختيار الله للملائكة

---

(1) سورة النحل من الآية ١ وحتى الآية ٨٩ .
(2) انظر: تفسير سورة النحل وبيان الأهداف التي ترمي إليها،رسالة جامعية ، محمد متولي إدريس، ص١١٠.
(3) انظر: تفسير الرازي، ج١٩/١٦٨، بتصرف.

نعمة أخرى خاصة بهم، ليكونوا سفراء لله إلى من يصطفي من البشر ويختار، ويكونوا سفراء أيضًا للناس جميعا؛ لينذروا الناس، وهي نعمة أخرى تُضاف إلى النعم، ولكنها خاصة برسل الله، من البشر الذين اصطفاهم دون سواهم. وفحوى الله في هذه الرسالة ومراده، (أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون).

إنها الدعوة الخالصة إلى توحيده، وتأليهه وحده دون سواه؛ لتستفيق الأنفس من رقاد الشرك، إلى حياة العقيدة الصافية النقية وروحها، ولتتنعم تلك الأنفس بالنعمة الكبرى، نعمة التوحيد. وإنذار الناس ليعبدوا إلهًا واحدًا، كان له دواعيه ودلائله، فالله الذي يريد من الناس صرف العبادة له دون سواه، يبرهن ويدلل على استحقاقه للعبادة؛ فقد خلق السماوات وما فيهن وما بينهن، والأرض وما فيهن وما بينهن، خلقًا لا عبث فيه، ولا نقص، ولا عيب، ولا معيب. خلقهما بالحق، فأحسن خلقهما، وأبدع قوامهما، وأجاد تدبيرهما، وأتقن تصريفهما، فكيف بعد هذه الدلالة القوية، وبعد هذا البرهان الساطع، يشرك معه المشركون غيره (تعالى عما يشركون). و لا شك أن خلق السماوات والأرض، نعمتان تُضافان إلى نعم المنعم، التي يأتي سردها تباعًا في مواضع أخرى من هذه السورة، فمن نعم خلق السماوات، إلى إنزال الماء الذي تحيا به الأرض ومن فيها، وجعل النجوم والشمس والقمر في السماوات، وما في ذلك من منافع شتى، وخلق الأرض وما فيها من نعم، كالأنهار والبحار، واستقرار الناس عليها والعيش فيها. وهذه السماوات والأرض التي خلقها الله خلقًا عظيمًا متقنًا، وسخرها للإنسان الذي يدعوه الله لعبادته، ونبذ الشريك عنه، إنما هو مخلوق من قطرات ماء دافق، ثم أصبح بعد حين، بقدرة رب الأرباب خصيمًا شديد الخصومة، مجادلًا كثير الجدل، ولكن ترى من يُجادل ذلك الذي كان مبدؤه قطرات ماء؟! إنه يجادل من خلقه ويخاصمه، وقد جادله جدلًا عنيفًا قويًّا، وربما يصل به هذا الجدل إلى الكفر بمن خلقه، وجعل آلهة معه أخرى يُصرف لها العبادة، ولكن الله الخالق المنعم، واسع الجود، أكرم الكرماء؛ يستمر في نعمائه على ذلك الإنسان، فيخلق له ما يناسب بيئته، وما تهفو إليه نفسه، حيث خلق له الإبل والبقر والغنم، ليستفيد من أوبارها وجلودها وأصوافها في دبغها، وصنع الملابس والمساكن، التي يكون له فيها دفء. وليس الأمر عند هذا الحد من المنعم، بل وينتفع بها الناس إن أرادوا التجارة، وذلك ببيعها، وبيع جلودها، وأوبارها، وأصوافها، وحتى في ذبحها، حيث ينتفع الجزار عند ذبحها وسلخها مقابل مبلغ من المال،

وينتفع بها الناس في أكلها، واستخراج سمنها ولبنها، إلى غير ذلك من المنافع، التي لم تكن إلا من الله، الإله الحق المستحق للعبودية وحده دون سواه [1]. وليس عند هذا الحد فقط ؛ بل ينعم الله على الناس، بما هو خارج عن تلبية الضرورات، إلى تلبية ذائقة الجمال، حيث يُضفي على النفس البشرية الفرح والسرور، والبهجة والحبور، ذلكم حينما تقفل تلك الأنعام راجعة إلى أهلها، حافلة ضروعها، ملأى بطونها، تُبهج النفس بمنظرها، وتفرح القلب بجمالها؛ لذا ناسب أن يُقدِّم الإراحة على الاستراحة. وهنا لفتة جمالية رائعة، فالله ـ تبارك وتعالى ـ يُراعي ذلك الإنسان المخلوق من نطفة، والذي حينما اشتد سوقه، كفر بربه، أقول: راعى الله تلك النفس أيما مراعاة، واهتم بها أيمَّا اهتمام، حيث امتعه بجمال تلك الأنعام [2]، ولكنه مع ذلك يستمر في ضلاله، ويواصل عناده، جاعلًا مع الله آلهة أخرى، ولكن الله أكبر، حيث يستمر عطاؤه، ويتدفق إنعامه، ويواصل ذكر الأدلة على توحيده، ومن تلك الأنعام ما جعلها معينة لهم في حمل أثقالهم وأبدانهم في ترحالهم، والتي لولاها ـ بعد الله ـ لم يصلوا إلا بصعوبة بالغة وجهد عظيم. وهنا لفتة رائعة، ورحمة بالغة من الرؤوف الرحيم؛ إذ لو تخيَّل الناس في ذلكم الزمان، أن الله لم يخلق لهم تلك الحيوانات، فكيف يكون حالهم؟! أو لو أن الله خلق لهم تلك الحيوانات، واستفادوا واستنفعوا منها، ثم محقها، وجعلهم بلا حيوانات يستنفعون منها، فكيف حالهم؟

ولكن الله رؤوف بعباده، ولم يتوقف عطاؤه عند هذا الحدِّ من خلق الأنعام وما فيها من منافع للناس، بل تعداه إلى خلق حيوانات أخرى، تشترك في بعض المنافع مع الأنعام، وتختلف في بعضها، فخلق الخيل والبغال والحمير لمنفعة الركوب، وهي ضرورة مُلِّحة يحتاجها الناس في حلهم وترحالهم. ويُعاود تفضلُّه وتكرُّمه على الناس بتلبية حاجتهم من الجمال؛ بجعل الزينة والجمال في تلك الحيوانات [3]، وما نشاهده اليوم من مسابقات تعتني بجمال الخيل، ومزايين الإبل لخير شاهد على ذلك. وهذه النعم التي توالى ذكرها، لن تقف عند هذا الحد، بل ستتعداه؛ بالتدليل على عظمة الخالق المستحق للعبادة، وتدليلًا على أنه الإله الواحد الأحد، حيث سيخلق خلقًا آخر، يستفيد منه الناس في الحمل، والركوب، والزينة، والجمال، وهو تمهيد للناس لكي لا يمنعوا ويحرّموا أي خلق جديد يخلقه الخالق

(1) انظر: الظلال، ج٤/٢١٦١، بتصرف.
(2) انظر: المرجع السابق.
(3) انظر: المرجع السابق.

غير ما ذُكر، ولكي تتسع آفاقهم، ولا تُغلق تصوراتهم لأي شيء جديد في شتى مناحي الحياة، إذا لم يصرح النص بتحريمه. ولكي يكون هناك تقبّل لمذاهب الإسلام؛ إذ ألحظ أن من يكون على مذهب حنفي، أو مالكي، أو شافعي ، ويخالف حنبليا في أي فرع من فروع الشريعة، تجد أن هذا الحنبلي إذا كان قليل البضاعة العلمية يتضجر، وربما تمادى في القول أكثر من التضجر، لجهله بالمذاهب، والعكس صحيح؛ فأقول: إن مثل قوله تعالى: (ويخلق ما لا تعلمون)، يجعل من الأفق واسعًا لتقبُّل ما هو خارج حدود البيئة، والأهم من ذا وذاك، التدليل على توحيد الله الذي هو قطب رحا النجاة، وبيان استحقاقه للعبادة؛ فهو القادر على خلق ما لا يعلمه أهل زمان رسول الله ﷺ وربما علمه أهل الزمان الذين يلونهم، وهكذا دواليك. وزماننا هذا شاهد على خلق وسائل نقل وركوب وزينة، لم تكن موجودة في الأزمان السابقة، وربما يخلق الله خلقًا لمن يأتي بعدنا لا نعلم كنهه، ولا ندرك وصفه. ومعلوم أن حمل الأثقال والأبدان وركوب الحيوانات، الغاية منه السير للوصول إلى مبتغى الناس بشكل محسوس في عالم الأرض، والوصول إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ بشكل معنوي. إمَّا بسلوك الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، وإما بالانحراف عن الجادة، متجاوزًا للغاية المرجوة بشكل اختياري، لا يخرج عن مشيئة الله؛ فناسب أن يختم الله موضوع الحيوانات الموصلة للناس إلى مبتغاهم بسلوك الطريق الحسي، إلى ذكر سلوك الطريق المعنوي الموصل إلى الله [1]. ويستمر تدفُّق عطاء الكريم المنعم على خلقه؛ تذكيرًا لهم بوجوب توحيده، وصرف العبادة له ـ سبحانه وتعالى ـ فالله عندما خلق الإنسان، وسخَّر له الأنعام، جعل لهم أسبابًا تبقيهم أحياء إلى ما شاء ـ سبحانه ـ فأنزل من السماء ماء يشربون منه، وتنبت الزروع والأشجار بسببه، لتكون هذه النباتات غذاء تتغذَّى منها وتتغذى منه تلك الحيوانات؛ لتبقى حية قوية ـ ما شاء الله ـ ينتفع بها الناس في ركوبهم وتنقلاتهم، وحمل أثقالهم. ولن يتوقَّف عطاء الكريم المنان عند هذا الحد، بل جعل من الماء ثمارًا متنوعة متعددة من زروع، وزيتون، ونخيل، وأعناب، وسائر الثمرات، وهذا لا يمكن تدبيره وتنفيذه إلا من الله الواحد الأحد، الذي يجب أن تُصرف له العبادة وحده دون سواه، فلا صنم، ولا وثن، ولا إنس، ولا جن يُدبِّر هذا التدبير، ويصنع هذا الصنع إلا الله الخالق العظيم. وهذه علامة ودلالة لمن تفكَّر وتدبَّر ليستدل على عظمته، وعلى أن التدبير

---

[1] انظر: في ظلال القرآن، ج٤/٢١٦٢، بتصرف.

لا يمكن أن يكون إلا ممن خلق الإنسان وهو أعلم بحاجاته ورغباته ؛فمن تدبَّر وتأمل في خلق الله وعظيم إتقانه فلا شك أنه آمن ووحد، ومن غفل نامت تطلعاته، ولم يهتد لمعرفة هذا الخالق العظيم، الذي أتقن كل شيء خلقه غاية الإتقان، وأبدعه أروع الإبداع. وهذا الإتقان، وهذا الإبداع، وهذا العطاء المتدفق مظهر من مظاهر تدبيره في خلقه، ونعمة تُضاف إلى ما سبق سرده من النعم، ويُضاف إلى ذلك تدبير آخر، ونعمة أخرى، إنها تسخير الليل، والنهار، والشمس، والقمر، والنجوم، لذلك المخلوق الذي خُلق من ماء مهين، ولغيره من سائر المخلوقات. وهذا التدبير العظيم لا يمكن إلا أن يكون من إله قادر، واحد، أحد، مستحق للعبادة، كما أنه تذكير لذلك الإنسان بأنه خالقه ومدبر كونه [1]. وقد تمَّ هذا التدبير بشكل منظَّم متناسق متناسب، ولو تخيَّل الإنسان، أن هذه الحياة ليل دائم لا شمس فيها، فكيف يكون العيش على هذا الكوكب؟ وبالمقابل، لو كانت نهارًا دائمًا لا ليل فيه، يسكن فيه الخلق فكيف تكون الحياة؟ وكيف يكون التعايش؟ ولكنه الله المدبر، الذي دبَّر كل شيء تدبيرًا، لا يكون معه اختلال. إنه الله المدبر الرحيم بعباده، ولو شاء لجعله ليلًا دامسًا، أو نهارًا دائمًا، ولكنه الله المدبر، يقول سبحانه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [2]. وكذلك تدبير النجوم وتسخيرها للإنسان، وجعلها زينة واهتداء ورجومًا للشياطين؛ حفاظًا للإنسان وحماية له. وكل هذا التدبير لن يدركه إلا من كان له عقل يتدبَّر، ويُدرك السنن والقوانين التي وراء هذه الظواهر، وما خلق الله في أرضه، وما أودع فيها من كنوز شتى، ينتفع بها الناس . وقد يخرج الله كنزا من كنوزه ينعم به على الناس ، يناسب أولئك الناس في صناعتهم وتجارتهم وسائر أعمالهم ، وربما كان ذلك الكنز الذي أخرجه الله للناس لا تقوم حياتهم إلا عليه كالنفط مثلا ، أليس مما يدل على أن هذا الكنز المستخرج لم يتم استخراجه إلا بقدر الله ، وفي العصر الذي يقدّره الله ـ أقول ـ أليس هذا ما يدل على الاعتراف بالله المدبر ، ووجوب صرف العبادة له ـ سبحانه ـ ؟ أفلا يتذكرون في هذا الكون البديع ؟

---

[1] انظر: في ظلال القرآن، ج٤/٢١٦٢، بتصرف.

[2] سورة القصص، الآيتان: ٧١ و٧٢.

إن خلْق الله لما في الأرض من النعم العظمى، التي تُلبِّي حاجات الناس في معاشهم، والحاجات والضروريات أيضًا التي يحتاج إليها الناس، ومن ذلك هذه البحار التي سخَّرها الله للناس، وكان هذا التسخير مُنصبًّا على أكل اللحم الطري من السمك وغيره من مخلوقات البحر، واستخراج كنوزه من لؤلؤ، ومرجان، وأصداف، وقواقع يتحلّى بها الناس، ويتاجرون بها. وكعادة القرآن، فإنه يلفت الانتباه إلى اهتمامه بالزينة والجمال، فالحلي من الزينة عادة تلبسه النساء؛ ليظهرن في أجمل صورة في أعين أزواجهن، فيسرُّ الأزواج بذلك. ويُرشد هذا التوجيه القرآني الجمالي إلى توسيع المدارك، وألا نُضيِّق على أنفسنا في حدود الحاجيات والضروريات، مادام أنها حلال ومن المستحبات. والاهتمام بالجمال يظهر أيضًا حين تشاهد الأعين تلك السفن، وهي تشقُّ البحار بشكل جمالي، فيه متعة تشرح الصدر[1]. وتسخير البحر أيضًا فيه من الرزق ما فيه، فشراء السفن وبيعها تجارة ورزق، واستخدام هذه السفن للتنقل والترحال تجارة ورزق، ونقل البضائع والمعادن المستخرجة من الأرض بين الدول تجارة ورزق، واستخراج كنوز البحار تجارة ورزق، وطعام البحار تجارة ورزق، وتحويل الماء المالح إلى ماء حلو صالح للشرب تجارة ورزق، أفلا نشكر؟ أفلا يعبده ويوحده المشركون؟

وبعد أن سرد الله - تعالى- النعم والدلائل على توحيده ، يستمر السياق في تعداد النعم، وتحديدًا في جباله التي أرسى دعائمها على أرضه؛ حفظًا لتوازن الأرض؛ حتى لا تميد بمن فيها. يبقينا في أرضه، ولكن عودًا على مائه، وتحديدًا في أنهاره، وما ذلك إلا لعلاقة الأنهار بالجبال، وغالبًا تنبع الأنهار من الجبال، وحين تسقط الأمطار تتكوَّن الأنهار[2]، والجبال. والأنهار عادة يتخذها الناس علامات يقتدون ويهتدون بها في ترحالهم وأسفارهم؛ لذا ناسب أن يُعقّب بعد ذكرهما بذكر السبل، وهي الطرق التي يسير عليها الناس والدواب، مهتدين بها في سيرهم، عارفين اتجاه طرقهم ذهابًا وإيابًا. والتعبير عقب ذلك بالعلامات نكرة في سياق الإثبات، لتدل على الإطلاق؛ لأن كل مسافر له علامته الخاصة بالطريقة التي سيسافر عليها، فإن كان سفره بالسيارة، فإشارات المرور تدله وترشده، وإن كان سفره بالقطار، فله العلامات الخاصة به، وإن كان بالسفينة أو الطائرة أو غير ذلك، فلكلٍّ علاماته التي يعتمد عليها في سفره، وذلك لتجدد وسائل النقل وتغيرها، وهذا من شمول القرآن، ودعوته إلى استقبال كل ما هو جديد في شتى مناحي الحياة، وتأكيد وتدليل

(1) انظر: الظلال، ج٤/٢١٦٣ ، بتصرف.
(2) انظر: الظلال، ج٤/٢١٦٤.

على إفراده بالعبادة، ونبذ كل ند وشريك. ويصعد بنا الله في سمائه إلى علامة أخرى، خلقها لنا لكي تكون دليلنا في سيرنا واتجاهنا، إنها النجوم التي يهتدي بها من سلك طرق البر والبحر والجو أيضًا، وكل ما سبق ذكره، يؤكّد في كل مرة التعريف بالله، ووجوب توحيده، وتعظيمه، وتنزيهه، وصرف العبادة له وحده دون سواه، فلا يمكن لأحد غير الله أن يدبِّر، ويخلق، ويصرف هذا الكون وما فيه. فالله هو الخالق، ولا يمكن لعاقل أن يفكّر مجرد تفكير أن غير الله يخلق، ولو اجتمعت الإنس والجن، ولن تستطيع أصنامكم التي تعبدونها من دون الله، أن تخلق ذبابًا، يقول الله ـ جل وعز: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [١]. فكيف تساوون من خلق الخلق كله، بمن لا يستطيع خلق شيء، ولم يخلق أي شيء؟ ألا تذكرون؟! إن كل ما سبق سرده، لا يحتاج منكم مزيدًا من إعمال الذهن، ولا بذل الجهد، وكل ما هناك تذكُّر فقط، يتضح من خلاله الأمر، ويتجلّى اليقين في أوضح صورة. وكل ما تمَّ ذكره، بالإضافة إلى كونه دلائل على توحيد الله، فإنها نعم عظمى؛ بل إنها أجزاء يسيرة تم ذكرها من نعم الله، التي لا يمكن لها عدٌّ ولا إحصاء، فنعم المنعم التي أتمها عليكم، يجب أن تقابلوه بالشكر والتعظيم ،ولكن الله مع ذلك يضيف نعما أخرى، فهو غفور رحيم، يغفر لكم تقصيركم في عدِّ النعمة، فضلًا عن أن تشكروه عليها، رحيم بكم وبتقصيركم. وصفة المغفرة والرحمة لا يمكن أن تكون إلا لله الإله الحق، الذي يعلم سركم وعلنكم، وهو تهديد وتأكيد على استواء الأمرين عنده. ولا يمكن أن تكون أصنامكم قادرة على ذلك، ولا متصفة بصفات الكمال التي هي لله الواحد القهار. وكون الله يعلم السر والعلن، فلن يظلم عنده أحد، فالمحسن لن يذهب عمله سدى ـ بمشيئته سبحانه ـ والكافر سيجازيه الله بما يستحق، وأصنامكم وأوثانكم التي عبدتموها من دون الله، ليتها حية تسمع وتبصر، ولكنها ميتة جامدة، لا تسمع، ولا تبصر، ولا تشعر ببعثكم، فضلًا عن أن تضر أو تنفع. إن هذا البعث الذي هو استيفاء لجزاء الخلق على ما قدموا، لا يمكن أن يعلمه إلا إله مستحق للتأليه، لا آلهتكم المزعومة، ولكن المعاندين المستكبرين لم يؤمنوا بقضية البعث، وما في الآخرة من غيبيات. ومعلوم أن الإيمان بالله يرتبط ارتباطًا كليًّا بالإيمان بالآخرة؛ لذا ناسب أن يعقب بذكره. وهؤلاء لم يؤمنوا بالآخرة لسوء ما في قلوبهم، والتعبير بكون القلوب جاحدة، تأكيد على أن الكفر والجحود تمكّن أيما تمكُّن فيهم، وجعلهم يصدون ويعرضون، وفوق ذلك فإن نفوسهم متعالية مستكبرة، ومن هذا حاله، لا يمكنه التسليم، والانقياد، والخضوع. ولا يخفى على الله حالهم، فهو عالم بسرهم وجهرهم، كاره لاستكبارهم، لا يحبه ولا يرضاه منهم [٢]. ومما يؤكد تغلغل الاستكبار والإنكار في

---

[١] سورة الحج، الآية ٧٣.
[٢] انظر: الظلال، ج٤/٢١٦٧، بتصرف.

نفوسهم المريضة؛ شحذ الهمم في تشويه الوحي للناس، وصرفهم عن اتباع الحق، فلم تقف نفوسهم الخبيثة عند حد الإنكار والاستكبار، بل سعوا جاهدين في تشويه الوحي والطعن فيه. فعندما يسألهم سائل من خارج منطقتهم عن هذا القرآن العزيز، تجدهم يسارعون إلى وصفه بأبشع العبارات، حيث يصفونه بأنه أسطورة، وأكذوبة وخرافة؛ بل إنهم يسابقون السائل قبل أن يسأل، فيجيبوه بأجوبة حتى تصرفه عن دين الله ـ تبارك وتعالى ـ ولكن الله الواحد الأحد المستحق للعبودية، يُبيِّن لهم أن الاستكبار والجحود، وصرف الناس عن اتباع الحق، لا يغني عنهم شيئًا، وأنهم معذبون جزاء تلك الأوزار التي ارتكبوها، والمقصود بها الذنوب والخطايا، ولكن التعبير بحمل تلك الأوزار، جعلها تجرى مجرى الأثقال التي تقطع المتون، وتنقض الظهور. فالأحمال تُتعب وتشقي، وكذلك الذنوب تُتعب وتشقي، وخاصة تلك العظائم التي اقترفوها، وتلك الأوزار التي حملوها [1]، وما ظلمهم الله، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون. وبجحودهم واستكبارهم استحقوا العقوبة، وبصدِّ الناس وصرفهم عن دين الله استحقوا عقوبة أخرى، وعذابًا فوق العذاب. ساءت أوزارهم وأحمالهم ،وتلك السنة السيئة القبيحة، ليست وليدة اللحظة، وليست بدعة مبتكرة، ولا فكرة جديدة سنَّها كفار مكة، إنما هي متوارثة، تعلَّمها كفار مكة من أسلافهم الكفار من الأمم الغابرة، وهي في نهايتها مكر مكَروه، وقد عبَّر الله عن مكرهم هذا في صورة بناء، والأبنية عادة تقوم على قواعد مؤسسة متينة، يقوم عليها البناء من جدران وأركان وأسقف، وكأن الله يصف مكرهم بذلك البناء القوي المتين المحكم المتقن، والذي مهما كانت قوته، فإنه سيتهاوى. أما قوة الملك الجبار، ذي الجبروت والعظمة، فهي إتيانهم من أقوى وأمتن شيء في ذلك البناء، إنه القواعد التي يرتكز عليها البناء. وعندما تُقوَّض القواعد، فإن البناء يتهاوى بسرعة فائقة، وأول ما يسقط أبعد شيء من البناء عن القواعد، إنه السقف الذي خرَّ عليهم، فدمرهم تدميرًا. حيث كانت هلكتهم من حماهم الذي احتموا فيه ،وكان هذا المكان الذي احتموا داخله مقبرتهم التي تحويهم [2]. ولن تقف قوة الله عند هذا الحد، ولن يكون عذابه الذي أصابهم في دنياهم النهاية، بل سيكون جزاؤهم يوم القيامة من جنس عملهم، فاستكبارهم في الدنيا، سيجعلهم في حالة من الخزي والذل، ثم إن آلهتهم المزعومة في الدنيا، التي عبدوها من دون الله، سيسألهم الله عنها يوم القيامة سؤال تبكيت وتحقير لهم، أين شركائي

---

(1) انظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن، للشريف الرضي، ج٢/١٩٠، بتصرف.
(2) انظر: زهرة التفاسير، ج٨/٤١٦١، بتصرف.

الذين كنتم تخاصمون الرسل والمؤمنين من أجلهم؟ ومن هو في حال من الخزي والذل والضعف، فلن يكون له جواب، ولكن المجاوب بعد إذن الله، هم الملائكة والرسل والمؤمنون قائلين: (إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين). وشهادة الملائكة والرسل والمؤمنين في مشهد يوم القيامة تأكيد لما عاينوه من مكر الماكرين في الدنيا؛ لذا عاد السياق إلى لحظة استخراج أرواح الكافرين الماكرين في الدنيا من قِبل الملائكة، وحالهم حينذاك حال الظالم لنفسه، الذي حرمها من الخير من توحيد لله، وإفراده بالعبادة، والثناء على الوحي، ولكن حالهم هنا لا يشبه حالهم وهم في قوة وعزة واستكبار. إنهم يستسلمون في ذل، وخضوع، وانكسار، ولكن مع ذلك ما زالوا يمكرون، ويراوغون، ويكذبون (ما كنا نعمل من سوء)! ويجيئهم الجواب من العليم الخبير سبحانه: (بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون). إن هذا إخبار وبيان لهم أن الذي يعلم هو الله، لا آلهتهم المزعومة، وعليه فالذي يستحقُّ التأليه والعبادة، هو الله وحده لا سواه، ولكنكم بمكركم وكفركم وصدِّ الناس عن سبيل الله، والطعن في وحيه؛ سيكون مصيركم المحتوم النار وبئس المصير، وهذا جزاء استكباركم وعنادكم. والتعبير بقوله تعالى: (فادخلوا أبواب جهنم) فيه لفتة، فهم وقعوا في أكثر من محظور، وارتكبوا أكثر من ذنب، فإعراضهم عن توحيد الله، وعدم إيمانهم بالآخرة واستكبارهم، وصدهم الناس عن سبيل الله بتشويه الوحي والطعن فيه، ناسب أن يذكر دخولهم النار من أبواب متعددة [١]. وما سبق بيان لحال الذين جعلوا مع الله آلهة أخرى، ولكن ما حال من وحّد الله، وصرف العبادة له، وما قوله في الوحي؟ ما جزاؤه؟ وما مصيره؟ إنهم يصفون الوحي بأفضل وصف، وأوجز عبارة، حين يُسألون: إنهم يوجزون الوصف عن الوحي بقولهم (خيرا) ليعم كل خير[٢]، ثم يفصّل الله هذا الإيجاز بأن من وحّده وأفرده بالعبادة، ودلَّ الناس على التوحيد؛ فستكون حياته الدنيا حسنة، تعمُّ كل فضل، وكل خير. ورغم أن الكرامة في الدنيا عامة، إلا أنها لا تكاد تُذكر مع كرامتهم، ورفعة شأنهم في الدار الآخرة، والتي مهّد لها بأنها نِعم الدار، التي لا يوجد بها جنة واحدة، وإنما جنات، وهذه الجنات الإقامة فيها دائمة أبدية؛ لذا عبَّر عنها بقوله: (جنات عدن). وليس عند هذا الحد يتوقف النعيم، بل هناك أنهار تجري من تحت تلك الجنات، أضف إلى ذلك الرزق الواسع الذي يرغبونه مهما كان، وهذا جزاء من وحّد الله، وعبده حقَّ العبادة

---

(١) انظر: تفسير الشعراوي، ج٤٨٧٩/١، بتصرف.
(٢) انظر: التفسير البياني لما في سورة النحل، ج٦١/١.

واتقاه، وأرشد الناس إلى عبادة الله وحده، فالجزاء من جنس العمل. وفي ترتيب عجيب بديع، حينما نعود لذكر الكافرين المشركين الماكرين، ذكر الله موقفهم السيئ من ذكر الوحي حينما يسألهم السائل، فيقولون: إنما هي ترهات وأساطير. ونجد أن موقف الموحدين حيال ذلك، حينما يُسألون عن الوحي، فإنهم يصفونه بالخير الذي يعمُّ، ثم ذكر جزاء الكافرين في الدنيا ويوم القيامة، وحين نزع أرواحهم، وكذلك ذكر جزاء الموحدين في الدنيا ويوم القيامة، وحين قبض أرواحهم، ولكن الجزاء مختلف لاختلاف العمل. وقبض أرواح الموحدين فيه من اللين والسهولة ما فيه، فنفوسهم طيبة بلقاء ربهم، والتعبير بوصفهم (طيبين)، يدل على أنهم طاهرون من دنس الشرك، وهو المناسب لجعله في مقابلة ظالمي أنفسهم في وصف الكفرة. ونفوسهم طيبة؛ لأنهم آمنوا بالله، ورسله، وكتبه، ودافعوا عن وحيه، ودعوا الناس إلى عبادة رب الأرباب -سبحانه وتعالى - فكان حقٌّ هؤلاء البشارة، ولكنها ليست كأي بشارة، إنها أعظم بشارة، وأهم ما يتمناه المرء. إنها الجنة جزاء ما عملوا، وأي بشارة أعظم من التبشير بالجنة [1].

ولأن قضيتنا وموضوعنا في هذه السورة، التوحيد وبيانه، وسوق دلائله، يعود بنا السياق إلى المشركين الذين طعنوا في الوحي، ولم يؤمنوا، ولم يوحدوا - علوًّا واستكبارًا- بل صرفوا الناس عن اتباع الحق، فماذا ينتظرون؟ أينتظرون الملائكة لتأتي لقبض أرواحهم، وهم غارقون في ظلمات الكفر، والاستكبار، والصد؟ أم ينتظرون أن يأتي الله لهم بعذاب لا قِبل لهم به، فيأخذهم أخذ عزيز مقتدر؟ ألم يتعظوا بالأمم الغابرة، الذين كفروا بالله وبرسله، وطعنوا في وحيه، وصدوا الناس عن سبيله؟ أم أنهم جعلوا من الكفرة السابقين نبراسًا لهم، وقدوة يسيرون على خطاهم وخططهم؟ لقد حشد الله لهم من الحجج الدامغة والبراهين الواضحة ما يكفي؛ لكي يوحدوا الله ويصرفوا له العبادة، ولكنهم في ضلالهم سائرون، وفي انحرافهم ماضون، وعلى طريق أسلافهم سادرون؛ فما يُوقع الله بهم من عذاب، ما هو إلا نتيجة أعمالهم، (وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون). ولن تكون عقوبتهم إلا قدر ما ارتكبوه من منكرات، وما اقترفوه من سيئات. وبعد أن رأى الكفار أن

---

[1] انظر: تفسير السمعاني، ج٣/١٧٠، وتفسير الخازن، ج٣/٧٥، وروح المعاني، ج٧/٣٧٣.

المسألة في غاية الجدية، وأن الله سيهلكهم لا محالة - إن استمروا على شركهم- إما بعذاب دنيوي، كما فعل بكثير من الأمم السابقة، وإما بنزع الروح بغلظة وشدة، وإما بدخول النار، وإما بها كلها، ولكنهم مع ذلك لم يذعنوا ولم يخنعوا، بل أصروا على أن القضية خارجة عن سيطرتهم، وأن مشيئة الله هي الغالبة، فلولا مشيئة الله لم يعبدوا غيره هم ولا آباؤهم، ولولا مشيئته أيضا لم يُحرِّموا ما أحل الله، ولكنها سنة جارية عليهم، وعلى أسلافهم من قبل، وهي ليست من بدعهم وأفكارهم، ولكنها أفكار أسلافهم الكفار، الذين جعلوا منهم أئمة يقتدون بهم. ومما يؤكد بطلان حجتهم، أن الرسل الذين أرسلهم الله إليهم لم يلووا أعناق الناس إلى الإيمان بالله قسرًا، وإنما هو بلاغ منهم، يأمرون الناس بعبادة الله وحده، ونبذ الشرك والشركاء. وأقول: هذا يؤكِّد بطلان حجتهم، حيث جعل لهم مساحة حرة في التفكير، ومن ثم اختيار القرار الذي يرونه: إما الإيمان وإما الكفر، وكذلك فإنها تسلية للرسل - عليهم السلام - وتثبيت لأفئدتهم، وهي سنة جرت على جميع الرسل؛ إذ بعثهم الله لأقوامهم يأمرون الناس بعبادته وحده لا شريك له، ونبذ الشرك ، ولكن الناس انقسموا إلى فريقين، فريق سلك طريق هداية الله، وفريق سلك طريق الضلالة. وانظروا إلى ما حلَّ بالأمم قبلكم، وهذا دليل وتأكيد على أن من ضلَّ، ربما اهتدى إذا أعمل نظره وفكره، وتدبَّر واتعظ . ومن عادة النبي الأكرم ﷺ الاهتمام بأمته، والحرص على سلوكهم طريق الهداية، ولكن الهداية والضلالة ليستا من مهام الرسول ﷺ ولا من وظائفه، إنما عليه البلاغ. والهداية والضلالة تمضي وفق سنن الله التي لا تتبدل ولا تتغير، فمن هداه الله، فقد استحقَّ ذلك، ومن أضلَّه الله، فقد استحق ذلك، ولن ينصر الله من ابتغى الضلالة، وسلك طريقها ، وهو أسلوب تهديد ووعيد [1]. وهؤلاء المتكبرون الكافرون، كلما ذكروا حجة لهم، أبطلها الله، فبدأوا يفكرون في إثارة شبهة جديدة وحجة، لعلها تنفعهم في نظرهم، فما كان منهم إلا أن أنكروا البعث بعد الموت. وإنكار البعث يجرُّ إلى إنكار النبوة، وإنكار النبوة يجرُّ إلى إنكار توحيد الإلوهية. والعجيب أنهم يُقسمون بالله، مقرين بتوحيد الربوبية، ليس قسمًا عاديًا، إنما قسم فيه جهد ومشقة، بأن الله لا يبعث من يموت. وبما أن القسم له مكانته في نفوس الموحدين، فكأني بهم يمكرون مكرًا جديدًا، ولكن مكرهم هذه المرة موجَّه للموحدين؛ للتشكيك في دينهم، ولكن سيبعث الله - سبحانه - من يموت لأنه الله الواحد

---

[1] انظر: الظلال، ج٤/٢١٧٠، بتصرف.

الأحد، والذي لا يمكن أن يبعث إلا هو، لا أصنامكم . وبمثل أيمانهم التي كانت بجهد ومشقة، يأتي الردُّ عليهم من الله الواحد بقوله: (حقًّا)، ولكن أكثرهم لا يعلمون استكبارًا وعنادًا، وإلا هم علموا ذلك من الرسول ﷺ ولكن هذا البعث الذي أوجب الله وقوعه ما الداعي له؟ وما الحكمة من وجوده؟

لا شكَّ أن له حكمة ودواعٍ، والمتبادر للذهن أن دواعي ذلك تكمن في أنهم لم يختلفوا فقط في تصديق البعث وتكذيبه، ولكنهم مختلفون في أمور شتى كالشرك بالله، وذكر حججهم الواهية، وإفحامهم من قِبل الله، ومن قِبل تشويههم الوحي، والطعن فيه؛ نتيجة الاستكبار والتكذيب. وسياق الآية التي بين أيدينا وما قبلها، يناسب اختلافهم وتكذيبهم للبعث بعد الموت بأيمان مغلظة. والبعث إنما هو أمر هيِّن على الله ـ سبحانه وتعالى ـ إذا أراده أوقعه دون إبطاء، وفي لحظة. وكذا كل شيء إذا أراده، فإنما يقول له: كن فيكون، وهذا دليل قوي على أنه الله المستحق للعبادة دون سواه، ولكن هؤلاء مردوا على العناد، والتكذيب، والاستكبار، وليتهم عند هذا الحد توقفوا، بل توجهوا إلى الموحدين الصادقين، يؤذونهم في أنفسهم، وأموالهم، وأولادهم، محاولين فتنتهم في دينهم، فما كان من هؤلاء المؤمنين الموحدين، إلا المحافظة على بعض مُقَّدراتهم من دين ونفس، تاركين المال والأهل والولد، بل المكان بأسره، مهاجرين إلى الله، وفي سبيل الله، راجين الله والدار الآخرة. ويأتي العوض لهم من الله، حيث سيبدلهم الله دارًا خيرًا من دارهم، بل دنيا خيرًا من دنياهم، ولأجر الآخرة أكبر وأغلى وأفضل؛ نتيجة صبرهم على أذية المشركين لهم، ونتيجة مفارقتهم الأهل والأوطان، ونتيجة غربتهم في بلاد ليست بلادهم؛ كل ذلك حفاظًا على أغلى ما يملكون. إنه التوحيد، وما هجرتهم وفرارهم بدينهم، إلا لأنهم توكلوا على الله حقَّ توكله، فما خابوا وما خسروا [1].

وبعد أن سرد الله ـ عز شأنه ـ حجج ومقولات الكفار الواهية، مع الرد المفحم عليها منه ـ سبحانه وتعالى ـ ، وجَّه هنا خطابه للرسول ﷺ مباشرة، ليكون استباقًا من الله لردِّ ودحض حجة واهية جديدة، تتمثَّل في عدم تصديقهم بإرسال رسول إليهم، يكون بشرًا رجلًا. وإحالة هؤلاء المعاندين المجادلين إلى أهل الكتاب؛ للتأكد من ذلك، فهم أهل خبرة،

---

[1] انظر: روح المعاني، ج٧/٣٨٤، بتصرف .

جاءتهم الرسل، وذكر ذلك في كتبهم. وهنا لمحة لو تيقنها الكفار؛ لآمنوا، حيث إن الله أحال كفار مكة إلى كفار مثلهم، ولم يحلهم إلى رسول الله ﷺ ولا إلى أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ وهذه الإحالة، للتأكد من بشرية الرسول؛ لا تعني أنهم لا يعلمون، بل هم في حقيقة الأمر يعلمون، ولكنها المكابرة التي تجعل منهم أناسا كأنهم لا يعلمون. وأيضًا مما يؤكّد أن هؤلاء الرسل الذين أرسلهم الله إليكم، إنما هم رسل الله مدعومين بالبينات، التي هي دلائل ومعجزات على صدق الرسل، تدعِّم وتؤكّد على فكرة الرسالة وصدقها، وكذلك كتب الله الدالة على صدق الرسالة والرسل. ولا شك أن من هذه الكتب، القرآن الكريم الذي أنزله الله ليبينه رسول الله للناس، ويشرحه لهم، ويفصِّل لكل ما أُجمل فيه من خلال سنته المطهرة. والتعبير بالناس تأكيد على عالمية القرآن، وعلى عدم اختصاصه بقوم معينين، أو فترة زمنية محددة، بل هو شريعة باقية إلى قيام الساعة [1]. والتعبير بقوله: (ما نزل إليهم)، إشارة إلى تعظيم هذا القرآن وإجلاله، وأن الناس شركاء في تنزيله، فنزوله على النبي ﷺ بيان لوظيفته، وأنه المُبلِّغ ما نُزِّل عليه. ونزوله على الناس؛ لبيان وظيفتهم وهي اتباعه، والسير وفق ما يريد، وعند شعور الناس بذلك، تزيد عظمة القرآن في نفوسهم، ويزيد حرصهم على تنفيذ ما فيه من أوامر، واجتناب ما فيه من زواجر. وهذا الذكر الحكيم غنيمة لمن تأمَّله وتدبَّره ، ومن ثمَّ يؤمن إن لم يكن قد آمن، وإن كان مؤمنًا، زاد إيمانه وعلا شأنه. وهذا السَوق العظيم، وهذا الحشد الهائل من دلائل التوحيد، لم يُؤثِّر في تلك النفوس المريضة، ألا يتعظون، وعن غيهم يرجعون؟ أم يريدون من الله ما لا يرجون؟ ألا يستجيبون؟ أم هم لا يعقلون؟ ألا يعلمون قوة من يتحدون؟ إنه الله الجبار المنتقم، شديد العقاب، الذي يستطيع أن يمكر بهم، جزاء مكرهم السيئات، من شرك بالله، وصرف العبادة لغيره، وتشويه الوحي والطعن فيه، وصدَّ الناس عنه، إنه إن شاء بكل سهولة، وفي لمح البصر، يخسف بكم الأرض، فلا تبقى إلا آثاركم، أو يوقع بكم العذاب بطريقة قد تكون بطيئة، ولكنها مستمرة لفترة طويلة، وفي لحظة أنتم عنها غافلون، كأن تكونوا آمنين، وفجأة يوقع عذابه عليكم. والعذاب عام يدخل فيه المرض، والهم، والغم، والحزن، والفقر، والفرقة، والتنازع، والتخاصم، إلى غير ذلك من أنواع العذاب التي يوقعها الله إذا أراد، ومتى أراد، لا يعجزه شيء ـ سبحانه وتعالى ـ العزيز المتكبر، شديد العقاب، أو يأخذكم

---

[1] انظر: الظلال، ج٤/٢١٧٣، بتصرف.

ويهلككم هلاكًا شاملًا، يأخذكم عن بكرة أبيكم [1] ، والتعبير بقوله: (في تقلبهم)، يعني عدم نومهم، أو موتهم، أو جمودهم وسكونهم، أو مرضهم، فهم في حالة من النشاط والقوة والحركة، يتقلَّبون من مكان إلى مكان، في حركة دائبة مستمرة، ومع ذلك يأخذهم في لحظة، لا ينفعهم تقلبهم، ولا تُجدي معهم قوتهم، فهم أهون على الله لا يعجزونه، وقد يأخذهم بشكل مريع، فيه من الرهبة والتخويف ما فيه. وعندما يأخذهم الله وهم في حالة خوف وفزع، نشأ هذا الخوف من خبرة سابقة تولَّدت عندهم، إذ قد يُهلك قرى قريبة منهم، أو يُصيب بعض زروعهم بالآفات، أو يُفسد بعض تجارتهم، أو يمرض أحدهم، ويصيبه بعاهات؛ فينتج عن ذلك خوف شديد يصيبهم، وذعر مهول يملأ قلوبهم؛ فيكونون في حالة من عدم الأمن، وهذا في حدِّ ذاته عذاب [2]، وحالهم كحال من أُبقي في السجن، وقد حُكم عليه بالقصاص، يتوقَّع كل يوم أنه سيموت، وأن القصاص سيُنفَّذ. وفي كل لحظة يزداد رهبة وخوفًا وذعرًا. وكل ما سبق من تهديدات، لم يوقعها الله، وهو قادر على تنفيذها؛ وذلك لأنه الرؤوف الرحيم المنعم، وهي نعمة عظيمة فازت بها هذه الأمة، لأن نبينا أرسل رحمة للعالمين ،ولم تكن كالأمم السابقة التي عذَّبها الله بصنوف شتى من أنواع العذاب. وإخبار الله في آيات هذا الموضوع بخياراته في التعذيب رحمة ولا شك، فكون الله يخبرنا عمَّا سيحل بالمشركين، إنما يُعدُّ لفت انتباه لمن حاد عن الطريق المستقيم، وأسرف على نفسه بالذنوب، أن تُقبل توبته إذا تاب وأناب، ورجع إلى الله؛ لكي يعودوا إلى جادة الطريق، فالله رؤوف رحيم، يُمهل الناس لعلهم يتوبوا، ولِمَ لا يتوبون؟ والله يمهل ولا يهمل، وما يزال يُعطي الفرصة تلو الفرصة، مُذكِّرًا خلقه بما حلَّ بمن قبلهم من صنوف العذاب، وكيف لا يتعظون ويعبدون إلهًا واحدًا، وكلُّ شيء خاضع، خاشع، خانع لله، معترف بإلوهيته وكمال قدرته؟ ألم ينظروا إلى ظِلال الأشياء، وهي في أقصى مظاهر الخضوع ساجدة لله؟ بل أفلم ينظر هؤلاء المتكبرون المستكبرون عن عبادة الله في ظلال أجسامهم وهي ساجدة لله؟ ألم يخجلوا من أنفسهم مقارنة بظلالهم، هم يسعون جاهدين لكي لا يسجدوا، والظلال خاضعة، خانعة، ساجدة لخالقها العظيم. وليست الظلال وحدها هي الخانعة الخاضعة الساجدة؛ بل كل ما في السماوات وما في الأرض ساجد لله المعبود، من الدواب، والملائكة الذين لا يستكبرون عن عبادة ربهم. وهذا تعريض بالكفار المعاندين، إذ

---

(1) انظر: الظلال، ج٢١٧٣/٤، بتصرف.
(2) انظر: تفسير الرازي، ج٢١٢/٢٠، وتفسير القرطبي، ج١٠٩/١٠.

أنتم بشر واستكبرتم عن عبادة الله، وهؤلاء ملائكة مكرمون لم يستكبروا عن عبادة ربهم، ونتيجة لعدم استكبارهم؛ ظهر خوفهم من ربهم، بعكس أولئك المستكبرين، المعاندين، الكافرين، الذي نتج استكبارهم عن عدم خوفهم من الله العظيم. والتعبير بقوله: (ويفعلون ما يؤمرون)، يُفيد أن الذي يفعل ما يُؤمر به، لا شك أنه يجتنَّب ما ينهى عنه. وفي نهاية هذه الآية سجود تلاوة، تنبيه لمن قرأ هذه الآية أن يسجد، فكل شيء يسجد لله - تبارك وتعالى- حتى الجماد؛ فلماذا لا تسجد أيها المسلم؟ لعلك أن تكون من زمرة الساجدين؛ تعظيمًا لرب العالمين [1].

ولما ذكر الله خنوع وخضوع كل شيء له، أكّد حقيقة تأليهه وحده، لا آلهة معه، ولا ينبغي أن يُرهب إلا هو؛ زيادة في التقرير والتحذير، وهو كذلك وحده المالك المتصرف، له ما في السماوات وما في الأرض، وليس بمستغرب خضوع الظلال له، وسجود الدواب والملائكة، فهو الملك المالك، الذي لا دين إلا دينه، فكيف أيها المشركون الماكرون تعبدون غيره؟ إنه المنعم وحده دون سواه، ولا يمكن أن يدلَّ على ذلك إلا هؤلاء الكفرة المشركون؛ وذلك أنه إذا أصابهم الضر، توجهوا إليه يصرخون خائفين، وجلين، موقنين أن الله المالك، هو الذي سيكشف ضرهم، ولكنهم سرعان ما يعودون إلى مكرهم وعنادهم واستكبارهم، حين كَشْف الضر ناسين أو متناسين الإله الحق، الذي كشف ما بهم من ضرٍّ، إلا من هدى الله منهم. وهنا لفتة عظيمة، تكمن في سعة رحمة الله، حيث استجاب للكفرة المشركين حين أصابهم الضر، وهي نعمة عظمى وفرصة كبرى للموحدين ليدعوا الله - سبحانه وتعالى - وسعة حلمه ليستجيب لهم. وكشف الضر لا شك أنه نعمة عظيمة، ولكن هؤلاء المارقين، بعد أن كشف الله ضرهم، بدلًا من أن يشكروا الله، كفروا بنعمته؛ بل إنهم يجعلون من نعم الله جزءًا مقسومًا لأصنامهم، التي نهاهم الله عن عبادتها. وفعلهم هذا خطير مدمر للعقيدة؛ لذا لن يتركهم الله حتى يسألهم عن فعلتهم المنكرة المشينة، وهنا لفتة للمحققين بسؤال المجرمين قبل إيقاع العقوبة بهم.

وتستمر الآيات في سرد ترهاتهم الباطلة، وعقائدهم المنحرفة، ومكرهم السيئ، فيجعلون لله ما تكرهه نفوسهم، وتسودُّ منه وجوههم، حين يُبشّرون به، حيث جعلوا له -

---

[1] انظر: الظلال، ج٤/٢١٧٣، بتصرف.

سبحانه ـ البنات اللاتي لا يرغبونهن، ولا يتمنونهن، ولهم ما يشتهون من الذكور؛ تأكيدًا على نقصهم واحتياجهم، وتأكيدًا على سذاجة عقولهم؛ إذ كيف ستستمر الحياة بلا أنثى، وكيف سيحصل التكاثر؟ وكيف ستُفرَّغ الغرائز الجنسية؟

إن هؤلاء المشركين عندما تأتي البشارة لهم بالأنثى، تسودُّ وجوههم همًّا وغمًّا، وحالهم كحال من وقع في فضيحة وعار، قد ارتكب أبشع الجرائم المخجلة، والتي تجعله يتخفَّى عن أعين الناس. إنهم يكونون في حيرة من أمرهم، أيُمسكون تلك الأنثى على هوان وذلة، وسواد وجه، أم يدفنونها حية، ويرفعون رؤوسهم متفاخرين من تخلصهم من العار؟! أي عار هؤلاء القوم هم فيه؟ وأي خيارين سيئين أوقعوا أنفسهم فيهما؟ ولكن المتمعن في وصف قبائح هؤلاء، لا يستغرب منهم ذلك السلوك المشين في حق الله ـ سبحانه- فهم لم يعبدوه وحده أصلًا، ولم يجعلوه إلهًا يصرفون له العبادة، فليس من المستغرب بمكان أن يصدر عنهم هذا القول المشين؛ لأنهم كذلك لم يؤمنوا بآخرته، فمثلهم مثل السوء في العبادة، والعقيدة، والمعاملة، والسلوك، وفي النقص والاحتياج [1]، ولله المثل الأعلى في استحقاقه العبودية، وسائر صفات الكمال والجلال والقدرة، لا يشبهه، ولا يماثله، ولا يناظره أحد، المنزه عن الوالد والولد والصاحبة، وكل أحد، العزيز ذو عزة لا تمنعه من معاقبة هؤلاء المشركين، الذين وصف صفاتهم القبيحة، وعقائدهم الباطلة، الحكيم الذي يُعاقب بحكمة وقت ما يريد، يُعطي الفرصة تلو الفرصة، لعلهم يرجعون عن غيهم، ويُمهلهم دون إهمال، وإلا لو أراد أن يهلكهم لما ترك على ظهر الأرض من دابة تدب عليها. وهذه نعمة تُضاف إلى ما سبق ذكره من النعم العظيمة، وفرصة للناس ليعودوا عن غيهم، ولكن الفرص قد يضيعها الناس، والأمل ينقلب إلى ألم؛ وذلك حين يأتي الأجل المحتوم، وتحين ساعة الأجل، فلا يتأخرون ولا يتقدمون عن أجلهم، تهديد ووعيد من لدن عزيز حكيم.

ويُكرِّر الله أنهم جعلوا له ما يكرهون، حيث ذكر الله ذلك تصريحًا عند قوله ـ سبحانه:﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[2]، ويكرر مرة أخرى تلويحًا

---

[1] انظر: الظلال، ج٤/٢١٧٨، بتصرف.

[2] سورة النحل، الآية ٥٧.

عند قوله: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (١). والتعبير به مكررًا؛ لقصد التكرير والتقرير، وزيادة في التوبيخ والتقريع (٢)، وتوطئة لقوله: ﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾. والتعبير بجعل ألسنتهم كأنها الكذب ذاته ـ على قراءة الرفع ـ ؛ لطول كذبهم واستمراره، فصارت كالرمز دالة عليه. ومما يدلُّ على كذبهم المستمر، ما سبق ذكره من ترهات وأباطيل، وما اتبعوه من وصف لحالهم، أن لهم الحسنى، ليتهم اكتفوا بأن لهم الحسنة، ولكنها ألسنتهم التي صارت رمزًا للكذب ودلالة عليه، ونفوسهم الخبيثة، ولكن الرد يأتي سريعًا من الله، بأن الصحيح دخولهم في النار جزاء أعمالهم، دون تأجيل أو تأخير. وهذه الأباطيل وهذه الأقاويل، ليست من مبتكرات كفار قريش، وليست من مخترعاتهم؛ فأسلافهم الكفار من الأمم السابقة، كانوا قد سبقوهم إلى مثل تلك الخرافات، فلا تبتئس يا محمد، ولا تك في ضيق مما يمكرون. إن أولئك الأسلاف الكافرين وخلفهم، قد اتخذوا الشيطان وليًّا لهم، يُزيِّن لهم الشر، ويقبّح لهم الخير، ساروا على طريقه، فبسط سلطانه ونفوذه عليهم، ولن ينفعهم حين يذوقون العذاب الأليم. وهذا الذي قصصناه عليك من شرك المشركين من الأمم السابقة، كان الهدف منه ذكره للناس وبيانه لهم، حتى لا يقعوا في مثل ما وقع فيه أهل الشرك والزيغ والضلال، ومن ثم إذا سمعوا وأطاعوا، وتركوا الشرك والشركاء، ودخل الإيمان في قلوبهم؛ فالخير كل الخير سيكون من نصيبهم، ويكونون مهتدين. وإذا هداهم الله، فلا شك أنه سيرحمهم من مهاوي الشرك. وبعد أن ذكر ـ سبحانه ـ عقائدهم الشركية الباطلة، التي تدلُّ أيضًا على علمه للغيب، والذي يعلم الغيب، لا شك أنه الله الواحد الأحد، المستحق للعبادة. وبدأ بعد ذلك بذكر دلائل قدرته الإلهية، الدالة على توحيده، مع سرد مظاهر نعمه. ولمَّا كان الكلام في الآية السابقة يتحدَّث عن القرآن العظيم، الذي فيه البيان والهدى والرحمة، وبه تكون حياة القلوب، ناسب أن يذكر المطر المنزل من السماء، لتحيا به الأرض الميتة (٣)، على وجه الشمول لكل ما عليها ومن عليها (٤). ولا شك أن من يُحيي

---

(١) سورة النحل، الآية ٦٢.

(٢) انظر: تفسير الشوكاني، ج٤/٢٣٢.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ج٤/٥٨٠، بتصرف.

(٤) انظر: في ظلال القرآن، ج٤/٢١٨٠.

مخلوقًا، فإنه يُعدُّ دليلًا ومؤكدًا على إلوهيته، فما بالك بمن يحيي الأرض بماء نازل من السماء بعد موتها؟ وفي الآية تذكير بقضية البعث، وذلك أن الأرض حينما يحييها الله بعد موتها ، فكذلك الموتى سيبعثهم الله، وختم الآية بقوله: (إن في ذلك لأية لقوم يسمعون)، تذكير لهم بسماعهم صوت المطر النازل على تلك الأرض الميتة، والتي في لحظات تحيا بحول الله، فلا يحتاج ذلك إلى إعمال نظر، وتفكُّر، وتدبر. وهنا لفتة عجيبة، فانقياد السماء بكبرها لله بإنزال المطر، وانقياد الأرض الميتة لربها، حين كانت ميتة قبل إنزال المطر، وحية بعد نزوله؛ تذكير للمشركين الذين لا يقارنون بقطعة من الأرض، فما بالك بالسماء والأرض التي انقادت لله وأطاعته، وأهل الشرك معاندون مستكبرون. وعندما ذكر إحياء الأرض بإنزال المطر، ذكر إحياء الناس بألبان الأنعام، ولم يأتِ هذا اللبن إلا بعد قدرة الله بإنزاله المطر، فأُحييت به الأرض، وخرج المرعى خضرًا، فأكلت منه الأنعام وتغذت عليه، فخرج منها اللبن الذي عاش عليه الناس [1]. وكذلك تسخير الأنعام للإنسان، ليستخرج ذلك اللبن الأبيض الخالص السائغ للشاربين، ما سُخّر إلا طاعة لله -تبارك وتعالى- من قبل الحيوان ألا يعتبر أولئك المعاندون؟

ثم إن العبرة في خروج ذلك اللبن الأبيض من بين الدم الأحمر والفرث، الذي يتبقى في الكرش بعد الهضم ،فهو عبرة وعظة، ودلالة على أنه الإله الواحد الأحد، المستحق للعبادة دون سواه، وتأكيد على أن الكل طائعون لله، إلا أولئك الذين أشركوا معه غيره ولم يوحدوه. وبمناسبة ذكر الماء النازل من السماء مطرًا، أحيا الله به الأرض، حيث إنه سائل وشراب، وذكر اللبن الذي يخرج من بين فرث ودم، هو أيضًا سائل وشراب. ذكر بعد ذلك ما يُعصر من الثمرات، وأنه سائل وشراب أيضًا، ثم إن ماء السماء بقدرة الله أحيا الأرض، ورعت بها الأنعام، فأنتجت اللبن، وخرجت الثمار [2]، وهذه الثمار يتخذون منها السكر والرزق الحسن. ولم يصف السكر بالحسن؛ توطئة لتحريمها فيما بعد، ولبيان أن الرزق الحسن لا يكون خمرًا، وهذا كله لا يمكن إلا أن يكون من منعم واحد، وخالق واحد، وإله واحد، أفلا تعقلون؟ وختام الآية بالتوجه لأهل العقول؛ لأن الخمر يُذهب بالعقل، فهي

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/١٦٠، بتصرف.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ج٤/٥٨١، بتصرف.

إشارة أولى وتدرج أولي لتحريم الخمر[١]. ويستمر التناسق الموضوعي من خلال سرد الأشربة، والتي كان آخرها العسل، الذي يخرج من بطون النحل، الذي أوحى الله إليها بوحي غريزي، أن تتخذ بيوتًا من الجبال والشجر، ومما يجعله الناس لها عروشًا. والتعبير باتخاذ البيوت للنحل؛ لأنها أول مرحلة من مراحل العيش الصافي، الذي لا يكدره مكدر، ولا ينغصه منغص، فالمأوى أولًا حتى يتم الإنتاج والعمل، وليس النحل مأمورا باتخاذ كل جبل، وكل شجر، ولكن من بعضها، فمن هنا تبعيضية. ويستمر التناسق الموضوعي في سياق عجيب وتناسق بديع، فبعد أن ألهم الله ـ عز وجل ـ النحل أن تتخذ لها سكنًا ومأوى، بيَّن أن هناك غاية عظمى من خلال وسيلة السكن للنحل، فليس المقصود النوم والراحة، ولكن هناك عمل عجيب سيقوم به النحل، عمل في خدمة الناس والمجتمع. إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يأذن لها إذنًا قدريًّا تسخيريًّا أن تأكل من الثمرات [٢]، وهي بذلك تسلك الطرق التي ذللها الله لها، ثم تعود إلى بيوتها، لتضع العسل للناس أكلًا وشربًا وشفاء، أفلا يتفكَّر أولئك المشركون الذين أوحى الله إلى رسوله بأمر فطري غريزي، مدعوم بوحي شرعي من قِبل رسل الله، ولكنهم لم يستجيبوا، ولم ينتجوا إلا كفرًا، وعنادًا، واستكبارًا، ومكرًا، وصدا للناس عن سبيل الله، بينما تلك الحشرة الصغيرة استجابت لوحي الله لها، فأنتجت عسلًا وشهدًا. وبعد ذكر تلك السوائل والأشربة، يذكر الله خلق الإنسان، وهو لا شك مخلوق من سائل، وهو الماء المهين [٣]، وما خلقه إلا الله الواحد الأحد المستحق للعبادة، والذي يتصرَّف في خلقه كيف يشاء، فبعد الخلق وفاة، وحياة الإنسان إما أن تكون قصيرة، وإما أن تكون طويلة، تصل بذلك المخلوق الكريم على الله إلى أرذل العمر، بحيث يعود كالطفل غير المميز. ومن يقدر على ذلك إلا العليم بكل شيء، والقادر على كل شيء، والذي مثل ما خلقَ وتوفى، وجعل الوفاة متفاوتة في خلقه، كذلك فإنه فاوتَ بين الخلق في الرزق، فهناك الثري ثراء فاحشا، وهناك الغني، وهناك الوسط، وهناك الفقير جدًّا [٤]. وهؤلاء الذين أغدق الله عليهم وأنعم، لا يمكن أن يجعلوا لعبيدهم وخدمهم من هذا المال نصيبًا، فكيف يجعلون مع الله فيما يخصُّه من العبادة شركاء؟ إنهم بفعلهم المشين هذا، كفروا بنعمة الله، ولم يؤدوا شكرها، حيث قابلوا نعم الله عليهم، باتخاذ شريك في ملكه

---

(١) انظر: الظلال، ج٤/٢١٨١، بتصرف.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ج٤/٥٨١، بتصرف.
(٣) انظر: الظلال، ج٤/٢١٨٢، بتصرف.
(٤) انظر: تفسير الرازي، ج٢٠/٢٤٢، والتحرير والتنوير، ج١٣/١٧١، بتصرف.

وحقه[1]. ولم يتوقف عطاؤه ـ سبحانه ـ عند هذا الحد، بل جعل التزاوج بين الذكر والأنثى من جنس واحد، فلم يزوجكم من جنس أحط من جنسكم، وهذه نعمة كبرى تُضاف إلى ما سبق، وإلى ما يلحق، حيث رزقكم البنين والحفدة، ورزقكم من الطيبات، فكيف آمنتم بآلهتكم الباطلة، واتخذتموها آلهة تُعبد من دون الإله الحق المنعم؟ وجحدتم تلك النعم التي ليست غيبًا يذكر، ولا خبرًا يُروى، وإنما هي واقع مشاهد محسوس ملموس في حياتكم، عبدتم ما لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا، فضلًا عن أن يرزقكم وينعم عليكم، فلا تجعلوا تلك الجمادات مشابهة ومماثلة لله المنعم الواحد الأحد. والتعبير بقوله: (إن الله يعلم)، تأكيد على علم العليم ـ سبحانه- وتعليل للنهي عن ضرب الأمثال لإبطال الحق. والتعبير بقوله: (وأنتم لا تعلمون)، تأكيد على تجهيل من ضرب لله الأشباه والنظائر، بأنه لا يعلم عقابه، ولا ضربه المثل؛ بل العلام هو الله ـ سبحانه [2]. وزيادة في البيان من الله، وتوضيح الأمر وتسهيله عليهم، ضرب مثلين مشاهدين، فالمثل الأول رجلان، أحدهما عبد مملوك لا يقدر على التصرف بأي شيء، ورجل آخر حر يملك رزقًا واسعًا، رزقه الله به، يتصرَّف كيفما يشاء، فلا يمكن بأي حال من الأحوال استواء هذين الرجلين. وضرب المثل الآخر، وهو عبارة عن رجلين أيضًا، أحدهما أبكم لا يستطيع أن يتصرف في شيء، بل هو عالة على سيده، لا يُفلح في أي أمر، كلٌّ يحتاج إلى من يعينه، وليس هو معينا. والرجل الآخر قوي، آمر بالمعروف، يسير سيرًا صحيحًا، لا يحتاج إلى من يُوجّهه، بل يُوجِّه نفسه بنفسه، ويصلح الأمور كما يجب، وبهذا لا يمكن أن يكون بينهما مساواة، فكيف تساوون من لا يسمع، ولا يبصر، ولا يضرُّ، ولا ينفع بمن يسمع، ويبصر، ويضر، وينفع؟ كيف تساوون المخلوق بالخالق؟ وكيف تساوون الذي لا يعلم بمن يعلم غيب السماوات والأرض، وغيب الساعة، الذي لو شاء لأوقعه في لمحة بصر؟ وكيف تساوون القادر على كل شيء بمن لا يقدر على أي شيء؟ وكيف تساوون عالم غيب ما في الأرحام، الذي أخرجكم من بطون أمهاتكم وأنتم لا تعلمون شيئًا؟ كيف تساوونه بمن لا يعلم شيئًا؟ وكيف تساوون الله الذي أنعم عليكم بالسمع والأبصار والأفئدة، بمن لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا؟ ألا تشكرون الخالق المنعم بعبادته، وتتركون آلهتكم المزعومة؟ أتساوون تلك الأصنام بمن سخَّر الطير، ما يمسكهن في جو السماء إلا هو؟ أفلا تنظرون نظر اعتبار؟ إن في كل ما سبق

---

[1] انظر: تفسير الزمخشري، ج٦٢٠/٢ بتصرف.
[2] انظر: تفسير أبي السعود، ج١٣٩/٤، والظلال، ج٢١٨٢/٤، والتفسير البياني، ج١٤٩/١، بتصرف.

ذكره وسرده، علامات ودلائل للمعتبرين، ومؤكدات على أن الله واحد لا شريك له، مستحق للعبادة دون سواه. وبعد ذكر كثير من المغيبات، ناسب أن يذكر السكن الذي فيه خفاء وستر، لا يعلم ما فيه إلا الله، ثم أهل ذلك السكن، بل ربما يغيب عن بعض الساكنين في البيت الواحد أمور تحدث من بعضهم الآخر، فضلًا عن من هم خارج ذلك السكن [1]. ولا شك أن نعمة السكن نعمة كبرى وعطية عظمى، فكثير من الناس لا مأوى لهم ولا سكنى، بل ربما من يكون له بيت، لكنه خالٍ من السكينة والطمأنينة. فالسكن ليس مكانًا يخلد إليه صاحبه، وإنما يكون سكنًا لجسده، وراحة لنفسه، لا خصام ولا مشاكل. والبيت الذي أنعم الله به على الناس، هو مملكة خاصة، لا يجوز دخولها إلا بإذن صاحبه، حيث بيَّنت الآية أن السكن لكم وحدكم، لا يشارككم إلا من ترغبون، وهي إشارة إلى سكن أهل المدن والقرى، وناسب أن يُعقّب بعدها بسكن أهل البادية، حيث جعل مساكنهم مصنوعة من تلك الأنعام، التي ذكرها في مستهل السورة. ومن نعمه على أهل البادية، خفتها وسهولة حملها، مناسبة لحالهم، حيث تجدهم بدوًا رُحّلًا، لا يستقرون في مكان دائم، يبحثون عن الماء والكلأ. وهذه النعم دالة على المنعم، الذي يعلم الغيب، لا أصنامكم التي لا تشعر حتى بنفسها، ولا تتوقف نعمه عليكم عند هذا الحد، بل جعل لكم من أصواف الأغنام، وأوبار الجمال، وأشعار الماعز صنوف الأثاث، وهي من النعم التي يحتاجها الناس، ومن الضروريات الملحة، ولكن مع ذلك، فالله يراعي جانب الكماليات، ويُذكّر بجانب إمتاع أنفسهم. والسكن كما هو معلوم، يستر ويقي من الشمس والحر والقر، والإنسان يحتاج إلى الخروج من مسكنه، فناسب أن يعقّب -سبحانه وتعالى- بحماية الناس، وحفظهم من الشمس والحر والقر، بأن ألهمهم اللجوء إلى الظلال ومغارات الجبال، وصنع اللباس. وكل ذلك حماية للناس، فاللجوء إلى الظل يحمي من الحر، ومن أشعة الشمس الحارقة، واللجوء إلى الجبال للاستراحة، وللحماية من عدو، أو من برد، أو من شمس، أو من مطر، وصنع اللباس لحفظ الأعراض وسترها، وللزينة ،وللحماية من البرد والحر. وهذا من تمام النعمة من المنعم، ولن يخضع، ويخنع، ويستسلم إلا من سكنت نفسه، وصارت مطمئنة، وأما من أعرض، فقد عرَّض نفسه للشتات والضياع [2]، ولا يضيرك، ولا يهمك يا محمد، فمهمتك البلاغ فقط، وهم عارفون، عالمون، موقنون أن ما سردته لهم،

---

[1] انظر: الظلال، ج٤/٢١٨٥، بتصرف.
[2] انظر: الظلال، ج٤/٢١٨٧، بتصرف.

نعم من الله المنعم ـ سبحانه ـ لا من معبوداتهم، ولكنهم ينكرون نعمة الله ويجحدونها، ولم يعبدوا الله شكرًا على نعمه، وإن كان هناك قلة منهم عرفوا تلك النعمة، وآمنوا بالله وحده، ولكن الله لا يتركهم سدى، بل سيبعث الله رسله يشهدون عليهم بأنهم لم يؤمنوا، ولم يستجيبوا، وأولئك الكفرة لا إذن لهم ليدافعوا عن أنفسهم أو يتكلموا، فالله أعطاهم الفرصة تلو الأخرى، وجعل الخطاب موجهًا لهم منذ أرسل إليهم الرسل، وترك المجال مفتوحًا لهم، ساردًا حججه وبراهينه عليهم، ولكنهم أضاعوا تلك الفرص، وتمادوا في مكرهم واستكبارهم، وحين حانت ساعة الحساب، انتهت الفرصة، وانقطعت المهلة، فلا إذن، ولا عتاب، ولا استرضاء، وإنما عذاب كان رسل الله يحذرونهم منه، واليوم سيرونه رأي العين؛ نتيجة ظلمهم، بجعلهم مع الله شركاء في حق الله وحده؛ لذا سيكون العذاب شديدًا، لا تخفيف فيه ولا تأجيل. ولأن نفوسهم ماكرة خادعة، فيها من المراوغة والمكر ما فيها، حاولوا حين رأوا آلهتهم المزعومة، استغلال الفرصة، وقالوا: إن هذه التي عبدناها من دونك ربنا، ويأتي الرد سريعًا من آلهتهم المزعومة بتكذيبهم، وتسفيه مكرهم، حينها لم يجدوا إلا الاستسلام، والخضوع، والانقياد، ولكن مع ذلك لم ينفعهم استسلامهم هذا، فالفرصة قد فاتت، والأمل أصبح ألمًا؛ فلن تنصرهم أصنامهم، ولن تجدي مفترياتهم نفعًا في ذلك الموقف العصيب، وسيذيقهم الله عذابًا لكفرهم بالله، وعدم توحيده وعبادته وحده لا شريك له، وسيزيدهم عذابًا فوق العذاب السابق؛ لصدهم غيرهم عن اتباع الله ورسله، وتشويه الوحي والطعن فيه. والذي صرف الناس عن عبادة الله الواحد الأحد، لا شك أنه وقع في الفساد، وأي فساد أعظم من ذلك الفساد. ويُكرِّر الله ـ تبارك وتعالى ـ بعث الشهيد من كل أمة على هؤلاء. والتعبير بالتكرار له مدلوله واعتباره، حيث إن فيه زيادة على ما أفهمته الآية الأولى في بيان المشاهد، فالشهادة عليهم لا لهم، بدليل قوله تعالى: (عليهم). والتعبير بقوله تعالى هنا (بفي)، وفي آية المشهد الأول بـ(من)؛ للتفنن بين المكررين؛ تجديدًا لنشاط السامعين [1]. والتعبير بقوله تعالى: (من أنفسهم)، تأكيد على أن الشهادة من قومكم، وليس شهادة من غير جنسكم، ومن يشهد على أهله؛ فشهادته أعظم وأكبر، ولها صدى عند المشهود عليهم، إذ لا يمكنهم إلا السكوت والإقرار. وعند من طلب الشهادة إلا تذكيرهم بأن من شهد عليكم، هو من قومكم، وبعد ذلك، يبين الله إنزاله الكتاب على محمد

---

[1] انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/٢٠٠.

ﷺ وهنا حسن تخلُّص في بيان أنه أنعم عليهم بنزول القرآن، الذي بيَّن لهم الطريق الصحيح، والذي لو اتبعوا ما فيه، لما صار لهم ما صار من عذاب نفسي وجسدي، فيما سبق من المشاهد التي سبق ذكرها وبيانها. ولو اتبعوا ما فيه، لهداهم الصراط المستقيم، ومن هداه فقد رحمه، واستبشر به كل من أذعن، وسلَّم لله ـ سبحانه ـ موحدًا به، مؤمنًا به، لا يشرك معه أحدًا غيره [1].

---

[1] انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/٢٠٣.

المبحث الثاني: المقصد الأول: بيان لبعض ما في الكتاب الحكيم من الآداب، ويشمل الآيات (٩٠ إلى ١١١):

النص القرآني قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ
ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ
وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾
وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ
أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوۡ شَآءَ
ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾
وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ
وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ
تَعۡلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ
يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ
أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيۡسَ
لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ
هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ
مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي
يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ
ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن
مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ
هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟
وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ
كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[1].

عرفنا في المقدمة السابقة التوحيد ودلائله، وبيان وتأكيد أهمية التوحيد، وأن العمل لا يُقبل إلا بالتوحيد، ومن وحّد الله ـ تبارك وتعالى ـ فقد خطا الخطوة الأولى والمهمة، وهناك أمور متممة ومكملة للتوحيد، عرفها الناس من خلال الكتاب الحكيم، الذي فيه البيان، والهدى، والرحمة، والبشرى، فبدأ بالأمر بالعدل، الذي هو الصراط المستقيم، المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط ، ويُشار به إلى جميع الواجبات في الاعتقاد والأخلاق والعبودية، وثنّى بالإحسان، وهو الإخلاص في واجبات العبودية، وثلّث بإيتاء ذي القربى، وهو الزيادة على الواجب من النوافل، وكل ما سبق، أوامر بيّنها الكتاب الحكيم. وأما النواهي التي ذكرها القرآن الكريم في هذه الآية، فهي النهي عن الفحشاء، وهي لفظة عامة يندرج تحتها كل قول وفعل قبيح مستهجن مستقذر، ثم عقّب بالمنكر، وهو لفظ عام يندرج تحته كل أمر يدعو إلى الشر قولًا وفعلًا، وثلث بالبغي من المنهيات ، وهو الاعتداء في المعاملة، إما بدون مقابلة ذنب، كالغارة التي كانت وسيلة كسب في الجاهلية، وإما بمجاوزة الحدِّ في مقابلة الذنب، كالإفراط في المؤاخذة [2]. وبعد أن سرد لنا أوامره؛ لكي نأتمر بها، ونواهيه كي ننتهي عنها؛ موعظة منه لعلكم تذكرون، وبعد أن ذكر أوامر

---

[1] سورة النحل من ٩٠ إلى ١١١.

[2] انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/٢٠٤.

عامة، ونواهى عامة أيضًا، وكان أول هذه الأوامر (العدل)، ناسب أن يُعقّب بالوفاء بالعهد الذي هو من جملة المأمورات المتضمنة للعدل [١]. والوفاء بالعهد عام، ثم ذكر ما هو من جنسه، وأخص منه، وهو عدم نقض الأيمان المعقود عليها باسم من أسماء الله، أو صفة من صفاته، فينبغي عليكم الوفاء للرقيب عليكم ـ سبحانه وتعالى. ولمَّا كان من شأن الرقيب، حفظ أحوال من يراقبه، ناسب أن يختم الآية بعلمه بما يفعلون، وهو تهديد وتذكير بأنه لا يخفى عليه خافية، فلا تنقضوا تلك الأيمان التي أكدتموها، بجعل الله عليكم كفيلًا. ثم ضرب ـ سبحانه وتعالى ـ مثلًا للتنفير من نقض العهود، ووجوب الوفاء، وحرمة النقض، حيث شبَّه حال من ينقض أيمانه وعهده، بتلك المرأة التي عملت غزلًا محكمًا متقنًا ثم نقضته، وعند نقضه لن يستغرق وقتًا طويلًا، ولا جهدًا عظيمًا، فما هي إلا لحظات وينقض. ومن المشاهد الآن بناء الأبراج العالية، التي تستغرق سنوات طوال حتى يتم البناء، وفي لحظات يُهدم البناء، إما بفعل الناس، وإمَّا بفعل العزيز الجبار، فما بالك بغزل يُنقض في لحظات بعد ذلك الجهد الجبار، والعمل المتقن، فكذلك الناقض لعهده ويمينه، بعد أن أكدَّ يمينه باسم من أسماء الله العظيم، وجعل الله عليه كفيلًا، ثم جعل أيمانه فيها الدخل والخيانة. ومن ذلك أن تجد أمة من الأمم تعقد حلفًا مع أخرى، فتنقض العهد، لتتصل مع أمة ثالثة أكبر وأقوى، وأعز من تلك الأمة، أو تنقض العهد مع تلك الأمة، لاشتراط الأمة الجديدة ذلك، وهذا مشاهد ملموس في عالمنا اليوم، فتجد دولة متحالفة مع أخرى، وفي حال ضعفها تنقض الحلف، وتبحث عن أخرى.

ولما كان أمر العهد والوفاء به من أعظم الأمور، لم يترك الله الأمر على ضرب المثل فقط، وبيان الخداع والغش في الأيمان؛ لنقض العهود فقط، دون أن يُذكّرهم بأنه الرقيب عليهم في قدرتهم على حفظ تلك العهود والمواثيق، مهما كانت الإغراءات، فهو بلاء وامتحان واختبار لأيمانهم وعهودهم، التي أشهدوا الله عليها، ولكن هناك يوم عظيم، إنه يوم القيامة؛ للفصل بينهم فيما اختلفوا فيه وتنازعوا، والله لو أراد ـ وهو القادر ـ على أن يجمع الناس على الوفاء بالعهود وسائر أبواب الإيمان لجمعهم، ولكنه بحكمته وعلمه جعل

---

[١] انظر: تفسير الشوكاني، ج٢٥٨/٤.

من الناس من يُنقض، ومنهم من يفي؛ بل أضل من شاء، وهدى من شاء [1]. وهذا لا يعني أن دوركم كدور الجماد، فالله بيَّن لكم طريقي الخير والشر، وسلوك أحد الطريقين ، هو تحريك لمشيئتكم، فأي طريق تختارونه، سوف تُسألون عنه، وتجازون عليه إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر. وبيَّن بعد ذلك العقوبة الشديدة بكل صراحة ووضوح لمن راوغ وخدع في أيمانه، والتكرار هنا له مدلوله ومفهومه، وهو تأكيد التحذير، وبيان ما يلحقهم في دنياهم، وما سيحل بهم في أخراهم. ومفهوم التحذير بما سيصيبهم في الدنيا، يدلُّ على أنهم كانوا في عافية، فلا تخونوا في أيمانكم، وينقلب حالكم إلى ابتلاء بعد تلك العافية، وإلى ورطة بعد سلامة، وهي صورة محسوسة مألوفة، والقصد منها إظهار قبح الغاش، والخائن، والغادر في أيمانه. والذي يؤكّد ويُدلّل على زوال القدم بعد ثبوتها، الإحساس القوي المؤلم الذي يغشاكم، ومنه نظرة الناس لكم، وما ينتج عنه من عذاب نفسي مؤلم، وعدم ثقة الناس فيكم يا من جعلتم من أيمانكم غدرًا ومخادعة، حيث قال سبحانه: (وتذوقوا السوء)، وهذا في الدنيا، وإذا مِتم على ذلك؛ فلكم عذاب عظيم في الآخرة، ثم لا يكن هدفكم من نقض ونكث العهود والأيمان، الحصول على متاع من متع الحياة الدنيا دون وجه حق؛ لذا ناسب أن يُعقّب بالتحذير من نقض العهود والاستخفاف بها، مهما كانت الإغراءات، ومهما كانت الوعود بنيل متاع من الدنيا، فما عند الله خير وأبقى. وعندما ذكر حال ومصير أولئك الناقضين لعهد الله وأيمانه، ناسب أن يذكر الطائفة الأخرى، وهم الذين صبروا على الوفاء بالعهود والأيمان والمواثيق، وما أعدَّه لهم من أجر، أحسن مما كانوا عليه من الصبر على الوفاء، والصبر على كل أمورهم. والتنويه من الله للناس عن قضية الوفاء بالعهود والأيمان، لا يعني أن بقية الأعمال لا فائدة من ورائها، ولا ثواب عليها. وأي عمل يعمله الإنسان -ذكرا كان أو أنثى - ممثلا جانبي الإنسانية فمن يثبت على الإيمان؛ كان جزاؤه الحياة الطيبة في الدنيا، والأجر المضاعف في الآخرة. وبمناسبة ذكر الأنثى، تأكيد على وصف الله لحالهم في هذه السورة، وهم سود الوجوه إذا بُشروا بالأنثى، التي كرَّمها الله، وذكرها جنبًا إلى جنب مع الذكر، وساواها في الثواب بالذكر، رغم أن النص مصرح الثواب للذكر والأنثى في قوله تعالى: (من عمل صالحًا) [2].

---

[1] انظر: تفسير الرازي، ج٢٠/٢٦٥، بتصرف .
[2] انظر: تفسير الرازي، ٢٠/٢٦٧، بتصرف.

وفي هذا الموضوع، والذي وسمته بأنه بيان وتبيان لبعض ما في القرآن، من المناسب جدًّا ذكر بعض الآداب التي ينبغي مراعاتها لقارئ هذا القرآن، ومن أهمها حين الاستفتاح بتلاوة هذا القرآن العظيم، الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، وكأنها تهيئة للنفس لتنظيفها من وسوسة الشيطان الرجيم، العدو الأكبر لبني الإنسان، واستقبال لكلام نفيس، نزيه مقدس. وإخلاص المشاعر إلى الله، لا يشغلها شاغل من عالم النجاسة والرجس والدنس، الذي يقوده ويمثله الشيطان الرجيم، حيث يُقبل القلب والأعضاء قاطبة إلى آيات الله الكريمة، ويتأثَّر الإنسان، فينتج عنه لذة وطمأنينة وراحة نفس، وسلوك جيد يظهر بعد ذلك. وبعد أن أمر الله قارئ القرآن أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم حين القراءة، ثم طمأن الله الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، أن ذلك الشيطان الذي استعاذوا بالله منه، لا يمكن أن يتسلَّط عليهم، وإنما سلطانه على الذين تولوه وأطاعوه. وتوليهم إياه كان بطاعتهم له في وسوسته، وقد وقعوا في جرمين في اللحظة نفسها. أما الجرم الأول، فهو اتباعه وطاعته فيما يوسوس لهم به ، وأما الجرم الثاني ، فطاعته ، حيث قدَّموا أمره على أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ [1]. وهو ما يشبه ما وقع فيه اليهود والنصارى من تقديم أوامر ونواهي أحبارهم ورهبانهم على أوامر الله ونواهيه.

إن الذين تسلَّط عليهم الشيطان واستولى عليهم،هم أولئك هم المشركون الماكرون الذين تحدثت السورة عنهم، وتم سرد مقولاتهم وترهاتهم في أمور التوحيد فيما مضى، وهاهم هنا يعاودون الطعن والمقولات الساذجة في كتاب الله الحكيم، حيث استنكروا قضية النسخ، وجعلوها فرصة سانحة لتكذيب الرسول ﷺوقضية النسخ إنما هي بيد الله، ولكنهم نسبوا الافتراء إلى محمد ﷺوأكثرهم لا يعلمون حقيقة النسخ، ولا يعلمون حكمة الله ـ سبحانه ـ من تبديل آية مكان آية، فالأمر لله من قبل ومن بعد [2]. وبعد أن طعن الكفار في النبيﷺ وذهبوا إلى أنه نتيجة للنسخ، فإن هذا القرآن جاء به محمد من عند نفسه، ناسب ا أن يُعقّب بأمر النبي ﷺبأن يخبرهم، أن هذا القرآن الكريم هو من عند الله، وأن هذا التبديل الصالح، إنما هو بأمر الله. نزل به جبريل ـ عليه السلام ـ فالله تعالى هو الذي أنزله، إلى الرسول

---
[1] انظر: الظلال، ج٤/٢١٩، بتصرف.
[2] انظر: المرجع السابق.

ﷺوأن هذا الذكر الحكيم ثبات لمن آمن بـه. فالمؤمن ثابت في أقوالـه وأفعالـه، يقول الحق، وليس للشيطان عليه من سلطان؛ فلا يتخبط كما يتخبط أولئك الكفرة المشركون في أقوالهم في الله، وفي كتابه ونبيه. وإن المؤمنين نتيجة اقتفائهم الصراط المستقيم، تكون لهم البشرى في الدنيا والآخرة، وهؤلاء الكفرة قد خابوا وخسروا، ولم يهتدوا، فلا بشرى لهم في الدنيا ولا في الآخرة؛ لأنهم استمروا على العناد والاستكبار والشرك، واستمروا في مكرهم وبحثهم عن أكاذيب يسطرونها، وأباطيل يقولونها، حيث جعلوا من النبي متلقيًّا، ولكن هذه المرة من بشر أعجمي، لا يعرف العربية التي نزل بها القرآن الكريم. ثم يبيِّن الله في كتابه، أن غرض هؤلاء الكفار ليس البحث عن أسباب الإيمان والمجادلة الموضوعية التي تنتهي بالاقتناع، وإنما غرضهم جحد آيات الله، وتكذيب رسوله، والطعن في كتابه الكريم، وهذا الحال الذي أوقعوا أنفسهم فيه، لن يكون إلا دمارًا وهلاكًا عليهم، فقد خسروا الهداية من الله، وسلكوا طريق الشر، وسوف يذوقون العذاب الأليم الموجع يوم القيامة. وما بثوه من أباطيل، إنما هي أكاذيب وأقاويل مفتريات، وهذه سجية وطبع من جحد بآيات الله، وليس محمد ﷺ هو الذي كذب وافترى ـ حاشاه ـ كما زعموا. ومما يؤكد للكفار في عصرنا هذا، أن هذا القرآن ليس بكلام بشر، وأنه يناجي الفطرة ، ويحرك المشاعر ما قام به أحد القراء المعروفين في المملكة العربية السعودية بالتغني بكلام بشري أمام موظف ألماني كبير، وبعد أن انتهى القارئ، سأل ذلك الموظف الألماني: ما شعورك وأنت تسمع ما قرأته عليك؟ قال: أشعر بأنه كلام عادي، يشبه ما أسمعه في الكنيسة، ثم قرأ ذلك القارئ مقطعًا من سورة الأنعام، وبعد أن انتهى القارئ من القراءة، سأل ذلك الألماني عن شعوره، فقال: لا مسني من الداخل بشكل أكثر من الكلام السابق، وشعرت بملامسته لمشاعري. وعند تسليط آلة التصوير عليه، تشعر بتأثره عند قراءة القرآن، وهو لا يتكلم بكلمة عربية واحدة، وهذا مؤشر صريح يدفع افتراء أولئك الكفرة العرب، الذين كذبوا وافتروا، وزعموا أن القرآن من عند الرسول، وهم عرب خُلَّص يفهمون العربية، ولكنه العناد والاستكبار؛ ولذا استحق من يؤمن بالله، وكتبه، ورسله، ثم يكفر؛ غضب الله في الدنيا، والعذاب العظيم في الآخرة، إلا من أُكره على إظهار الكفر بلسانه؛ نجاة لروحه من الهلاك، ولكن قلبه عامر بالإيمان مطمئن به، ولا شك أن من ارتدَّ بعد إيمانه، إنما كانت العلة في ذلك حبّ الدنيا وزخرفها على نعيم الآخرة، وآثروا العافية مع الردة، وكرهوا البلاء مع الإيمان، تابعين، موالين للشيطان، مختارين الضلالة على الهداية، لا أمل لهم

بهداية، فقلوبهم مختوم مطبوع عليها، وكأنها مغلقة موثقة، لا يصل إليها خير، ولا يدخل إليها إيمان، وسمعهم لا يسمع إلا ما تتلوه عليهم الشياطين من شر وكفر، وآذانهم صماء حين تسمع الإيمان وكل خير، وأبصارهم أصابها العمي، فلا تُبصر آيات الله الدالة على وحدانيته، والموجبة للإيمان به. وكل ما سبق، نتيجة حتمية لغضب الله، فبتلك الحالة البائسة التي أصبحوا عليها، لا شك أنهم بعد ذلك يكونون في حالة غفلة دائمة، وأصبح حالهم كحال البهائم التي لا تسمع ولا تعقل، بل البهائم أفضل منهم، تسجد وتخضع لله، فهم حقًّا وصدقًا خاسرون هداية ربهم، وما عنده من أجر وثواب، ولكن الذين ثبتوا على الإيمان، رغم ما عانوه من أذية الكفار، وأولئك الذين أُكرهوا على نطق الكفر، وقلوبهم عامرة بالإيمان؛ لن يضيّعهم الله ـ سبحانه ـ حيث جعل لهم مخرجًا ومهربًا، فهاجروا إلى الله؛ فرارًا بدينهم، تاركين الأهل والأوطان بعدما فتنهم المشركون في دينهم، ونطقوا بكلمة الكفر بألسنتهم، محاولين مجاهدتهم، فمنهم من صبر على ذلك العذاب محافظًا على إيمانه، ومنهم من لم يتحمَّل ذلك، ولكن القلب عامر بالإيمان، ولا خوف عليهم، فإن الله سيتجاوز عنهم، ويغفر لهم برحمته؛ نتيجة جهادهم الكفار، وصبرهم على ذلك. سيغفر الله لهم ويتجاوز عنهم في ذلك اليوم المهول، الذي تأتي فيه كل نفس من الأنفس السابق ذكرها، تدافع عن نفسها، فتدافع تلك النفس عن نفسها، سواء المؤمنة، أو الكافرة، أو التي كفرت بعد إيمانها، أو التي نطقت بالكفر بلسانها، وقلبها عامر بالإيمان، وتوفَّى كل نفس ما عملت دون ظلم من الله العدل ـ سبحانه وتعالى ـ تأكيدًا على مزيد عدل الله ـ تبارك وتعالى ـ وتحقيقًا لوعده، وبيانًا بعدم تجدد الظلم عليهم ظاهرًا وباطنًا [1].

---

[1] انظر: نظم الدرر، ج٣١٦/٤، بتصرف.

المبحث الثالث: المقصد الثاني: كفران النعمة وحلال السورة وحرامها، ويشمل الآيات (١١٢ إلى ١١٩):

النص القرآني : قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرۡيَةً كَانَتۡ ءَامِنَةً مُّطۡمَئِنَّةً يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٌ مِّنۡهُمۡ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ ﴾ (١).

بعد أن هدَّد الله الكفار، وتوعدهم بالعذاب العظيم نتيجة كفرهم بعد إيمانهم، أو كفرهم كفرا مطلقًا، وسؤال كل نفس عما عملت؛ ناسب أن يعقّب بقدرته على إيقاع العذاب بهم في الدنيا أيضًا، كما أوقعه على أهل قرية بحرمانهم من الأمن والاطمئنان والرزق، بعد أن كانوا آمنين مطمئنين مرزوقين؛ نتيجة كفرهم بنعمة الله. ولم يتوقفوا عند هذا الحدِّ، بل كذبوا رسولهم الذي أرسل إليهم، وهو من جنسهم، وما كان من الله، إلا أن عذَّبهم نتيجة ظلمهم، بصرف العبادة لغير الله، وكفران نعمة الله عليهم وجحدها، ثم يفرع الله بالفاء في قوله ـ سبحانه وتعالى:(فكلوا) تأكيدًا للترابط والتلاحم بين هذه الآية وما سبقها في سياق

---

(١) سورة النحل من ١١٢ إلى ١١٩.

متصل، فلا يكن حالكم كحال أهل القرية التي مثلناها لكم، وأمرهم بالأكل، شريطة أن يكون حلالًا وطيبًا [1]. والتعبير بالأمر هنا، يفيد أن أهل القرية الذين حُرموا مما كانوا فيه من نعم، ليس لأن الله رزقهم الرزق الطيب الواسع، ولكن لكفرهم وجحدهم أنعُم الله، فلا بأس ولا حرج عليكم أن تأكلوا مما رزقكم الله، شريطة أن يتصفَّ هذا الرزق بحلاله وطيبه، والتزموا قواعد شكر نعم الله، فاصرفوا العبادة لله وحده دون سواه، إلهًا واحدًا لا شريك له، وكلوا من نعمه، معترفين بفضله حلالًا، ولا تأكلوا ما حرمه الله عليكم. وقد حصر الله المحرمات ووضحها وبينها، فلا تأكلوا الميتة، والدم، ولحم الخنزير إلا في حال اضطراركم، دون تعدٍّ وتجاوز، حتى يغفر الله لكم، إن أكلتم مضطرين غير متجاوزين. وهذا يعني أن الله بيَّن الحلال والحرام بحصره للمحرمات السابق ذكرها. ولكن أولئك الماكرون الكافرون زادوا في المحرمات، وأحلوا ما حرم الله إيغالا في كفرهم، فأحلوا الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أُهلَّ به لغير اللـه تعالى، وهذا افتراء وكذب على اللـه؛ استحقوا بموجبه العذاب والخيبة والخسران المبين في الآخرة، ولم ينالوا في الدنيا إلا متاعًا قليلًا عما قريب سينتهي. ولما ذكر الله نعمه على أمة محمد ﷺ وبيَّن وجوب شكرها، وتفضُّله وإنعامه عليها بحصر المحرمات، وأما ما عداها فإنه يكون حلالًا طيبًا، ناسب أن يذكّرهم بتفضيله إياهم على اليهود، و أنه ـ جل شأنه ـ حرّم عليهم في سورة أخرى ما أحله لأمة محمد ﷺ حيث قال الله ـ سبحانه وتعالى:﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [2]. ولم يكن تحريمه على اليهود، إلا بسبب ظلمهم، وتجاوز حدهم، وتعدد طغيانهم [3]. وهذه نعمة كبرى، أنعم الله بها على الأمة المحمدية، ولم يتوقَّف فضله وإنعامه على ذلك فقط ؛ بل أنعم بنعمة أخرى على كل الأمم، وذلك بأن من وقع في أي ذنب، فإن باب التوبة مفتوح، ومغفرة الله ورحمته أوسع. وكما هو معلوم، فإن كفار مكة يدّعون حبهم لإبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ ويزعمون أنهم على ملته، وهم كما علمنا فيما مضى من آيات، يجعلون مع الله آلهة أخرى، ويمكرون،

(1) انظر: التفسير البياني، ج٢٢٩/١.

(2) سورة الأنعام، الآية ١٤٦.

(3) انظر : الظلال ج٤ص/٢١٩٩ بتصرف .

ويكفرون، وعن توحيده يصدون. واليهود يزعمون كزعم كفار قريش. والموضوع التالي سنبين فيه ملة إبراهيم، وسنعرف هل اليهود على حق أم كفار مكة، أم هناك طرف آخر، هو أحق بإبراهيم وملته؟

المبحث الرابع: الخاتمة: طريقة التنزيل الحكيم في الدعوة إلى التوحيد، ويشمل الآيات (١٢٠ إلى ١٢٨):

النص القرآني: قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [(١)].

وهكذا نصل إلى ختام هذه السورة الكريمة، ولو عدنا بالذاكرة إلى أول موضوع من موضوعاتها، لوجدنا أنها تكلمت عن التوحيد، الذي هو شرط لقبول الأعمال. ومعلوم أن التوحيد يتنوّع وينقسم إلى ثلاثة أنواع، وما يعنينا هنا إلا توحيد الإلوهية، الذي وقع فيه المشركون، وكان الحوار منصبًّا عليه، ثم عرجنا إلى بعض بيان القرآن وتبيانه، والتذكير بمن وقع في كفر النعمة، وهنا سيفند زعم كفار مكة واليهود، والذي زعم كل منهما اتباعه لإبراهيم الخليل، والسير على ملته. هنا في هذا المقطع الأخير، يبيِّن طريقة الدعوة الصحيحة لهذا التوحيد، ولسائر بقية الدين، والتي هي ملة إبراهيم ـ عليه السلام ـ ولكن قبل الشروع في ملة إبراهيم، فمن المناسب جدًّا التعريف بإبراهيم ـ عليه السلام ـ إنه كان أمة يُقتدى به، يُعلّم الناس الخير، فهل كنتم أممًا يُقتدى بكم، تدلّون الناس على الخير، أم

---

(١) سورة النحل من ١٢٠ إلى ١٢٨.

تصدون الناس عن سبيل الله؟ وكان أيضًا (قانتًا لله)، فهل كنتم مطيعين لله - سبحانه - مداومين على عبادته؟ أم كنتم متقلبين في عبادتكم، فعندما تكونون في حالة الضراء، تتوجهون إلى الله مخلصين له الدين، وعند نجاتكم تنقلبون إلى عبادة أصنامكم. وكان (حنيفًا) ، فهل كنتم مخلصين لله الدين، مستقيمين على طريق الحق كأبيكم إبراهيم؟ وهل كنتم تنبذون عبادة الأصنام؟ أم كنتم بالله تشركون؟ إنه كان شاكرًا لأنعم الله، فهو يشكر ما أنعم الله به عليه من نعم ، فهل يا من تزعمون قرابتكم لإبراهيم - عليه السلام - أنكم شكرتم نعم الله الكثيرة المتوالية عليكم ؟! وهل توجهتم بالعبادة إلى الله؛ شكرًا له على ما أنعم به عليكم؟ وإن كنتم تزعمون حبكم وولاءكم لإبراهيم - عليه السلام - فاسمعوا ما جاء به محمد وأطيعوا؛ لأن الدعوة واحدة، وهي عبادة الله وحده لا شريك له. وبعد أن سرد صفات إبراهيم - عليه السلام - وهي صفات مثالية رائعة، يستحقُّ صاحبها الاجتباء، والاصطفاء، والاختيار؛ لكي يكون قدوة للناس يهتدون به، ولن يكون ذلك إلا بجعله نبيًّا رسولًا، وكان له القبول من جميع الأديان، وله الخير الكبير في الآخرة. ومن الفضائل أيضًا لإبراهيم - عليه السلام - أن محمدًا خير خلق الله، يأمره الله باتباع ملة خليل الله، فهو لم يشرك يا كفار مكة حين أشركتم، فلا تزعموا أنكم اتبعتم ملته، ولم يكن يوم السبت مُعظَّمًا من قِبل إبراهيم الخليل يا يهود، كما أنتم تعظمونه. وكما اختلفتم فيه من قبل، وسيحكم الله - تبارك وتعالى - يوم القيامة فيما اختلفتم فيه. ولأن محمدًا ﷺ هو الوحيد المتبع لملة أبيه إبراهيم، لا كفار مكة، ولا اليهود. أقول: ولأن محمدًا وصحبه، ومن سار على طريقهم في توحيد الله، ينبغي أن يسيروا على قواعد وأسس في دعوة غيرهم إلى توحيد الله، وسائر العبادات والمعاملات، وأول تلك القواعد والأسس، الدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى (بالحكمة)، والحكمة أعلاها كتاب الله، وكيفية تعامله مع القضايا ككل، وبالأخص قضية الدعوة. والحكمة بابها واسع، ولكن من أهم ما ينبغي أن تتصف به الحكمة: مراعاة مقتضى الحال، ومخاطبة كل قوم بما يعرفون، واختيار الزمان والمكان المناسبين، وملاطفتهم بالتلطف والترفق معهم واللين، وغيرها مما تتصف به الحكمة [1]. ثم عقَّب بأسٍّ آخر، يندرج تحت الأسُّ الأول، ألا وهو (الموعظة الحسنة)، واصفًا تلك الموعظة بأن تكون حسنة؛ لأن هناك مواعظ ليست بالحسنة، وذلك عندما ينفّر الداعي من يستمع له بأسلوبه الخشن،

---

[1] انظر: التفسير القرآني، ج٣٩٩/٧، بتصرف.

وتعامله الفظ ، واختياره المكان والزمان غير المناسبين. والموعظة أعلاها ما هو موجود في القرآن الكريم من قصص وأخبار، وضرب أمثال، ووعد ووعيد، وحجج ونعم، ثم ما في السنة من تلك القصص والأخبار، التي فيها من العبر الشيء الكثير، وما في التأريخ والسير من أخبار وقصص، فيها مواعظ تهز الجوارح، وتشحذ الهمم. ويستمر السياق في سرد القواعد التي أمر الله بها نبيهﷺ في الدعوة إلى الإسلام، والتي ينبغي أن يتلمسها كل الدعاة، فقال ـ تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. والتعبير بتغيير الأسلوب، يفيد أن تخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها، ولا تنظر لما نالك منهم من ألم نفسي وجسدي، وأن تصفح عنهم، مهما كان ذلك الألم، ومهما بلغ ذلك الأذى [1]. وتغيير الأسلوب أيضًا، يفيد بأن الدعوة قد تقتصر على الحكمة والموعظة الحسنة، إذا تقبَّل المدعوون هذه الدعوة، ولم يكونوا أكثر جدلًا وأشد معاندة، ولكن إن لم يتقبلوها، وكانوا أكثر جدلًا، وأشد معاندة، فإنك تنتقل معهم إلى مرحلة جديدة، وهي المجادلة الحسنة التي لا تنفر، ولا تضيِّق الخناق عليهم، حتى تؤتي الدعوة أكلها، ويستفيد الناس منها، وهنا ينتهي دور محمد ﷺ فالمطلوب منه دعوة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة لمن يتقبل ذلك، وبالمجادلة الحسنة لمن يعاند، ويكثر المحاجة، ولا يُكلّف نفسه فوق طاقتها من اهتمامه وحرصه على هداية الناس، ولا يبخع نفسه متأسفًا متحسرًا على عدم إيمانهم، وعدم سلوكهم طريق المهتدين. فالله أعلم بمن تنكّب عن الصراط السوي، وسلك سبيل المفسدين، ومن اتبع الطريق الحق، سبيل المؤمنين. وبالعودة إلى قاعدة المجادلة الحسنة، فقد يتجاوز الخصم حدَّه، ويصبح مجادله في ضيق شديد، وربما تضرَّر ضررًا كبير، وهنا ناسب ومن باب العدل والإنصاف من الله العدل، أنه إن عُوقب وتضررَّ؛ فإن الله يأذن له بعقاب من عاقبه، مقدار ما أصابه من عقوبة دون تجاوز، وإن صبر، فهو خير له. وهنا رمزية تدلُّ على ترك عقوبة من اعتدى علينا. وفي الآية التي تليها تصريح بترك العقوبة، والصبر على ذلك، ثم إن الصبر موجه لمحمد ﷺ لشرفه، وعلو مقامه، وصبره لم يكن سهلًا، بل عانى رسول الهدى من المشركين معاناة لا تُطاق؛ ولأن الله رحيم بعباده، مُتلطّف بهم، ناسب أن يُعقّب بعد إلزام الرسول ﷺ بالصبر، ببيان أن هذا الصبر الذي صبره، إنما هو بفضل الله عليه، وبمعونته، وتوفيقه له. ولما علمنا أن دور النبي ﷺ ينتهي

---

[1] انظر: تفسير الطبري، ج١٧/٣٢١، بتصرف.

بـالبلاغ المبـين، حـين دعـوة النـاس إلـى الإسـلام بكـل حكمـة وموعظـة حسـنة، ومجادلـة بالحسنى، إن استدعى الأمر، وإن اشتد الأمر، يكون ذلك بمعاقبتهم وفق ما عاقبوه به، والصبر أفضل؛ فقد ناسب أن يُسلّي قلب رسول الله ﷺ بعدم التأثُّر والحزن لعدم هدايتهم، حيث قال: (ولا تحزن عليهم)، ولا تتكدَّر لما يحيكونه من خدع ومكر لصدِّ الناس عن اتباع الإسلام، وما يخططون له من تشويه القرآن، وما يدبرونه لتشويه صورتك، من وصفهم إياك مرة بالجنون، وأخرى بالسحر، وثالثة بالكهانة، إلى غير ذلك، مما كانوا يخططون له من مكر وخديعة. وهذه الأمور التي ـ سبق ذكرها ـ إذا وقف عندها المؤمن، فإنه سيجد الله معه ناصرًا ومؤيدًا، ومن كان الله معه، فلا عليه من كيد الكائدين، ولا مكر الماكرين[1].

وهكذا اتضح تماسك هذه السورة الكريمة، وتناسق آياتها ومواضيعها في أجمل صورة، وأروع بيان، والحمد لله رب العالمين.

---

[1] انظر : الظلال ج٤ص/٢٣٠٣ بتصرف .

الفصل الثالث

تفسير آيات السورة في ضوء تناسقها الموضوعي

المقدمة: التوحيد ودلائله، وتشتمل على الموضوعات التالية:

الموضوع الأول: توحيد الله، ويشمل الآيات (١ - ٢):

النص القرآني: ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١ يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ٢ ﴾[1].

انتقال سلس رائع، فيه تناسق، وترابط، وتلاحم، ذلكم الانتقال من سورة الحجر، وهي مكية، إلى سورة النحل المكية أيضًا. فالحجر والنحل مكيتان عنيتا بالعقيدة والأخلاق والدعوة، فتولّد التناسق والتناسب في المقاصد والأهداف. وختام الحجر قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩ ﴾[2]، وبداية النحل قوله تعالى: ﴿ أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١ ﴾[3]. فالختام بالإشارة إلى إتيان اليقين، ويعني الموت، ونهاية كل حي، وكذلك كشف الغطاء بإتيان ما يُوعدون، مما يستعجلون به، استهزاء من العذاب في الآخرة بعدما يلقون في الدنيا، ابتدأ هذه بمثل تلك سواء[4]. ثم إن في ذلك تسلية للنبي ﷺ بأن ما تعرَّض له من استهزاء، وصدود عن التوحيد من قِبل المشركين، أن أمر الله وعذابه واقع بهم لا محالة، وإن لم يعذبهم في الدنيا، فحسابهم يوم القيامة حاصل. وقوله سبحانه: ﴿ أَتَىٰٓ ﴾ ماضٍ، وإطلاقه على المستقبل هنا؛ لتحقق وقوعه، وهو من إقامة صيغة مقام أخرى. واستعمال ﴿ أَتَىٰٓ ﴾ للمجيء بسهولة ويسر، فليس بمستصعب إتيان أمر الله[5].

---

[1] سورة النحل، الآيتان: ١، ٢.

[2] سورة الحجر، الآية ٩٩.

[3] سورة النحل، الآية ١.

[4] انظر: نظم الدرر، ج٤/٢٤٣.

[5] انظر: لمسات بيانية، للدكتور/ فاضل السمارائي، ج٦/١، بتصرف.

والمقصود بالإتيان هنا الساعة، بدليل قوله سبحانه: ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [١]، فهو ردٌّ على المكذبين بالبعث القائلين: متى هذا الوعد؟ [٢]

والتعبير بقوله سبحانه: ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ له وقع في النفس، ففيه من روعة الابتداء، وبراعة الاستهلال [٣] ما فيه، حيث جاءت بصيغة حاسمة حازمة، جعلت ما هو متوقع كأنه وقع، وانتهى بصيغة الماضي، الدال على تحقُّق الوقوع [٤]، مشعرة بالتهديد والوعيد من الله لأهل الكفر به وبرسوله، وإعلاما بقرب عذابه وهلاكه لهم، بدليل أنه عقَّب بقوله عز وجل: ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [٥].

عن ابن جريج [٦]، قال: لما نزلت هذه الآية، يعني﴿ أَتَىٰ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ قال رجال من المنافقين بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن أمر الله أتى، فأمسِكوا عن بعض ما كنتم تعملون، حتى تنظروا ما هو كائن ، فلما رأوا أنه لا ينزل شيء، قالوا: ما نراه نزل شيء، فنزلت ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ ﴾ [٧] فقالوا : إن هذا يزعم مثلها أيضا ، فلما رأوا أنه لا ينزل شيء ، قالوا ما نراه نزل شيء فنزلت ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، ج٢/١٠٥.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية، ج٤/١٤٨.

(٣) وهو: أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه، ويشير إلى ما سيق الكلام لأجله . انظر: الإتقان ج٢/٢٨٤.

(٤) انظر: تفسير سورة النحل، وبيان الأهداف التي ترمي إليها، (رسالة جامعية)، للدكتور/ محمد متولي إدريس ص١١٠.

(٥) انظر: تفسير الطبري ج١٧/١٦٤.

(٦) وهو: عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج الأموي مولاهم، أبو الوليد المكي، إمام فقيه مفسر، ثقة فاضل، صاحب تصانيف، وأول من دوَّن العلم بمكة، توفي سنة ١٥٠هـ . انظر: التاريخ الكبير للبخاري، ج٥/٤٢٢، وتاريخ بغداد، ج١٠/٤٠٠، وسير أعلام النبلاء، ج٦/٣٢٥.

(٧) سورة الأنبياء ، الآية الأولى .

عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [1] [2].

والتعبير هنا بأمر الله، سواء كان عذابًا أو إخبارًا بوقوع يوم القيامة للتفخيم والتهويل، وتحقُّقه منوط بحكمه وقضائه، ﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾. وهنا حسن تخلُّص [3] إلى المقصد الأسمى ـ ليس في الآية فحسب، وإنما في السورة كلها ـ وهو توحيد الله ـ عز وجل ـ بتنزيهه عن كل نقص، وخصوصًا عن شركهم معه غيره ـ سبحانه ـ وكذلك فهي مستأنفة استئنافًا ابتدائيًّا؛ لأنها المقصود من الوعيد. فمقصود الوعيد، إبطال الشرك، وجملة ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ ﴾ كالمقدمة، وجملة ﴿ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ كالمقصد[4]. والتعبير بالمضارع؛ للدلالة على تجدُّد إشراكهم واستمراره، والالتفات [5] إلى الغيبة؛ للإيذان باقتضاء ذكر قبائحهم للإعراض عنهم. ووجه الارتباط على ذلك التقدير، أن الله لما نهاهم عن الاستعجال ذكر أن الإنذار للتخويف[6]. وهذه الآية كاملة تنبيه وإيقاظ، لتكون النفس حاضرة مستعدة لما يُلقى إليها من دلائل التوحيد [7]. واتساق وارتباط قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾ [8] بما سبق، أن رسول الله ﷺ لما أخبرهم ـ وهو الصادق المصدوق ـ عن الله ـ سبحانه ـ باقتراب أمره، ونهيه إياهم عن استعجاله؛ ترددوا في ذلك، كيف علم محمد ﷺ فأخبرهم أن الله علّمه

(1) سورة هود ، الآية الثامنة .

(2) انظر : تفسير الطبري ،ج١٧ص/١٦٢ ، والدر المنثور ،ج٩ص/٦ .

(3) وهو: أن ينتقل مما ابتدئ به الكلام إلى المقصود، على وجه سهل يختلسه اختلاسًا، دقيق المعنى، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول، إلا وقد وقع عليه الثاني؛ لشدة الالتئام بينهما. انظر: الإتقان في علوم القرآن، ج٢/٢٩٢.

(4) انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/٧٨.

(5) وهو: نقل الكلام من أسلوب إلى آخر، أعني من التكلم، أو الخطاب، أو الغيبة إلى آخر منها، بعد التعبير بالأول، هذا هو المشهور. انظر: الإتقان في علوم القرآن، ج٢/٢٢٨.

(6) انظر: تفسير أبي السعود، ج٤/٩٦، وروح المعاني، ج٧/٣٣٦.

(7) انظر: حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوي، ج٥/٣٠٩، وروح المعاني، ج٧/٣٣٦.

(8) سورة النحل، الآية ٢.

عن طريق الوحي، عن طريق الملائكة[1]. والتعبير بالاستقبال في قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ﴾ يدلُّ على أن التنزيل عادة مستمرة لله سبحانه [2]. والتعبير عن الوحي بالروح استعارة [3]؛ لأن القلوب والنفوس به تحيى، وتستفيق من ظلام الشرك وسباته إلى نور التوحيد وحياته، ومن رقدة الجهل، ونوم الغفلة، إلى يقظة العلم ونور المعرفة، وروح العقيدة، وحياة النفس، فإطلاق الروح على الوحي في غاية المناسبة والمشاكلة [4]، وهي نعمة كبرى من نعم الله على عباده. وفي هذه الآية نعم خاصة، حيث إن الله اختار الملائكة ليكونوا رسل الله إلى من يصطفي –سبحانه- من البشر ليكونوا رسل الله إلى خلقه. وأقول: هذه نعم خاصة لملائكته، ومن يصطفى من رسله، ونعمة عامة للخلق كلهم، بإرسال الرسل إليهم، ليرشدوهم إلى عبادة الله ـ سبحانه ـ حيث قال:﴿ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾، أي أخبروا الناس بأنني الإله المستحق للعبادة، وخوفوهم من عاقبة شركهم، فإن شركهم باطل، سيجرُّ عليهم عذابًا لا يطيقونه ولا يحتملونه؛ لذا اتقوا الله، وخافوه، واحذروه بترككم للشرك، وهذا تقرير للتوحيد وتأكيد له، وبيان أهميته فهو النعمة الكبرى، ودعوة الرسل ـ عليهم السلام من أولها إلى آخرها، وكل ما شرع الله لعباده، إنما هو من أجل تقرير تلك العقيدة، وما ذلك إلا لأهمية التوحيد، وعظم مكانته، وفي كلمة: (فاتقون)، التفات من الغيبة إلى خطاب المستعجلين [5].

---

(1) انظر: تفسير الشوكاني، ج٤/٢٠٠.

(2) انظر: روح المعاني ج٧/٣٣٢.

(3) انظر: محاسن التأويل، ج١٠ /٣٧٧٨.

(4) انظر: تفسير الرازي، ج١٩/١٦٨.

(5) انظر: التفسير المنير، ج١٤/٨٣ .

الموضوع الثاني: __أدلة توحيد الله، ويشمل الآيات (٣ ـ ١٦):__

النص القرآني: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ (٣) خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن
نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ (٤) وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ
(٥) وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ (٦) وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ
إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ (٧) وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا
لَا تَعۡلَمُونَ (٨) وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ (٩) هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ
وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ (١١) وَسَخَّرَ
لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ
(١٢) وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ (١٣)
وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى
ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ (١٤) وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ
أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ (١٥) وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ (١٦) ﴾[1].

لمَّا بيَّن – سبحانه- فيما مضى، أن معرفة الحق لذاته في قوله تعالى: ﴿ أَنۡ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾، ومعرفة الخير لأجل العمل به في قوله تعالى:﴿ فَٱتَّقُونِ ﴾، اتبعه بذكر أدلة وحدانيته. فتوحيد الله يستلزم أدلة معينة لتوحيده، وهنا استئناف بياني [2]، كأنه – سبحانه- يُعلّل أمره إياهم بقوله: ﴿ فَٱتَّقُونِ ﴾؛ بسبب خلقه للسماوات والأرض، والإنسان، والأنعام، والنبات، وهذه أدلة مؤكدة لتوحيده وعبادته، وهذا يقودنا إلى الترابط الوثيق بين

---

[1] سورة النحل من الآية ٣، وحتى الآية ١٦.

[2] وهو: ما وقع جوابًا لسؤال مقدَّر معنى. انظر : تعجيل الندى بشرح قطر الندى، للفوزان ج١/٦٣.

المقطع السابق وهذا المقطع، فبيان تحقُّق وقوع العذاب أو قيام الساعة، لا يكون إلا من الله، ومن ثم فقد وجب تنزيهه عن الشريك؛ لأنه أنزل الملائكة بالروح على من اصطفى من خلقه، ليبين للناس أنه هو الله المستحق للعبادة، فهو خالق السماوات والأرض بالعدل، لا شريك له ولا معين، تعالى تعاليًّا على أن يكون له شريك أو ظهير، أو نصير، أو معين. والبدء بالسماوات والأرض في الاستدلال على وحدانيته له مدلوله، فهما أعظم الموجودات، وبهما العالم العلوي في السماوات، والعالم السفلي في الأرض. والخطاب صالح لشمول المشركين، وهم المقصودون ابتداء من الاستدلال، ويشمل جميع الناس، ولا سيما فيما تضمَّنه الكلام من الامتنان.

وفيه التفات من طريق الغيبة، الذي في قوله تعالى: ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾، باعتبار بعض المخاطبين [1]. وبعد ذكره للسماوات والأرض، ناسب أن يذكر الخلق، فثنَّى بالإنسان؛ لأفضليته على كثير من المخلوقات، وعجيب خلقه، فهذا الإنسان المخلوق من نطفة، من الماء المهين، الذي أصبح بعده خلقًا عجيبًا، خلقًا من بعد خلق في ظلمات ثلاث، خرج إلى نور الدنيا، فغُذِّي وكبر، ولما اشتد سوقه واستوى، جحد نعمة ربه، وخاصم إلهه، وكذَّب رسله، ونسى الغاية من خلقه ، فهو عبد مخلوق، ليس بمماثل لربه وخالقه، وقد قال الله ـ سبحانه وتعالى ـ واصفًا حاله: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ٧٨ ﴾ [2]، وكلمتا (خصيم مبين) صيغتا مبالغة[3]. ثم يُكمل الله ما يُدلل ويؤكّد على وحدانيته ـ سبحانه- وفق نسق قرآني جميل، ينتقل إلى ما خلق الله للإنسان، وما أنعم عليه به من أنعام ونعم، لا تستحق من ذلك الإنسان إلا الشكر والامتنان، فيقول ـ جل في علاه ـ : ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ٥ ﴾ [4]. خلق له الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم المفصلة في سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِي

---

[1] انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/٨٢.

[2] سورة يس، الآية ٧٨.

[3] انظر: التفسير المنير، ج١٤/٨٧.

[4] سورة النحل، الآية ٥.

﴿ بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٤٣ وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤ ﴾ [(١)]. وهذه الأنعام تنتمي إلى الحيوانات التي تعدُّ في المرتبة الثانية بعد الإنسان من حيث الأهمية، ومن حيث التشابه بالتكوين، فالكل مخلوق من نطفة. ثم إن الأمر لم يتوقف عند الخلق فقط ، دون بيان سبب خلقها، فالله خلقها للناس، خاصة بهم، ينتفعون بها في شؤون حياتهم، ومن هذه المنافع قوله تعالى: ﴿ فِيهَا دِفۡءٞ ﴾، وهذا الدفء لم يأتِ إلا بعد أن سخَّر الله الأنعام للناس، فاستفادوا من أصوافها، وأوبارها، وأشعارها ملابس تقيهم البرد، وتكون دفئًا لهم. وفي هذه الآية نوع من أنواع الحذف وهو الاكتفاء [(٢)]. وذكر الدفء إنما هو من باب مزيد العناية به، فالناس يذبحون الأنعام لأكلها، والاستفادة من أصواف الغنم، وأوبار الإبل، وأشعار المعز للتدفئة، سواء كانت تُلبس أو تُفرش، أو حتى للزينة، وعطف منافع على (فيها دفء)، وهو من باب عطف العام على الخاص [(٣)]. والمنافع التي يحصل عليها الإنسان من هذه الأنعام، هي أيضًا من النعم التي يمتنُّ الله بها علينا، وهذه المنافع مجالها واسع، تندرج تحته كل منفعة علمناها أو جهلناها، وهي دعوة للبحث عن منافع أخرى لم نعلمها، فمما علمناه نعمة اللبن الذي نشربه، وما ينتج عن اللبن من استخراج الزبدة [(٤)]، والسمن [(٥)]، ومأكولات عصرية ـ تستخرج من ألبان الأنعام ـ لم تكن معروفة من قبل، يأكلها الناس اليوم ويتلذذون بها. ومن المنافع أيضًا ظهورها، سواء في ركوبها، أو حمل البضائع عليها، وما يُستخرج من أصوافها، وأوبارها، وأشعارها؛ للإفادة منها في الصناعة والتجارة، وتقديم الظرف في قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴾ مؤذن

[(١)] سورة الأنعام، ١٤٣، ١٤٤.

[(٢)] وهو: أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط ، فيكتفي بأحدهما عن الآخر لنكتة، ويختص غالبًا بالارتباط العاطفي . انظر: الإتقان، ج٢/١٦٣.

[(٣)] انظر: الإتقان، ج٢/٢٧٦.

[(٤)] وهي: خلاصة اللبن . انظر: لسان العرب، ج٣/١٩٢.

[(٥)] وهو: سلاء اللبن، وسلاء الزبد. انظر: لسان العرب، ج١٣/٢١٩.

بالاختصاص، وهذا لا يعني حصر الأكل فيها، فيؤكل من البط ، والدجاج، وصيد البر والبحر، وغيرها مما أحله الله تعالى لنا ،ولكن المشهور أن أكلهم من بهيمة الأنعام ، وما عداه فهو جار مجرى التفكه [1]، وقد أفردها؛ لأنها معظم المنافع [2]، وعطف الأكل هنا؛ لأنه من ذواتها، لا من ثمارها [3]. وأكلها امتنان آخر يدلُّ ويؤكّد على أن الله خلقها أيضًا لنأكلها، وهي نعمة تُوجب توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له.

﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ ﴾ ومع كل ما تقدم ذكره، يُضاف إلى ذلك الجمال، والجمال نعمة يمتن الله بها كما منَّ بما قبلها، وهذا الجمال ﴿ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾. وقد قدَّم الإراحة على التسريح؛ لأن الجمال في الإراحة أظهر، فرجوعها وهي ملأى بطونها، حافلة ضروعها، تسعد أهلها بها. كانت جميلة غاية في الجمال لقد أبهجت قلوب أصحابها، وأنستهم تعبهم الجسدي، وهو من باب التقديم والتأخير، وبالتحديد المناسبة لسياق الكلام [4]، والإتيان بالمضارع في ﴿ تُرِيحُونَ ﴾ و ﴿ تَسْرَحُونَ ﴾؛ لأن ذلك من الأحوال المتكررة، وفي تكررها تكرر النعمة بمناظرها [5].

﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ [6]. ومايزال التناسق سمة بارزة من خلال هذه الآيات، فهذه الأنعام التي خلقها الله لنا، لا تتوقف منافعها، فهي بالإضافة إلى ما سبق، وسيلة نقل تحمل أثقالكم من متاع وطعام وغيره، أو تحمل أبدانكم، والعموم هنا أولى، وهي كناية قريبة من التصريح؛ لأنه عقَّب بقوله تعالى: ﴿ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ ﴾ [7]، وتحمل أبدانكم [8] (إلى بلد)، أي

---

[1] انظر: تفسير الزمخشري، ج٢/٥٩٤.
[2] انظر: جامع القرطبي، ج١٠/٧٠.
[3] انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/٨٢.
[4] انظر: الإتقان، ج٢/٣٦.
[5] انظر : التحرير والتنوير ج١٣/٨٤.
[6] سورة النحل، الآية٧.
[7] انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/٨٥.
[8] انظر: تفسير القرطبي ج١٠/٧١ ، بتصرف.

بلد كان [(١)]، ﴿ لَمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ ﴾ أي: أنكم لولاها لما بلغتموه إلا بشق الأنفس، أو أنكم مع ركوبها، لا تبلغونه إلا بشق الأنفس، فكيف بكم لو لم تكن [(٢)]. وعلى المعنى الأول، استنتج امتنانًا يُضاف إلى ما سبق من نعم أنعمها الله على عباده. فعند خلق الأنعام، وجعلها مهيأة للركوب، مسخرة للناس، جعلها مريحة للناس، موصلة لهم إلى مبتغاهم من حج، وتجارة، وزيارة، ولو لم تكن، فلن يصلوا إلى ما يقصدونه إلا بشق الأنفس. وعلى المعنى الثاني، استنبط أن ركوبها لا يبلغ بالناس، إلا وقد بلغ منهم الجهد والعناء والمشقة مبلغه، ليشعر أن الله سيخلق ما لا تعلمون، فتبارك الله العظيم الذي يعلم السر وما يخفى، ﴿ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ . والتعبير بـ ﴿ رَبَّكُمۡ ﴾؛ للإشارة إلى أن ذلك التمكين من مقتضيات الربوبية، والقيام على شؤونكم [(٣)]، فهو ذو رأفة ورحمة بكم، فمن رأفته ورحمته بكم أن أمركم بتوحيده، وعدم الإشراك به، عن طريق وحيه إلى رسله، حتى لا يعذبكم إن أشركتم به، وأكّد لكم على توحيده بمؤكدات، كخلق السماوات والأرض، وخلقكم، وخلق الأنعام، وجعل المنافع فيها ، وجعلها مسخرة لكم مذللة، تحملكم وتحمل أثقالكم. وهناك احتمال أن ربكم رأف بكم، فلم يعجل لكم العذاب رحمة بكم. وما يزال السياق متصلًا مترابطًا في تأكيد أدلة وحدانيته ـ سبحانه ـ إذ يقول الله تعالى: ﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨ ﴾ [(٤)]، وهو تفصيل بعد إجمال في قوله تعالى: ﴿ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧ ﴾ [(٥)]. ومن هذه الأنعام الخيل، والبغال، والحمير، التي خلقها الله للركوب، فيشعر الراكب عليها بزينة، وبهجة، وجمال [(٦)]، حتى أصبحت تُقام المسابقات لبعض هذه الأنعام كالإبل، والخيل، وهو ما يسمونه (المزايين)، وجمال الخيل. والآية هنا في سبيل الامتنان، والخيل والبغال والحمير تميّزت بجعلها مركوبة أكثر من كونها

---

(١) انظر: تفسير القرطبي، ج١٠/٧١، وتفسير الرازي ج١٩/١٨٠، وروح المعاني ج٧/٣٤٣.

(٢) انظر: تفسير الماوردي، ج٣/١٧٩.

(٣) انظر: زهرة التفاسير، ج١/٤١٣٣.

(٤) سورة النحل، الآية ٨.

(٥) سورة النحل، الآية٧.

(٦) انظر: التفسير القرآني، ج٧/٢٦٧.

مأكولة؛ لذا جُعلت في سياق امتنان بما يغلب عليها، وبما يحبه الناس فيها. وقد جعل الله (البغال) متوسطة بين (الخيل) و (الحمير)؛ لكونها تتولّد من جنسين مختلفين [1]. وينبهنا الله في آخر الآية إلى أن ذلك ليس نهاية المطاف، فما خفي كان أعظم وأكبر، فقال: ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾. وقد اجتهد المفسرون القدماء ـ رحمهم الله ـ في بيان ذلك الخلق الذي لا نعلمه، ولكنهم لم يصلوا إلى المراد، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾، فناسب عصرهم، فلم يعلموا ما خلقه الله من سيارات، وقاطرات، وصواريخ، ودبابات، وطائرات، وناسب عصرنا حين علمنا ما أخفاه الله عمن سبقنا، وأعلمنا به؛ لتتحقق المعجزة العلمية، وربما يخلق خلقًا آخر لا نعلمه، ويعلمه من يخلفنا. وهنا جملة اعتراضية، حيث إن نعمة الامتنان بخلق الخيل، والبغال، والحمير للركوب، وحمل الأثقال من أمتعة وأسفار، وأبدان، وغير ذلك، وما يُسار عليه في السبل الحسية. وقد نبه على الطريق المعنوية التي تنفعنا في ديننا، فهو ـ سبحانه ـ يبيِّن الطرق التي يسلكها الناس إليه، ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ﴾، فمنها طريق مستقيم، سلكه من عرف التوحيد وأدلته، وأيقن به وآمن، فكان على خير وبركة. ومنها طريق جائر لمن حاد عن التوحيد، ولم يؤمن بأدلته: ﴿ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾، ولو شاء الله للطف بكم أيها الناس بتوفيقه، فهداكم وألزمكم قصد السبيل، ولا تجورون عنه، فتتفرّقوا في سبل عن الحقّ جائرة [2]. ويأتي بعد ذلك استئناف، لذكر دليل آخر من أدلة وحدانيته ـ عز وجل ـ وامتنان لخلقه، وهذا الامتنان فيه من الروعة والتناسق، حيث ذكر الإنسان، وخلقه العجيب، ثم الحيوان، وما فيه من منافع وعجائب، وناسب هنا أن يذكر النبات، ولكن قبل ذلك، كيفية إيجاد النبات وخلقه، فذكر المطر، حيث قال ـ سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [3]، الذي تكوَّن من بخار الماء المتصاعد من ماء البحر المالح إلى طبقات الجو العليا، فانعقد سحابًا يسير في الجو، وفق ما يريده الله، فينزل من السحاب إلى الأرض ماء عذبًا زلالا، يسوغ لكم شرابه. وإنعامه غير متوقف ـ سبحانه ـ

---

(1) انظر: تفسير الشعراوي، ج٤٨٥٠/١.

(2) انظر: تفسير الطبري، ج١٦٧/١٧، وتفسير ابن كثير، ج٥٦٠/٤ ، والتحرير والتنوير، ج٨٩/١٣.

(3) سورة النحل، الآية ١٠.

على الشراب فقط ، بل أخرج لكم بهذا الماء شجرًا ترعاه مواشيكم. والإتيان بـفي الظرفية فيه لفتة بلاغية، فالإسامة تكون بالأكل منه، والأكل مما تحته من العشب [١]. وما زال التناسق مستمرًا ظاهرًا جليًّا، فهذا الماء الذي أنزله من السماء، وجعله شرابًا لنا، وغذاءا للشجر الذي سينبت فيما بعد ، ترعى فيه الأنعام. يوجد بقدرته ـ سبحانه ـ بهذا الماء أيضًا غذاء آخر للإنسان، فالله أوجد الأنعام ليأكلها الإنسان ويتغذّى عليها، وأوجد له غذاء آخر، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [٢].

وهذا امتنان آخر، فالماء واحد، والإنتاج مختلف في اللون والطعم والرائحة؛ بل وحتى الصنف، فالغذاء النباتي حبوب وفواكه. والله عندما قال: ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ ﴾، فالمقصود به الحبوب، وقدَّم ﴿ٱلزَّرۡعَ ﴾ ؛ لأنه أصل وأساس الأغذية التي يتغذّى بها الناس [٣]، وعندما قال ـ سبحانه:﴿ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ ﴾، فمقصوده الفواكه، والفواكه أصناف وأشكال، ولكنه ذكر أشرفها، ألا وهو الزيتون فهو فاكهة، وفي ذات الوقت إيدام؛ لكثرة ما فيه من الدهن، وفوائد الدهن كثيرة، فمنها ما يُستخدم للأكل والطلي وإشعال السرج، والعقاقير الطبية، وأدوات الجمال، وذكر الله ـ سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ ﴾ ؛ لكونهما غذاء وفاكهة، وجمع (الأعناب)؛ لاشتمالها على الأصناف المختلفة، ثم قال ـ تبارك اسمه:﴿ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ ﴾ ، فأجمل هنا ما تبقى من الثمرات، بعد أن فصَّل ما خصَّه بالذكر، وهذا يُذكّرنا بما فصَّله الله وأجمله عند ذكر الخيل والبغال والحمير، فخصَّ بعض الحيوانات بالذكر، وأجمل غيرها بقوله: ﴿ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾، وهذا إكمال لأدلة وحدانيته ـ سبحانه ـ ووجوده وكمال قدرته. وهنا لطيفة، فالله بدأ بذكر مرعى الحيوانات، وأتبعه بذكر غذاء الناس، بينما في آية أخرى، بدأ بغذاء الناس،

---

[١] انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/٩١.

[٢] سورة النحل، الآية ١١.

[٣] انظر: تفسير الشوكاني، ج٤/٢٠٦.

ثم بما ترعاه الحيوانات، حيث قال: ﴿ كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ أَنْعَـٰمَكُمْۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾[1].

ففي آية النحل تنبيه على الاهتمام بمن هم تحت يدك، وفي آية سورة طه حديث (ابدأ بنفسك ...) [2] [3].

ومناسبة ختم الآية بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾، وإفراد ﴿ لَأَيَةً ﴾ هنا تفنن في التعبير. والتذييل هنا له مدلوله، فالمزارع يضع حبوبه في الأرض الصالحة للزراعة، فتدخل إلى أجزاء تلك الحبوب بعد مدة أجزاء من رطوبة الأرض وندواتها، فتنتفخ الحبة، فينشق أعلاها وأسفلها، فيخرج من أعلى تلك الحبة شجرة صاعدة من داخل الأرض إلى الهواء. ومن أسفلها شجرة أخرى غائصة في قعر الأرض، وهذه الغائصة هي المسماة بعروق الشجرة، ثم إن تلك الشجرة ما تزال تزداد وتنمو وتقوى، ثم تخرج منها الأوراق، والأزهار، والأكمام، والثمار. وهذه العملية التي حدثت لا تكون متوجهة إلا لمن كان لديه عقل يفكر به [4]. وكذلك وحدة الماء، وكثرة ما يتفرع عنه، يستدعي التفكر. والتذكير به في نهاية الآية، ثم ألا تتفكرون في عظمة الله، وتتيقنون أنه الخالق الواحد المستحق للعبادة، المتفضل عليكم بنعمه، والتي منها قوله: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[5]. فهذه جملة أخرى من النعم يمتنُّ الله بها على عباده، فيها بيان لقهره، وعجائب قدرته، وإتقان تدبيره في مخلوقاته، في العالم العلوي والسفلي معًا. فهو يُسخِّر للناس الليل والنهار، لا حياة تصلح بدونهما، وفق ترتيب لا يملك العاقل إلا التسليم بعظمة الخالق ـ سبحانه-

---

(1) سورة طه، الآية ٥٤.

(2) أخرجه مسلم كتاب الزكاة، باب الابتداء في النفقة بالنفس، ثم أهله، ثم القرابة، ج٣/٧٨، وتتمة الحديث عن جابر، قال: أعتق رجل من بني عذرة عبدًا له عن دبر، فبلغ ذلك رسول الله فقال: « ألك مال غيره ». فقال لا. فقال « من يشتريه منى ». فاشتراه نعيم بن عبد الله العدوى بثمان مئة درهم فجاء بها رسول الله ﷺ فدفعها إليه، ثم قال: « ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فلأهلك فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك فإن فضل عن ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا ». يقول فبين يديك وعن يمينك وعن شمالك.

(3) انظر : تفسير الرازي ، ج١٩ص/١٨٠ .

(4) انظر : تفسير الرازي ج١٩ص/١٨٠ ، وفتح القدير ج٤ص/٢٠٦ .

(5) سورة النحل آية ١٢ .

فالليل سخَّره الله لنا ليكون سكنًا، يكون فيه نومنا واستراحتنا من عناء العمل، واستعدادًا ليوم جديد، يكون نهاره عملا وكفاحا، وسعيا في طلب الرزق. وأيضًا سخَّر للناس الشمس والقمر بنظام دقيق، وهذا التسخير له من الفوائد العظام، فنعرف بمسيرهما السنين والحساب، وما تمنحه الشمس لنا من دفء وحرارة، تُسهم في التداوي من بعض الأمراض، وما تستفيده النباتات من أشعة الشمس، وما يُعرف اليوم بالطاقة الشمسية، ودخولها في الصناعات. وضوء القمر المستمد من الشمس، له فائدته في هداية الناس إلى طرقهم التي يسلكونها، بل وحتى بعض الحيوانات تستخدم ضوء القمر لتحركاتها، والمد والجزر الذي يحدث في البحار والمحيطات، والنجوم التي سخَّرها أيضًا لكم بأمره - سبحانه - في سائر أحوالها لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر، ولتكون زينة، ورجومًا للشياطين ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، أي إن في ذلك التسخير الذي ذكره - سبحانه - لآيات باهرة دالة على توحيد الله الخالق المنعم، ودليلا على كمال قدرته لقوم يستعملون عقولهم، فيدركون بها آيات الله في مخلوقاته الدالة على أنه الواحد. وهنا نكتة لطيفة في ذكر التسخير مرة بقوله: ﴿وَسَخَّرَ﴾، ومرة بقوله: ﴿مُسَخَّرَاتٌ﴾؛ فالأول واضح، والآخر خفي؛ لقلة من يرقب حركات النجوم [1].

ولما ذكر الله تسخيره لعباده من عجائب خلقه في عالم السماء والأرض، قال عطفًا على السابق: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [2]، والتقدير: وسخَّر لكم الشمس والقمر، وسخَّر لكم ما ذرأ ...[3]، فهذه نعم مضافة إلى ما سبقها من نعم، والله جعل كل ما خلقه في الأرض مسخرا لبني آدم، ولم يجعله لونًا واحدًا، بل جعله مختلف الألوان، متغاير الصفات، نعمة أنعم بها على خلقه. وهذه دلالات وآيات على أنه الواحد الأحد، الله الخالق المنعم، وختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾. يظهر التناسق والانسجام والتآلف بشكل كبير، فعندما سرد - سبحانه - نعمه على خلقه، بدءًا بالتوحيد، ومرورًا بخلق السماوات والأرض، وخلق

---

(1) انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/٩٣.

(2) سورة النحل، الآية ١٣.

(3) انظر التفسير القرآني للقرآن، ج٧/٢٧٦.

الإنسان، والأنعام، وإنزال المطر، وإنبات النبات، وتسخير الليل والنهار، والشمس والقمر والنجوم، وما ذرأ في الأرض، فإنه يطلب من ذاكرة الإنسان الرجوع إلى كل شيء ذكره وبيَّنه في صدر هذه السورة؛ لكي يتذكر الإنسان عظمة هذا الخالق؛ ولكي يفرده بالعبادة، ويشكره على نعمه الجسام. ومازالت النعم قائمة، وبعد ما ذُكر من نعم خاصة بالبر، ناسب أن ينتقل إلى تعداد نعم البحر، فقال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[(١)]. والبدء بالضمير (هو)، ثم بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِى﴾ ؛ دلالة وتأكيد على أن المسخر هو الله - جل في علاه - لا غيره، وقال: ﴿سَخَّرَ﴾ بالماضي، ويعني هذا أن الله لما خلق البحر، جعله مسخرًا مساقًا للإنسان، وجعل في مقدمة هذا التسخير، هذا البحر حلوًا ومالحًا، وجعله مهيأ مذللًا للإنسان في ركوبه، والغوص فيه والصيد. وقد بدأ بأهم وأجل منافعه، ألا وهو الأكل، فقال - سبحانه وتعالى: (لتأكلوا). والعلة من التسخير الأكل،وما عطف عليه، والتعبير بـ ﴿لَحْمًا﴾ ، يؤكد أن طعام البحر من سمك و غيره من جملة الحيوانات، ولكن لحمها ليس كلحم الحيوانات، بل فيه من الطراوة والنداوة ما يكسب هذا اللحم لذة، وإن كانت المنفعة محصورة فقط بالانتفاع في أكله، أو في استخراج زيوته - كزيت كبد الحوت - ولا يُنتفع من جلوده، كما في باقي الأنعام، حيث الانتفاع بها يتعدَّى أكلها - كما مر سابقًا - والتعبير بـ ﴿طَرِيًّا﴾؛ لقلة عظامه، أو ضعفها، أو انعدامها في بعض أنواعه، وكذلك فإن ملمس هذا اللحم فيه طراوة. وأيضًا فإن ذكر ﴿طَرِيًّا﴾ ، فيه دلالة على كمال قدرته، فهذا السمك الطري اللذيذ يخرج من ماء مالح، ويعني هذا إخراج الضد من الضد، ولن يقدر على ذلك إلا الله، الخالق، القادر، الواحد، المستحق للعبادة [(٢)]. والتعبير بـ(تستخرجوا) فيه لمحة رائعة، فهي تعني كثرة الإخراج، والسين والتاء للمبالغة [(١)]. وعلى ذلك يكون امتنانا آخر يُضاف إلى ما ساقه

---

(١) سورة النحل، الآية ١٤.

(٢) انظر: تفسير الخازن، ج٣/٧٠، وتفسير أبي السعود، ج٤/١٠٦.

(١) انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/٩٥.

الله من نعم على عباده، فالله يتفضَّل علينا بكثرة الاستخراج من البحر من لؤلؤ، ومرجان ، وأصداف، وغير ذلك؛ لنلبسها، ونتجمَّل بها زينة لنا، وإن كانت للنساء فهي أولى. وتجمُّل الناس بها ولبسها، هي في نهاية المطاف متعة يستمتع بها الرجل، إذا رأى زوجته تلبسها. و قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ جملة اعتراضية بين تعليلين، وهما: (لتأكلوا ولتبتغوا). والآية في بدايتها تخاطب الجمع، ثم في هذا المقطع تخاطب المفرد، ويعقبها خطاب للجمع [٢]. وهنا مخالفة للأسلوب، القصد منه التعجب من رؤية تسخير سير الفلك في البحر [٣]، حيث إن فيها مزيد عناية بهذه الظاهرة، تقود إلى الاستمتاع بجمال هذه السفن وروعتها، وهي تشقُّ الماء. ولفتة قوية في التفكُّر في قدرة الله مجرى هذه السفن على البحر دون أن تغرق، وهي نعمة وامتنان تُضاف إلى ما سبق سرده وذكره من نعم الله علينا، ودلالة تُؤكِّد وجوب إفراده بالعبادة. والسر في تقديم ﴿مَوَاخِرَ﴾ على ﴿فِيهِ﴾، أن هذه الآيات في سياق التعداد لنعم الله، فناسب إتيانها بهذا الشكل. ومن تسخير البحر للناس أيضًا، أن الله جعله لابتغاء فضله ـ سبحانه وتعالى ـ من التجارة إما من داخل البحر لصيد الأسماك، واستخراج اللؤلؤ، والمرجان، والأصداف، والقواقع، وغير ذلك، وإما من السير على البحر بتلك السفن الكبيرة لنقل النفط ، وسائر البضائع من وإلى؛ للتكسب وحصول الربح فرادى ودول. ومما يلفت الانتباه تخصيص هذه النعمة بالشكر، إذ يقول سبحانه: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، حيث إن إخراج لحم السمك اللذيذ الطري من ماء مالح، واستخراج اللؤلؤ والمرجان، وسائر الأحجار النفيسة الكريمة، لتكون حلية يلبسها الناس، ويتزينون بها. والفلك تمخر العباب في منظر يسحر الألباب، وإغناؤكم ورزقكم من تسخيره لكم البحر، فأصبحتم تجارًا أثرياء، أفلا تشكرون، وله وحده تعبدون؟! فتصرفوا العبادة له ـ سبحانه- لما أنعم به عليكم من نعم لن تقدروا على تحصيلها، إلا بتسخيرها لكم من الله. وبعد أن ذكر البحر بما فيه من تسخير وإنعام، ناسب أن ينتقل إلى الاستدلال والامتنان، بما على اليابسة من سطح الأرض، وما فيها من نعم كبرى وآلاء عظمى، فعبَّر بإلقاء الجبال الراسيات في الأرض؛ لئلا تميد بنا وتضطرب. فالجبال تحفظ

---

[٢] انظر: تفسير ابن عادل، ج٣١٨٧/١ ، بتصرف.

[٣] انظر : التحرير والتنوير ج١٣ص/٩٥ بتصرف .

ـ بعد حفظ الله ـ توازن الأرض، فلو كانت الأرض غير مستقرة، لما صلحت للعيش عليها، ولا عمرت. ومناسبة ذكر الأنهار عقب الجبال، فيه من التناسق والترابط ، ففي الغالب يكون منبع النهر من الجبل[1]. ومن نعم الأنهار: ري المحاصيل، وتوليد الكهرباء في محطات الطاقة الكهرومائية، وهي مصدر للأسماك، وللشرب، وغير ذلك من نعم الله من هذه الأنهار. ومناسبة ذكر السبل له علاقة ظاهرة، فالناس يتخذون من الجبال سبلًا توصّلهم إلى مبتغاهم، وكذلك الأنهار، بل والأنعام، والدواب التي ذُكرت في صدر السورة لها علاقة مباشرة، فهي وسائل نقل ينتقل بها الناس من وإلى، حيثما كانت وجهتهم [2]. والمعنى في نهاية الآية ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي: يحصل لكم الاهتداء إلى مقصدكم من خلال سيركم [3]. وبالنظر إلى هذه المصنوعات المسخرة من الله لخلقه، أي سخَّر وألقى وجعل أنهارًا وسبلًا، لعلَّ البشر يعتبرون ويرشدون، ولتكون علامات [4]. فهذه كلها وما سبقها أدلة مؤكدة لتوحيد الله بالعبادة وصرفها له، وعجز من أشركوا معه غيره، والتعبير بـ ﴿وَعَلَامَاتٍ﴾ نكرة في سياق الإثبات، لتدل على الإطلاق؛ لأن كل مسافر له علامته الخاصة بالطريقة التي سيسافر عليها، فإن كان سفره بالسيارة، فإشارات المرور تدله وترشده، وإن كان سفره بالقطار، فله العلامات الخاصة به، وإن كان بالسفينة أو الطائرة، أو غير ذلك، فلكل علاماته التي يعتمد عليها في سفره، فكان العموم أولى بالتفسير هنا، فهي تعني معالم الطريق [5]. وعدل ـ سبحانه ـ من الخطاب إلى الغيبة؛ للالتفات في قوله ـ سبحانه: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾، وقدم ﴿وَبِالنَّجْمِ﴾؛ مراعاة للفاصلة، وتقديم ﴿هُمْ﴾ للتقوية [6]. وهذه نعمة أخرى تُضاف لما قبلها من جعل النجوم هداية للناس في سلوك

---

(1) انظر : تفسير الخازن ج٣ص/٧٠ بتصرف .
(2) انظر: ظلال القرآن، ج٤/٢١٦٣.
(3) انظر: تفسير الطبري، ج١٧/١٨٣.
(4) انظر: تفسير ابن عطية، ج٤/١٥٦.
(5) انظر: تفسير البغوي، ج٥/١٣، والتفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني للقدومي، ج١/٣٣.
(6) انظر: محاسن التأويل ج١٠/٣٧٩٠.

سبلهم، وكذلك دلالة وتوكيد لاستحقاق الله للعبادة وحده لا شريك له؛ فناسب أن يقول سبحانه: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[1].

---

(1) سورة النحل، الآية ١٧.

الموضوع الثالث: مقارنة بين الإله الحق والآلهة المزعومة، ويشمل الآيات (١٧ - ٢٣):

النص القرآني قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [١].

لما ذكر الله - تبارك وتعالى - فيما سبق من عجائب قدرته، وإتقان صنعته، وبديع خلقه، وكريم نعمائه على نسق رائع، يقود للدلالة والتوكيد على وحدانيته، وتفرده بالخلق والإنعام، وأحقيته بالعبادة، ناسب أن يذكر في هذه الآيات، أنه هو الخالق المتفرد، الذي لا يمكن أن يكون له شريك أو مثيل، وهو القادر القاهر فوق عباده، وغيره لا يستحق أن يُعبد، فقال: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [٢]. فعبَّر باستفهام إنكاري توبيخًا وتبكيتًا لهم على إشراكهم بالله، وصرف العبادة للأصنام، التي هي مخلوقة أصلًا، فضلًا عن أن تخلق شيئًا. وهنا نكتة بلاغية، فالأصل في أداة التشبيه أن تدخل على المشبه به، وقد تدخل على المشبه لقصد المبالغة، فيقلب التشبيه، ويجعل المشبه هو الأصل. والمشركون في هذه الآية بالغوا في عبادتهم، وغلوا حتى صارت عندهم أصلًا في العبادة، وجعلوا غير الخالق مثل الخالق، فجاء الردُّ على وفق ذلك [٣]. والإنسان العادي لا يشتغل بعبادة هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، ولا تسمع ولا تبصر؛ بل يصرف هذه العبادة إلى مستحقها وهو الله. وكل ما سبق من تعداد لنعم الله، وإثبات لوحدانيته، لا يخفى على

---

[١] سورة النحل من الآية ١٧ إلى الآية ٢٣.

[٢] سورة النحل، الآية ١٧.

[٣] انظر: الإتقان، ج٢/١١٨.

أحد، فلا يحتاج فيه إلى دقيق الفكر والنظر، بل مجرد التذكر فيه، كفاية لمن فهم وعقل، واعتبر بما ذكره [١]؛ لذا كان من المناسب أن تختم الآية بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾. والسورة من أولها تعداد لنعم الله، وهذه النعم هي من الله الخالق، لا من أصنامكم التي عبدتموها من دون الله؛ لذا ناسب أن يقول: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾[٢]. ثم إن في هذه الآية كلاما جامعا على وفرة النعم من المنعم على الناس، بحيث لا يستطيع عدها العادون، ولا إحصاءها المحصون، وناسب أن يختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ لأن سورة النحل في مساق صفات الله وإثبات لإلوهيته [٣].

وهذه صفات كمال وقدرة، يتصف بها الخالق، لا أصنامكم التي جعلتموها بسخافتكم مساوية له ـ سبحانه وتعالى ـ ثم يتوعد ويوبخ، وهو القاهر فوق عباده، وينبه على أنه الخالق الذي يعلم السرائر وما تخفيه الصدور، فضلًا عن علمه بما تعلنونه، وهي من خصائصه ـ سبحانه ـ وليست أصنامكم التي صرفتم العبادة لها بقادرة على العلم بالظواهر، فضلًا عن العلم بالبواطن، حيث قال: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾﴾[٤]. وهنا لفتة لطيفة، فكونه يعلم ما نُسرُّ وما نعلن، فيعني هذا أن من يفعل الخير، فلن يضيع جهده وعمله عند الله. وفي تقديم ﴿مَا تُسِرُّونَ﴾ على ﴿وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ استواء الأمرين عنده: سره وعلنه [٥]. ثم إن تلك المعبودات الباطلة التي اتخذتموها آلهة تُعبد من دون الله ناقصة، ولا يوجد فيها صفة كمال البتة، فهي لا تخلق شيئًا؛ لأنها مخلوقة، والتعبير هنا في قوله تعالى: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا﴾ أي: أنهم لا يستطيعون خلق أي شيء، ولو كان تافهًا يسيرًا، وهنا تنويع فيه من الروعة والجمال، فقد قال الله في الآية السابعة عشر من السورة نفسها: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾، ويعني هذا أنهم لا يخلقون أي شيء، وفي هذه

---

[١] انظر: تفسير الخازن، ج٣/٧١ ، بتصرف.

[٢] سورة النحل، الآية ١٨.

[٣] انظر: الإتقان، ج٢/٢٧.

[٤] سورة النحل، الآية ١٩.

[٥] انظر: تفسير أبي السعود، ج٤/١٠٨، بتصرف.

الآية، قال: ﴿ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا ﴾، والسبب أنهم مخلوقون لا يملكون ضرًّا ولا نفعًا [١]. وفائدة قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ ﴾؛ للتأكيد على أن الأصنام مخلوقة، وجملة (وهم يخلقون)، جملة اسمية؛ للدلالة على الدوام والثبات [٢]. ومازال التناسق مستمرًا بشكل رائع ممتع، فهذه المعبودات من دون الله، إضافة إلى ما سبق ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾، فهي ميتة لا روح فيها؛ لأنها جمادات، لا تسمع، ولا تبصر، والله فضلكم على مخلوقاته، وميَّزكم بالحياة عن هذه الجمادات، فكيف تنزلون من قيمتكم ومكانتكم. وهذه سخرية واستهزاء بعقول المشركين، ومن المعلوم أن الكفار أول ما عبدوا الأحجار، ولكنهم بعد ذلك عبدوا أصنامًا حية، كالملائكة والجن، فكيف تفسّر الآية؟ إنهم ناقصون، حتى وإن كانوا أحياء، ونقصهم بالموت، والإله الحق حي لا يموت، وآلهتهم إما أن تكون جامدة لا روح فيها، وإما أن تكون حية يعقبها موت، وفي كلا الحالين، هذه صفات نقص، والله صفاته صفات كمال، فهو حي لا يموت، والتعبير بـ ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾، فيه تهكم بالمشركين. فآلهتهم التي ينتظرون الجزاء والثواب منها، لا تشعر بوقت بعثهم، وكذلك فيه دلالة على البعث بعد الموت، وعلى هذا يكون عود الضمير في قوله: ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ على الأصنام، وعود الضمير في قوله: ﴿ يُبْعَثُونَ ﴾ على المشركين، ويصحُّ أن يكون عوده على المشركين وآلهتهم لقوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [٣]. فطرح المشركين وآلهتهم في النار، تدل على البعث بعد الموت، والتعبير بـ ﴿ أَيَّانَ ﴾ يؤكد على قضية البعث [٤]. ثم يقول الله: ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [٥]. وهذه هي النتيجة المتوقعة، بعد أن بيَّن أن مساواة غير الخالق بالخالق نتيجة ظالمة، وغير متكافئة، فتلك المعبودات من دون الله مخلوقة، ميتة، لا تستطيع نفع نفسها، فضلًا عن أن تنفعكم. ويعني

---

[١] انظر: تفسير الخازن، ج٧٢/٣، بتصرف.

[٢] انظر: التفسير البياني، ج٤١/١.

[٣] سورة الأنبياء، الآية ٩٨.

[٤] انظر: تفسير البحر المحيط، ج٥١٦/٦، بتصرف.

[٥] سورة النحل، الآية ٢٢.

هذا أن الحجة قامت عليهم، ولم يبق إلا إعلان النتيجة المتوقعة بكل قوة وجلاء، ألا وهي: ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾. وكل آيات الخلق والإيجاد، والنعم، والعلم في هذه السورة، توصلنا إلى هذه الحقيقة الكبيرة البارزة في كل نواميس الكون. فهذا هو الله المعبود، الواحد الأحد، الفرد الصمد، المستحق للعبادة وحده لا شريك له. وبعد كل ما ساقه الله من الدلائل على استحقاق العبادة له ؛ لكن العجيب في الأمر أن تكون النتيجة منهم، كما ذكرها الله في قوله: ﴿ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾. والفاء هنا فاء فصيحة [1]، وسُميّت "فاء الفصيحة"؛ لأنها أفصحت "أي: بيَّنت"، وكشفت عن المحذوف، ودلَّت عليه وعلى ما نشأ عنه.

ولأنها أحيانًا تفصح عن جواب شرط مقدر [2]؛ فيكون المعنى إذا كان الإله واحدًا، فلماذا يكفرون، فأجيب بقوله تعالى:﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [3]، بكل أحوالها من بعث، وحساب، وجزاء. والتعبير هنا بوصف الكفار بأنهم ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾، دون باقي أركان الإيمان؛ لأن الإيمان بهذا الركن نتيجة للإيمان بباقي الأركان، ثم إن من لا يؤمنون بالآخرة يستحقون وصفين، وهما: ﴿ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ ﴾، فقلوبهم جاحدة راسخة في الجحود والنكران، لا يُؤثّر فيها وعظ ، ولا ينفع معها تذكير، وتمثّل هذه حالتهم الداخلية. والوصف الثاني: ﴿ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾، يُبيِّن حالهم الخارجي، فهم مستكبرون عن قبول الحق، والاعتراف بتوحيد الله - سبحانه وتعالى- وهذا من التناسق الموضوعي بين جمل الآية الواحدة. ومهما يكن، فالله العليم الخبير، الخالق المستحق للعبادة، بعد وصفه لما في صدورهم، وما هو ظاهر من أفعالهم وأقوالهم، فلا شك أنه يعلم سرهم وجهرهم، وهذا ما لا تستطيعه أصنامهم ولا أحد إلا الله؛ لذا عبَّر بمؤكدات على علمه بحالهم، فقال: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [4]. فلا جرم تعني: لا بد، ولا محالة، فجرت

---

[1] انظر: إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين الدرويش ج٥/٢٨٣.

[2] انظر: النحو الوافي، لعباس حسن، ج٣/٦٣٦.

[3] انظر: زهرة التفاسير، ج٨/٤١٥٤.

[4] سورة النحل، الآية ٢٣.

على ذلك وكثرت، حتى تحوَّلت إلى معنى القسم، وصارت بمنزلة حقًّا [1]، وهذا المؤكد الأول، وأما المؤكد الثاني، فهو﴿ أَنَّ ﴾، والمؤكد الثالث لفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهَ ﴾، والتأكيد فيها من اسمية الجملة، حيث بُدئت بلفظ الجلالة، وهو إظهار في مقام الإضمار. والتعبير بهذه المؤكدات زيادة في أن علم الله لا يوازيه علم، فهو يعلم السر وأخفى، فضلًا عن علمه بالجهر، وكنتيجة حتمية لإعراض المشركين عن عبادة الله بكل تكبر وعناد، أخبر الله أنه لا يحبهم، فقال: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾، وهنا تذييل، وكلمة (المستكبرين) للاستغراق، فيشمل كل أولئك الذين عاندوا واستكبروا، سواء كان استكبارهم عن توحيد الله، وهو المناسب لسياق الآيات، أو استكبارهم عن أي أمر .فالمستكبر عن التوحيد، وهو أعظم الأمور؛ حري به أن يستكبر عن كل شيء.

---

[1] قاله الفراء . انظر: مختار الصحاح، ج١/٤٣.

الموضوع الرابع: المقارنة بين موقفي المشركين والموحدين من الوحي، وبيان جزاء كل فريق، ويشمل الآيات (٢٤ ـ ٣٢):

النص القرآني قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُواْ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [1].

وما يزال التناسق الموضوعي في أروع صورة، فعلم الله بما في قلوبهم من إنكار وجحود، ومعرفته بأقوالهم وأفعالهم، التي يتغلغل في أعماقها صفة قبيحة ذميمة، ألا وهي صفة الاستكبار، حيث وصف الله قلوبهم ـ فيما مضى ـ بقوله تعالى: ﴿ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ ﴾، ووصفهم بالاستكبار في قوله تعالى: ﴿ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾، وقوله كذلك: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾؛ ظهر التناسق والترابط جليًّا، عندما يُقال لهم: ﴿ مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ ﴾؛ فإن جوابهم يتبيَّن فيه النفي، والإنكار، والاستكبار عند قولهم: ﴿ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾، رغم تأكّدهم من أن كلام الله لا يشبه كلام البشر، ولا أساطير وترهات، ولا أكاذيب وأباطيل،

---

[1] سورة النحل من الآية ٢٤ إلى الآية ٣٢.

صاغها الكُتّاب من أعاجم وفرس وغيرهم، مسطَّرة في كتبهم، ولكن المستكبر المنكر، يريد مخرجًا لفكره وأهوائه، ويجد مخرجًا من خلال ما يسمع من تلك الأساطير التي تنتشر بين الناس في ذلك الزمان، من كتب كلها خرافات وأباطيل، فيقول للناس: إن هذا الذي يزعم أنه نبي، لم يأتكم بجديد، بل يسير على شاكلة الذين يؤلفون الأساطير، فيطعن، ويكذب، ويُشوّه حتى تروج بضاعته، وينتشر فكره الضال، مستخدمًا إعلامه وكل ما أُوتي من قوة؛ ليصرف الناس عن دين الله، فيضيف إلى جريمته السابقة جريمة أخرى، لا تقلُّ خطرًا، ولا شناعة، ولا قُبحًا عن عناده واستكباره في قبول الحق، فيشحذ هممه وطاقته، ليصرف الناس عن اتباع الحق، فيُكذّب بالقرآن، ويصف من جاء به بأوصاف تُنفّر الناس عن اتباعه وتصديقه، فيحمل وزرًا على وزره السابق، يقول الله ـ سبحانه ـ في ذلك: ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[1]. واللام في قوله: ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ ﴾ لام العاقبة؛ لأن قولهم عن القرآن الكريم: ﴿ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾، لم يكن الهدف منه ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ ﴾ [2]. والتعبير بـ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ ﴾ استعارة؛ لأن الأوزار في الحقيقة هي الأثقال، واحدها وزر. والمراد بها هاهنا: الخطايا والآثام؛ لأنها تجري مجرى الأثقال التي تقطع المتون، وتنقض الظهور.

وفى معنى ذلك قولهم: فلان خفيف الظهر: إذا وصفوه بقلة العدد والعيال، أو بقلة الذنوب والآثام [3]، وجمع ﴿ أَوْزَارَهُمْ ﴾، تدلُّ على عِظم تلك الذنوب التي ارتكبوها وكثرتها [4]، والتعبير بـ﴿ كَامِلَةً ﴾؛ لأن الله يُخفّف على المسلمين من الذنوب إذا أصاب أحدهم مصيبة، أو هم، أو نكد، أو مرض، أو غير ذلك من البلايا، أما الكافر فمهما أُصيب من نوائب الدهر، فلا تكن له كفارة، فيأخذ نصيبه من العذاب المُقدّر له من الله كاملًا، ثم إن سياق الآيات سياق تهديد ووعيد. ومن التناسق أن تكون عبارة ﴿ كَامِلَةً ﴾ مذكورة لمزيد من

---

(١) سورة النحل، الآية ٢٥.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية، ج٤/١٦١.

(٣) انظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي ج٢ص/١٩٠ .

(٤) انظر: التفسير البياني لما في سورة النحل، ج١/٥١.

الوعيد الشديد بمن كذَّب بكتاب الله الكريم، والتعبير بقوله: ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۙ﴾ يشير إلى أن تأخير العذاب لهم إلى يوم القيامة، فيه مزيد من التخويف والتهويل والشدة، فجرمهم كبير وكبير جدًّا؛ لأنهم أذنبوا في حق أنفسهم بتكذيب الوحي، ولم يتوقفوا عند هذا الحدِّ، بل سعوا إلى إفساد الناس وإضلالهم، وجاءت (من) في قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾ للتبعيض، فالمضلون المكذبون للوحي جزاؤهم عند الله محفوظ، وعقابهم كامل غير منقوص، غير أنهم نتيجة لإضلال غيرهم، سينالهم نصيبهم من العذاب فقط ، جزاء الإغواء والإضلال، ولكنهم في نفس الوقت ، لن يظلموا ويعاقبوا على ذنوب اقترفها من تبعهم في ذنوب أخرى لم يكن لمن أضلهم قصب السبق فيها ،و﴿يُضِلُّونَهُم﴾ أتت بالمضارع؛ لتفيد التجدد والاستمرار. والتعبير بـ ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾، أرى أن المقصود به المضلون؛ لمناسبة السياق، فالسياق يتحدث عنهم، ومعلوم أن فكرهم الضال الذي نقلوه للناس من تكذيب للوحي، وتأثُّر كثير منهم بهذه الأباطيل؛ هي في حقيقة الأمر ليست بأقوال يُعتمد عليها، وليست بأقوال علماء؛ لذا ناسب أن يعبّر عنها الله بقوله: ﴿بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾، ونبه بقوله: ﴿أَلَا﴾ ؛ ليؤكّد بشاعة جرمهم، وما نتج عنه من حمل الأوزار، و﴿سَآءَ﴾ : بئس ما يحملونه من أوزار، وقد عبَّر – سبحانه- عن العذاب بالوزر في قوله: ﴿مَا يَزِرُونَ﴾ للتوافق الكامل، والتساوي البيِّن بين العذاب والوزر [1]. وفعل أولئك المشركين المستكبرين لم يكن جديدًا، فهذه سمة الضالين المضلين مع الأنبياء والرسل السابقين، الذين سبقوهم، فضلوا أنفسهم، وأضلوا غيرهم، بتشويه الوحي المُنزَّل على رسلهم؛ لكي يصرفوا الناس عن اتباع الدين القويم. وهذا مكر مكروه، كأنه بنيان كبير بنوه من التزييف والخداع والتشويه لكتب الله المنزلة على رسله، فأتى الله على ما قالوه وزيفوا به الحقائق، وجعل تزييفهم عليهم لا لهم، فعذَّبهم وأهلكهم وفرَّق جمعهم، وجعل العزة والغلبة لله، ولكتبه، ولرسله. وهذه الآية فيها استعارة تمثيلية، حيث شبَّه الله حالهم بحال من بنى بنيانًا عظيمًا، قوي القواعد، متماسك البناء، ولكن أمر الله أقوى، فأتى على بنيانهم من

---

[1] انظر: زهرة التفاسير، ج٨/٤١٥٨، بتصرف.

قواعده، فأسقطه على رؤوسهم [1]. والتعبير (بقد) في قوله تعالى: ﴿ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾؛ لتقريب حال السابقين بحال اللاحقين في مكرهم، وإبعاد الناس عن الدين القويم من خلال تكذيبه والطعن فيه، وعدم تحديد قوم بالمكر؛ لتبيين أنها سنة جرت في الأقوام كلها، وهذا أبلغ وأعجز. والتعبير بكلمة (القواعد) في قوله عز وجل: ﴿ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴾؛ لأن القواعد هي أقوى ما يُعتمد عليه في البناء، وأكثر ما يُنفق فيه من مواد البناء والحديد؛ لأنه الأساس، فبسقوطه سيسقط باقي البناء، فناسب أن يذكره. والتعبير بقوله جل في علاه: ﴿ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾؛ ليشعر أن مكرهم هذا طال به الزمان، وعرفه القاصي والداني المؤيد لهم والمعارض، حيث نجحوا في إغواء القلة، وفشلوا فيما بعد في نفور من أضلوهم منهم، وهذا استغرق وقتًا طويلًا وجهدًا كبيرًا، وربما خسروا أموالًا؛ لكي يُنفِّذوا مكرهم وخططهم، ولكن الله أسرع منهم مكرًا، فأتاهم بالعذاب بغتة، بحيث إنهم لا يشعرون إلا والعذاب قد حل بهم، ووقوع هذا العذاب في الدنيا. ويستمر التناسق الموضوعي في الآيات تباعًا، فبعد أن بيَّن الله ما يحلُّ بهم في الدنيا من العذاب، يُبيِّن في الآية التالية ما يحلّ بهم يوم القيامة، حيث يقول سبحانه: ﴿ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾[2]، فبدأ الآية بقوله: ﴿ ثُمَّ ﴾؛ للإشارة إلى أن عذاب الدنيا الذي أصابهم به بغتة، لا شك أنه شديد ومهلك، وعذاب القيامة أشد وأنكى، فهناك تفاوت في الزمان والشدة. وتقديم الظرف في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ يَوْمَ ﴾ لقصر الخزي عليهم في ذلك اليوم، وكأنه عذاب جديد يُضاف إلى عذاب الدنيا. وذكر ﴿ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ في حدِّ ذاتها يعدُّ عذابًا مهولا، مفزعا ،فيه من التهويل والترهيب الشيء الكثير، وإسناد الفعل في: ﴿ يُخْزِيهِمْ ﴾ إلى الله، فيه تعظيم لذلك الخزي، فأولئك الماكرون المزيفون للوحي، والمكذبون لرسل الله، كانت أفعالهم نتيجة لغطرستهم وكبرهم؛ فكان من المناسب لهم أن

[1] انظر: زهرة التفاسير، ج٨/٤١٦١، بتصرف.
[2] سورة النحل، الآية ٢٧.

يكون عذابهم مناسبًا لكبرهم، وإن معنى الخزي الذل والهوان(1)، ومن التناسق العجيب في هذه الآيات، أن المكر الذي مكروه، عادة ما يكون في الخفاء، فناسب أن تكون فضيحتهم وخزيهم على رؤوس الأشهاد، ويظهر ذلك جليًّا حين يسألهم الله سؤال توبيخ وتبكيت عن أصنامهم: ﴿ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْۚ ﴾، فأين هم عن نصرتكم؟

وهذا لا يعني غيبتهم وعدم وجودهم، ولكن عدم أحقيتهم بالإلوهية، فهم لا يخلقونكم، ولا يعلمون ما تسرون وما تعلنون، حيث إنهم جمادات ميتة لا روح فيها، فكيف جعلتموها آلهة تُعبد من دون الله؟!

وفائدة التعبير بـ ﴿ شُرَكَآءِيَ ﴾ ، تأكيد على أن الله واحد أحد لا شريك له، ولا مثيل، ولا نظير، فكيف يكون له شريك؟

الجواب: أن تلك الإضافة تعدُّ مزيدًا من التوبيخ والتقريع والخزي لهم، فيكون المعنى أين شركائي في زعمكم ؟!

ومنهم من قال: أين الذين كنتم تدعونهم شركاء؟! (2)

ومعنى (المشاقة): المعاداة والخصومة، فالمشركون عادوا الرسل والمؤمنين أشد المعادة، لأجل هذه الأصنام، التي اتخذوها آلهة من دون الله، فكأن أحد المتخاصمين في شق، والآخر في شق آخر، ولا يليق هذا بالله؛ لذا جاء التعبير في قوله سبحانه: ﴿ تُشَٰٓقُّونَ ﴾ بالإدغام (3)، ويأتي الجواب من أولئك الذين كانوا يحذرونهم من عبادة غير الله، وهم أنفسهم الممكور بهم؛ ليكون مزيد خزي وعذاب نفسي للمشركين الماكرين، وشماتة بهم، وتقريرًا لصدقهم، وهي لحظة من أروع اللحظات التي يعيشها المؤمنون الصادقون؛ إذ يشعرون بلذة الانتصار، وهذا أيضًا تكريم وتشريف للرسل، والملائكة، والمؤمنين، حيث يقول الله – تعالى- عنهم: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْيَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾، وقد

---

(1) انظر: مختار الصحاح، ج٧٤/١.

(2) انظر: تفسير السمعاني، ج١٨٦/٣.

(3) انظر: لمسات بيانية، ج٣٤/١.

أتت بالماضي؛ لتحقق وقوع الفعل. وجملة: ﴿ إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ مؤكدة لأحقيتهم الخزي؛ نتيجة ما اقترفوه. وبعد أن ذكر الله عذابهم في الدنيا ويوم القيامة، ناسب أن يذكر حالهم حين ساعة الاحتضارفقال: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٨ ﴾ [1]. والتعبير بـ ﴿ تَتَوَفَّىٰهُمُ ﴾ ؛ ليدل على كل ظالم لنفسه، ففيها عموم؛ لذا كان من الأجمل والأبلغ فيها التطويل، بخلاف الآية التي في سورة النساء، حيث قال الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ٩٧ ﴾ [2]. فالمتوفون هنا، هم المستضعفون ممن ظلم نفسه، فهم جزء من كل، فناسب أن يكون الفعل أقل [3].

ثم إن حال هؤلاء حين قَبْض أرواحهم حال مُخْزٍ، فيه من الذل والهوان بعد الاستكبار والعتو، فالمشهد عظيم، واللحظة رهيبة، فهؤلاء ملائكة غلاظ شداد، لا يعصون الله ما أمرهم، سينزعون تلك الروح الخبيثة من ذلك الجسد الذي رُبّي على السوء من شرك، ومكر، وخديعة، وتكذيب لرسل الله، وصدٍّ عن الدين، فهل سيصمدون هنا أيضا؟ وهل سيتكبرون؟

لا شك أنهم في حال من الانهزام والذلة والصغار؛ لذا عبَّر الله عنهم بقوله: ﴿ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ ﴾ ، فكأنهم في انحطاط ، كما تنحطُّ الأجسام في سقوطها من علو إلى سفل، وهذا وصف رائع بليغ لذلك المستكبر الذي أصبح مُهانًا ذليلًا، ولكن تلك النفس الخبيثة التي تغلغلَ الكذب والمكر في أعماقها، لا يمكن أن ينفك عنها، فهم ما زالوا يمارسون كذبهم ومكرهم، حيث قال الله عنهم: ﴿ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۭۚ ﴾، و﴿ مِن ﴾ لاستغراق النفي، أي:

---

[1] سورة النحل، الآية ٢٨.
[2] سورة النساء، الآية ٩٧.
[3] انظر: لمسات بيانية، ج١/٢٨٨.

ما كنا نعمل أي سوء [(١)]، فكأنهم نسوا أو تناسوا صدهم عن اتباع الوحي، وصد غيرهم كذلك، وناسب أن يردَّ الله عليهم بقوله: ﴿ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾، فعلم الله بما فعلوه وقالوه، فيه مزيد تحقير لهم ولآلهتهم المزعومة التي لا علم لها، وفيه كذلك استحقاق الله للعبادة. والتعبير بـ ﴿ إِنَّ ﴾ وبالجملة الاسمية، تأكيد لعلمه -سبحانه وتعالى- بما أشركوا، وبما صدوا به الناس عن الدين. وبعد كل ما سبق من بيان لموقف الكفار من الوحي وتكذيبهم له، وصرف الناس عن اتباعه، وبيان عقابهم في الدنيا نتيجة مكرهم، ووقوع الخزي والهوان بهم؛ كان مصيرهم المحتوم دخول جهنم جزاء ما اقترفوه، ولا يظلم ربك أحدًا، فقال الله لهم على لسان ملائكته: ﴿ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ ﴾. وفائدة التعبير بصيغة الأمر، تأكيد على تحقيرهم، وكسر كبريائهم، وتأكيد على تعذيب أرواحهم وهم في قبورهم، وكذلك الإسراع بعذابهم، فما هي إلا أسئلة مختصرة، وبعدها يكون العذاب [(٢)]. والتعبير بذكر الأبواب في قوله: ﴿ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ ﴾، لوقوعهم في كثير من المحاذير التي تستوجب دخلوهم جهنم من أكثر من باب، فشركهم بالله، وتكذيبهم الرسل، وتشويههم الوحي ليصدوا الناس عن اتباعه وغيرها، كل ذلك جعلهم مستحقين لدخولهم جهنم من أكثر من باب، وهم مع ذلك متفاوتون، فمنهم من أشرك، وجعل غيره يشرك، ومنهم من أشرك فقط ، وهكذا دواليك. والتعبير بقوله: ﴿ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾، بعد ما سبق مناسب تمامًا، فدخولهم ليس كأي دخول، إنه يأمرهم أن يدخلوا النار دار الخزي والمهانة، فناسب أن يقول: ﴿ فَلَبِئۡسَ ﴾ ، تلك الأداة الجامعة لمجامع الذم [(٣)]. و التعبير بـ ﴿ مَثۡوَى ﴾ يُفيد الاستقرار الدائم لهم في النار، وجملة: ﴿ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾ تذييل، وختم الآية بـ ﴿ ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾، يعدُّ ختامًا رائعًا ومناسبًا، فنتيجة لتكبُّرهم على توحيد الله، وعلى وحيه المنزل على رسله، خُتمت الآية بـ ﴿ ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾؛ وكذلك لأنه قال في آيات سابقة من

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، ج٨/٤١٦٣.

(٢) انظر: التفسير القرآني، ج٧/٢٨٩، بتصرف.

(٣) انظر: نظم الدرر، ج٤/٢٦٢، بتصرف.

هذه السورة: ﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [1]. ومـا يـزال التناسـق الموضوعي يسير وفق نظام رائع فريد، فبعد أن ذكر الله حال الكفار المكذبين المنكرين للتوحيد، الماكرين الخادعين غيرهم بتشويه الوحي؛ ليصرفوا الناس عنه، وبعد بيان وتوضيح عقابهم في الدنيا والآخرة، وحين نَزْع أرواحهم، ودخولهم النار خالدين مخلدين فيها، ناسب أن يذكر الله حال المؤمنين بالله ورسله، والقائلين قول الصدق في الوحي، والجزاء العظيم لهم في الدنيا والآخرة، وحين نَزْع أرواحهم، ودخولهم الجنة بما كانوا يعملون، وقد عبَّر هنا بجملة خالية من الشرط ، حيث يقول: ﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ ﴾، بعكس مقابلتها: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ ﴾. ومعلوم أن فائدة الشرط التكرار، ولا يحتاج لذلك مع المؤمنين؛ لأن المؤمن جوابه واحد لم يتغير، ولن يتغير، فهو على الحقيقة، والحقيقة ثابتة لا تتغير، ومن ثم فلم يحتج إلى التكرار، بعكس الكافر المصرِّ على جوابه المُزيف، والمخالف للحقيقة، الذي ربما يأتي يومًا ويغيِّر منه. وكان الجواب على هذا السؤال من قِبل المؤمنين المتقين: ﴿ قَالُوا۟ خَيْرًا ﴾ يعني: قالوا: أنزل خيرًا، والملفت للنظر، الاختلاف في إعراب الجملتين المتقابلتين في جواب الكفار والمؤمنين، ففي جواب الكفار: ﴿ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ وفي جواب المؤمنين: ﴿ قَالُوا۟ خَيْرًا ﴾، بينما السؤال واحد: ﴿ مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ ﴾، فالجواب: أن الكفار جحدوا الوحي وأنكروه، والمؤمنون آمنوا به، وأثنوا عليه خيرًا [2] ، و ﴿ خَيْرًا ﴾ نكرة في سياق الإثبات، والنكرة في سياق الإثبات، تدلُّ على العموم. فهذا الخير عام يشمل كل أنواع الخيرية [3]، وتلخيص كامل لكل ما تحمله الدعوة من تشريع، وتوجيه، وأمر، ونهي [4]. وقوله تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ مستأنفة ابتدائية، يقول الله: للمؤمنين بالله

---

[1] سورة النحل، الآيتان: ٢٢ و٢٣.

[2] انظر: تفسير الطبري، ج١٧/١٩٦، بتصرف.

[3] انظر: التفسير البياني لما في سورة النحل ج١/٦١.

[4] انظر: ظلال القرآن، ج٤/٢١٦٩.

ورسله المصدقين بالوحي، الداعين إلى الإيمان بالله وكتبه ورسله، أن لهم ﴿ حَسَنَةٌ ﴾، ومجيئها هنا نكرة، لتعمَّ كل كرامة وكل خير من الله الكريم. وكل هذه الكرامات والخيرات التي تنالهم في الدنيا، لا تكاد تذكر مع خيرات الدار الآخرة: ﴿ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ ﴾، والتعبير بإضافة الخير إلى ذات الدار؛ للإشعار بأنها كلها خير [(١)]. واللام في قوله تعالى: ﴿ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ لام توكيد، تؤكِّد أن جميع المحامد لهذه الدار، فيكون المعنى: نعم دار المتقين دار الآخرة، وهنا تشويق ولفت انتباه لهذه الدار الممدوحة. وكون هذه الدار ممدوحة، فهذا في حد ذاته لفت قوي وترقُّب لتفصيل تلك الدار، فضلًا عن أن يكون المادح هو الله ـ عز وجل. إنها الجنة، قال الله تعالى: ﴿ جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [(٢)]، والتعبير بـ: ﴿ جَنَّتُ ﴾؛ لأنها جنان، وليست جنة واحدة، والدليل على ذلك: عن أنس [(٣)] ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- يَقُولُ: أُصِيبَ حَارِثَةُ [(٤)] يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ [(٥)] إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي، فَإِنْ يَكُنْ فِي الْجَنَّةِ أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ، وَإِنْ تَكُ الْأُخْرَى تَرَى مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ: (وَيْحَكِ [(٦)] أَوَ هَبِلْتِ [(٧)] أَوَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ، هِيَ إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ) [(٨)]. والتعبير بـ ﴿ عَدْنٍ ﴾، يُفيد أن هذه الجنات المعدة للمؤمنين الموحدين، إنما هي جنات أبدية

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، ج٨/٤١٦٥، بتصرف.

(٢) سورة النحل، الآية ٣١.

(٣) هو: أنس بن مالك بن النضر الخزرجي الأنصاري، أبو حمزة. راوية الإسلام، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، (١٠ق هـــ-٩٣هـــ). ينظر: أسد الغابة (١/١٥١)، والإصابة (١/١٢٦)، وسير أعلام النبلاء(١/١١٦٤).

(٤) وهو : حارثة بن سراقة بن الحارث، أمه عمة أنس بن مالك، شهدا بدرًا، وقتل يومئذ شهيدًا، قتله حبان بن العرقة بسهم وهو يشرب من الحوض، وكان خرج نظارًا يوم بدر، فرماه فأصاب حنجرته. انظر: الاستيعاب ج١/٣٠٨.

(٥) وهي: الربيع بنت النضر الأنصارية، أم حارثة بن سراقة المستشهد بين يدي رسول الله . انظر: الاستيعاب ج٤/١٨٣٨.

(٦) وَيْحٌ كلمة رحمة، وويل كلمة عذاب، وقيل: هما بمعنى واحد. انظر: مختار الصحاح ج١/٣٠٧.

(٧) استعاره ها هنا لفقد المَيْز والعَقل؛ مِمَّا أصابَها من الثُّكل بوَلدها، كأنه قال: أفَقدت عَقْلك بفَقد ابْنَك، حتى جعلت الجِنَان جَنَّةً واحِدَةً. انظر: النهاية ج٥/٢٣٩.

(٨) أخرجه البخاري كتاب المغازي، بَاب فَضْلُ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا، ج١٢/٣٧٧، وكتاب الرقاق وباب صفة الجنة والنار ج٢٠/٢١٧.

يقيمون فيها، مستمتعين لا يُنغّصهم منغص، فهم مقيمون إقامة دائمة، لا ينقصهم شيء، والتعبير بـ ﴿ يَدۡخُلُونَهَا ﴾ ؛ لأنهم منذ أُسلمت الروح إلى بارئها وهم منعمون، وحالهم حال الهادئ المطمئن الذي ضمن الجنة ونعيمها. و ﴿ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ ﴾ ، وصف الأنهار وهي تجري تمثّل منظرًا بديعًا رائعًا أخاذًا، يزيد همة العبد؛ ليعمل العمل الصالح، لعله يكون من أهل الجنة، ولو أردنا أن نغوص في تلك الأنهار، فهي أنهار من أنواع شتى، يقول الله: ﴿ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ١٥ ﴾ [1]، وتقديم الجار والمجرور ﴿ مِن تَحۡتِهَا ﴾ على الفاعل ﴿ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ ﴾ ، مراعاة للسياق؛ لأن سياق الكلام عن الجنة، والضمير في ﴿ تَحۡتِهَا ﴾ ، يعود على الجنة، فناسب تقديم الجار والمجرور؛ ليأخذ السياق مجراه في الكلام عن الجنة[2]. والتعبير في قوله تعالى: ﴿ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ﴾، تفيد الحصول على كل خير، وسعادة، ورغبة، وأمنية، وآمال، وتطلعات، فالإنسان يعيش في الدنيا يُمنّي النفس في أمور شتى، من سعادة، ورغد عيش، وعلو منزلة، وغير ذلك، ولكنه لا يحصل عليها، وربما يحصل على بعضها، وربما يحصل عليها كلها، ولكن ما يلبث أن يمل منها، ويرغب في غيرها، ولكنه في الجنة له ما يريد دون ملل أو كلل. والضمير في (فيها)، يعود على الجنة، فقدّمه هنا مناسبة للسياق كذلك. وجملة: ﴿ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ مستأنفة، والإتيان باسم الإشارة، تنويه بتمييز هذا الجزاء، فبمثل ما عملتموه في الدنيا من تصديق للوحي، وإيمان بالله ورسله، ودعوة غيركم لهذا الدين، استحققتم جزاء بمثل عملكم؛ فالجزاء من جنس العمل. ولو عدنا إلى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ فَأَلۡقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعۡمَلُ مِن سُوٓءِۢۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ

---

[1] سورة محمد، الآية ١٥.

[2] انظر: التفسير البياني، ج١/٦٣.

﴿ ٢٨ ﴾[١]، للمسنا التناسق الموضوعي يسير في أجمل صورة؛ فبعد أن ذكر موقف الظالمين لأنفسهم تجاه الوحي، وتكذيبهم له، وصرف الناس عن هذا الدين القويم، وما أوقعه الله عليهم من عذاب دنيوي وأخروي، ووصف حالهم عند نَزع أرواحهم، وبعد أن ذكر موقف الموحدين المؤمنين، واستحقاقهم الجنة؛ يذكر هنا ـ سبحانه ـ وصفًا مناسبًا لهم حين تتوفاهم الملائكة، ويكون هذا الوصف مقابلًا لوصف الكافرين، إذ يقول سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٣٢ ﴾[٢]، فوصفهم ـ سبحانه ـ حين توفيهم بأنهم: ﴿ طَيِّبِينَ ﴾، طاهرين من دنس الشرك، وهو المناسب لجعله في مقابلة ظالمي أنفسهم في وصف الكفرة، بناء على أن المراد بالظلم أعظم أنواعه، وهو الشرك [٣]. فهم طيبون؛ لأنهم آمنوا بالله وبالوحي، وقالوا عنه خيرًا، فلم يحسدوا محمدًا ﷺ ولم يتكبروا عليه، ولم يحسدوا الناس، فأثنوا على القرآن ثناء عطرًا، فتأثّر الناس بكلامهم الطيب، فدخلوا في دين الله أفواجًا، فاستحقوا بذلك وصف ﴿ طَيِّبِينَ ﴾، وهي كلمة جامعة لكل معنى حسن. وما زال التناسق في أبهى حلة، فعند قبض أرواح الكافرين، يبادرون بالاستسلام في ذلة ومهانة وصغار، وهنا مع الطيّبة نفوسهم، الذين آمنوا بالله وكتبه ورسله، تبادرهم الملائكة بقولهم: ﴿ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ﴾، والسلام أمان وبشارة خير، ولا أفضل من بشارة خير، إلا التبشير بدخول الجنة: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾. فأولئك يدخلون النار نتيجة التكذيب والاستكبار، وهؤلاء لهم الجنة برحمة الله، ثم بموقفهم الإيماني تجاه الوحي، والتعبير بـ: ﴿ كُنتُمْ ﴾، يدل على الماضي مع الدوام في مثل هذا المقام، كقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾، وغيرها من الآيات الدالة على المضي مع الدوام. وذكر: ﴿ كُنتُمْ ﴾، وبعدها: ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾؛ للدلالة على استمرار عملهم الصالح [٤].

---

[١] سورة النحل، الآية ٢٨.

[٢] سورة النحل، الآية ٣٢.

[٣] انظر: تفسير السمعاني، ج٣/١٧٠، وتفسير الخازن ج٣/٧٥، وروح المعاني، ج٧/٣٧٣.

[٤] انظر: زهرة التفاسير، ج٨/٤١٦٨.

الموضوع الخامس: تهديد للمشركين لعلهم يعودون إلى جادة الصواب، ويشمل الآيات (٣٣ ـ ٣٤):

النص القرآني قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [1].

ويعود بنا السياق مرة أخرى إلى أولئك الذين أشركوا بالله، واستكبروا عن اتباع الحق، ووصفوا الوحي وصفًا غير لائق، فجعلوه ترهة من ترهات الأولين، وأسطورة من أساطيرهم، حيث بدأت الآية باستفهام المشركين من أهل مكة استفهامًا إنكاريًّا في معنى النفي؛ ولذلك جاء بعده الاستثناء [2]، إذ يقول الله: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾. والتعبير بهذا الاستفهام يدلُّ على أن الله - تبارك وتعالى- ذكر من الحجج والبراهين الدامغة والمؤكدة على أن الله هو المستحق للعبادة، ولم يتبقّ حجة أكبر مما سبق، فما الذي يريدونه حتى يدخلوا في دين الله موحدين؟

ولذا فقد عبر – سبحانه- بقوله: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ﴾، أي هل سيستمرون في غيهم وضلالهم، حتى تأتي الملائكة لتنزع أرواحهم، أو يحلّ بهم العذاب، ويستأصلهم عن بكرة أبيهم؟ ولا ينفعهم حينئذ استكبارهم وصدهم عن الدين. ويمكن استشفاف فائدة عظيمة هنا، وهي أن الله يمهل في غير إهمال، وأن باب التوبة مفتوح، مهما كان الذنب عظيمًا، ما لم تغرغر الروح،أو تطلع الشمس من مغربها، وهذا من رحمة الله بالناس، ومما يؤكد رحمة الله أيضًا قوله: ﴿ أَوْ ﴾، ولم يقل (و)؛ ليدلّ على

---

(1) سورة النحل، الآيتان ٣٣، و٣٤.

(2) انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/١١٦.

وقوع أحد العذابين [1]، والتعبير بـ ﴿يَنظُرُونَ﴾ يعني: ينتظرون، وهذا ما يؤكّد أن هؤلاء الكفار يعلمون علم اليقين أن الله حق، والرسول حقٌّ، والقرآن حقٌّ؛ ولكن استكبارهم صرفهم عن اتباع الحق، وساروا على نهج أسلافهم الذين لم يؤمنوا بالله ورسله وكتبه، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾، ويعني هذا أن كفار مكة لم يكونوا بدعًا، فقد سبقهم إلى الشرك، والطعن في الوحي والرسل، الكثير من الأمم؛ فعاقبهم الله بأنواع شتى، وهنا لفتة كريمة من رب كريم لهؤلاء الكفار؛ لعلهم يؤمنون، ويوحدون الله - سبحانه وتعالى - والتعبير بقوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾، فيه دلالة على أن الله بإرساله الرسل، وإنزاله الكتب؛ قد أعذر إليهم [2]، وكذلك فإن الله قد ترك لهم مساحة كبيرة حرة، يفكرون ويستنبطون كما يريدون، فكانت حريتهم مطلقة في التفكير، والتدبر، والنظر، والاستدلال في آياته ومخلوقاته وكتبه، فلم يظلم - سبحانه وتعالى- أحدًا، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾. والتعبير بـ ﴿كَانُوٓاْ﴾؛ للدلالة على استمرارهم في ظلم أنفسهم، عندما لم يفردوا الله - سبحانه - بالعبادة، رغم ما آتاهم الله من الدلائل الواضحة، وتقديم المعمول ﴿أَنفُسَهُمۡ﴾ على ﴿يَظۡلِمُونَ﴾، تخصيص لوقوع الظلم بهم، وفيه دلالة على أن المقصود بالعذاب هنا، هو العذاب الدنيوي. وما يزال التناسق الموضوعي مستمرًا، فهؤلاء المشركون الذين استكبروا عن عبادة الله، هدَّدهم بالعذاب، كما فعل بأسلافهم، حيث نزَّه – سبحانه- نفسه عن الظلم، ولكنهم استمروا في عنادهم وعتوهم واستكبارهم، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، فقال: ﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٤﴾ [3]. والتعبير بـ ﴿فَأَصَابَهُمۡ﴾، فيه تهويل للسامع، فما عملوه من شرك، وتكذيب للرسل، وتنقص بالكتب المنزلة من الله؛ لا شكَّ أنها أمور عظام، تستحق أشد العقوبات. والتعبير بقوله: ﴿مَا عَمِلُواْ﴾ ؛ للدلالة على أن العمل أعم من الكسب، ولاستمرار التناسق والتناسب في السورة، حيث قال سبحانه - حكاية

---

[1] انظر: تفسير أبي السعود، ج٥/١١١، بتصرف.

[2] انظر: تفسير ابن كثير ج٤/٥٦٩.

[3] سورة النحل، الآية ٣٤.

عنهم: ﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ بَلَىٰٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[1]، فتكون موافقة لما قبلها، وموافقة لما بعدها في قوله -سبحانه وتعالى: ﴿ وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [2] [3] . والتعبير بقوله: ﴿ وَحَاقَ بِهِم ﴾ ، فيه من التهويل والتخويف والشدة، وفيه صلابة المحيط ولين المحاط به، وهي كلمة خُصَّت في الاستعمال بإحاطة الشر، وتعني التضييق عليهم وأخذهم بالموت. وتقديم الجار والمجرور في قوله: ﴿ بِهِم ﴾ زيادة في التهديد، ولتأكيد وقوع العذاب بهم، ومناسبة للموضوع الذي هو في أصله تهديد للمشركين [4]. و ﴿ مَّا ﴾ موصولة عبارة عن العذاب [5]، وقدَّم المجرور على عامل موصوفة؛ رعاية للفاصلة في قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [6]. ومن فوائد التقديم أيضًا، عنادهم المستمر والدائم كأسلافهم، وحجة على أن رسول الله ﷺ قد أدى الأمانة، ونصح الأمة، وبلَّغ عن الله البلاغ المبين.

---

(1) سورة النحل، جزء من الآية ٢٨.
(2) سورة النحل جزء من الآية ١١١.
(3) انظر: بصائر ذوي التمييز، ج١/١٩٩.
(4) انظر: التفسير البياني ج١/٦٩.
(5) انظر: روح المعاني ج٧/٣٧٥.
(6) انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/١١٨.

الموضوع السادس: احتجاج الكفار بمشيئة الله، وإنكارهم البعث، ويشمل الآيات (٣٥ - ٤٠):

النص القرآني: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [١].

بعد أن رأى الكفار أن المسألة في غاية الجدية، وأن الله سيهلكهم لا محالة - إن استمروا على شركهم- إما بعذاب دنيوي، كما فعل بالأمم السابقة، وإما بنزع الروح بغلظة وشدة، وإما بدخول النار، وإما بها كلها؛ ولكنهم مع ذلك لم يرتدعوا، ولم يخنعوا، بل أصرُّوا على أن القضية خارجة عن سيطرتهم، وأن مشيئة الله هي الغالبة، ولولا مشيئة الله لم يعبدوا غيره، هم ولا آباؤهم، ولولا مشيئته أيضًا، لم يُحرِّموا ما أحلَّ الله، ولكنها سنة جارية عليهم، وعلى أسلافهم من قبل، حيث يقول الله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [٢]. والتعبير بالاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ

---

[١] سورة النحل من الآية ٣٥ إلى الآية ٤٠.

[٢] سورة النحل، الآية ٣٥.

﴿ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ ﴾ ، فيه تهميش وتحقير للمشركين وازدراء بهم [١]، ولم يقل: أشركوا بالله؛ لأن ذلك معلوم، والإشراك يعني الشرك بالله. وكذلك عندما يأتي الفعل نصًّا في مطلوبه لا يذكر المتعلق به [٢]، وفائدة زيادة: ﴿ مِن دُونِهِۦ ﴾ وتكرارها مرتين، وكذا : ﴿ نَّحۡنُ ﴾؛ لأن لفظ الإشراك يدلُّ على إثبات شريك لا يجوز إثباته، ودلَّ على تحريم أشياء، وتحليل أشياء من دون الله، فلم يحتج إلى لفظ بخلاف لفظ العبادة﴿ مِن دُونِهِۦ ﴾؛ فإنها غير مستنكرة، وإنما المستنكرة عبادة شيء مع الله - سبحانه وتعالى- ولا يدلُّ على تحريم شيء مما دلَّ عليه (أشرك)، فلم يكن بدٌّ من تقييده بقوله تعالى: ﴿ مِن دُونِهِۦ ﴾[٣]. ومما يؤكد استمرار المشركين على شركهم، قوله: ﴿ عَبَدۡنَا ﴾، و(من) الاستغراقية في قوله: ﴿ مِن شَيۡءٍ ﴾، وإعادة النفي في قوله تعالى: ﴿ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾ ؛ تأكيد لما النافية ﴿ مَا عَبَدۡنَا ﴾. والتعبير بقوله - سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ ﴾، يدلُّ على تلك النفوس الخبيثة التي مردت على الشرك بالله، وعلى تحليل الحرام، وتحريم الحلال [٤]، وهذه ليست بمستغربة عليكم يا كفار مكة، فأسلافكم من الأمم الغابرة - التي أشركت بالله تلك - سنتها المتبعة في البحث عن مخرج، وذكر حجج واهية؛ لتزكية تلك النفوس الخبيثة، سواء كانت استهزاء أو حقيقة؛ للهروب من المحاسبة، ولكن هيهات هيهات لما يقولون ويفعلون، وهذا لا يهمُّ الرسل - عليهم السلام - ولا يحاسبون عليه، فمهمتهم التبليغ ليس إلا ﴿ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾. وهذا استفهام إنكاري لإنكار الوقوع، ومن اهتدى فلنفسه، ومن ضلَّ فإنما يضلُّ على نفسه، وهي تسلية للرسل - عليهم السلام - وبعد أن بيَّن الله حُجَّتهم الواهية، بأن إشراكهم وقع نتيجة مشيئة الله، وذكر أنها سنة من كان قبلهم، ممن أشرك بالله؛ سلَّى رسوله محمدا ﷺ والرسل من قبله، بأن مهمتهم تنتهي عند التبليغ فقط ، مؤكدًا - سبحانه - ومبينًا وموضحًا الجملة السابقة: ﴿ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾، بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ

---

[١] انظر: التفسير البياني، ج٧١/١ بتصرف.

[٢] انظر: تفسير الشعراوي، ج٤٨٩٠/١.

[٣] انظر: بصائر ذوي التمييز، ج١٣٩/١.

[٤] انظر: التفسير البياني، ج٧١/١ بتصرف.

بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [(١)]. وهذا تفصيل بعد إجمال، فبعد أن ذكر أن مهمة الرسل تقف عند التبليغ، بيَّن أنه أرسل إلى كل أمة رسولًا، يأمرهم بصرف جميع أنواع العبادة لله، واجتناب كل ما يُعبد من دون الله، والأمر لا شك أنه مهم للغاية، وفيه من التهديد والتهويل الشيء الكبير؛ لذا أكد – سبحانه- ببعث الرسل إلى أقوامهم باللام وبقد، المؤكدتين في قوله: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا ﴾، والتعبير في قوله: ﴿ بَعَثۡنَا ﴾، تعني أن هناك أمرًا قديمًا مندثرًا وبُعث من جديد، وهذه الكلمة تؤكِّد أيضًا سنة الله في إرساله الرسل منذ القدم. والتعبير بفي الظرفية في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا ﴾، لها مدلولها الخاص، فهي تعني: الأمة كلها، فيكون البلاغ لكل الأمة [(٢)]، وجملة: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾، رد على المشركين الذين قالوا: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ ﴾؛ لأن الله نهاهم على ألسنة رسله، فمشيئته الشرعية منفية، وأما مشيئته الكونية، فهم ممكَّنون منها قدرًا؛ لذا فحجتهم واهية ساقطة مردودة عليهم [(٣)]. وهنا لطيفة يحسن بالمُشرِّعين في كل مجتمع الاقتداء بها، فالله - تبارك تعالى- بيَّن الغاية من إرسال الرسل، وهي: عبادة الله واجتناب الطاغوت، وهي تعني التحلية والتخلية، تتحلى بعبادة الله، وتتخلَّى عن عبادة غيره؛ لذا وجب على المُشرِّعين بيان أنظمة الدولة، والعقوبات التي تعاقب عليها، حتى إذا وقع أحد أبناء المجتمع في جريمة لا يعذر؛ لأن المشرعين بيَّنوا له أن هذه جريمة، وعليها يعاقب إن وقع فيها.

ويستمر السياق في الآية، فبعد أن بعث الله رسلًا، يأمرون قومهم بعبادة الله واجتناب الأصنام، وكل ما يُعبد من دون الله؛ كانت النتيجة المترتبة على ذلك قوله - سبحانه وتعالى: ﴿ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾، وإسناد الهداية من الله لبعضهم، لا

---

(١) سورة النحل، الآية ٣٦.

(٢) انظر: تفسير الشعراوي، ج٤٨٩٤/١.

(٣) تفسير ابن كثير، ج٥٧٠/٤، بتصرف.

يعني أنه لم يأمر الجميع بالهداية، وكذلك إزالة لحجة الكفار الداحضة: ﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ﴾. والتعبير في جانب الضلالة، لم يسند إلى الله؛ لأن الله قد نهاهم عن الضلال، ولكنهم مصرون على ضلالتهم؛ فحقَّت عليهم الضلالة؛ لخبث نفوسهم التي فضَّلت الشر على الخير. والهداية والضلال من الله - سبحانه وتعالى- فالله قد بيَّن للناس الخير والشر، فمنهم من سلك طريق الخير، ومنهم من فضَّل طريق الشر، فحقَّت عليه الضلالة. وتقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾، مناسب تمامًا للسياق، فالموضوع يتكلَّم عن الضالين، وليس عن الضلالة، ومن ثم فقد قدَّم ﴿ عَلَيْهِ ﴾؛ لإبراز السياق، وتماشيًّا مع التناسب الموضوعي [١]. وتأنيث ﴿ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ له مدلوله، فتأنيث الضلالة، يدلُّ على أن الكلام في الدنيا، وليس في الآخرة [٢]. وفي مجمل الآية احتباك، حيث ذكر أن فعل الهداية أولًا دليل على فعل الضلال، وثانيًا أنه يدلُّ على حقوق الهداية أولا [٣]. ثم إن هناك ما يدلُّ على صدق الرسل، وكذب مخالفيهم، وعلى أن الله بعثهم للأمم السابقة، لننظر نظر تفكُّر في سيرنا في الأرض في أحوال الأمم، حيث قال سبحانه: ﴿ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾، والفاء في قوله تعالى: ﴿ فَسِيرُواْ ﴾ الفاء الفصيحة، حيث إنها تُفصح عن شرط مُقدَّر أو كلام مقدر، تقديره فنزل بهم الدمار والهلاك، (فَسِيرُوا فِي الأرْض)، فستجدون الآثار لمن أهلكهم اللَّه، ﴿ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾، أي انظروا الحال التي آل إليها أمرهم بسبب تكذيبهم؛ ولذلك أظهر في موضع الإضمار؛ للدلالة على أن ما أصابهم سببه التكذيب [٤]، والتعبير بالسير هنا فيه لفتة لطيفة، وهي إشارة إلى أن مصيركم سيكون مثل مصيرهم، في حال استمراركم في الضلالة، وعلى ذلك ففيه تهديد ووعيد بأمر حسي ومشاهد. وختم الآية باستفهام عن عاقبة المكذبين من الأمم الغابرة؛ حتى يتعظ من كان له قلب، وهذه أيضًا دعوة من الله لهم لكي يهتدوا. وبعد أن بيَّنت الآية السابقة العاقبة السيئة للأمم السابقة،

---

(١) انظر: التفسير البياني، ج٧٣/١.

(٢) انظر: لمسات بيانية، ج٣٥/١، بتصرف.

(٣) انظر: نظم الدرر، ج٢٦٨/٤.

(٤) انظر: زهرة التفاسير، ج٤١٧٥/٨.

ولم تتعرَّض لذكر أهل الضلال من هذه الأمة، أظهر النبي ﷺ حرصه على هدايتهم، رغم ما لقيه من أذى منهم، ولكن عدم اتعاظهم مما رأوا رأي العين من عاقبة من سبقهم بالتكذيب؛ لم تُجدِ نفعًا، فقد أعرض الله عنهم إلى نبي الرحمة ﷺ فقال له ـ سبحانه ـ معزيًّا ومسليًّا: ﴿ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾[1]، ولن تقدر مهما حرصت على هداية من حقت عليه الضلالة. والتعبير بـ ﴿ تَحۡرِصۡ ﴾، فيه دلالة على أن الحرص على هدايتهم من نبي الرحمة ﷺ لم يكن وليد اللحظة؛ بل سمة من سمات شخصيته الفذة والرائعة؛ لأن الفعل المضارع ﴿ تَحۡرِصۡ ﴾، يدلُّ على التجدد والاستمرار. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ ﴾ ؛ يدلُّ على أن الله لا يخلق الهداية جبرًا فيمن خلق فيه الضلالة بسوء اختياره، وهو جواب الشرط. وذكر جواب الشرط هنا؛ لإفادة العلم لقوله ـ سبحانه وتعالى: ﴿ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ ﴾ [2]. والتعبير في قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ تهديد ووعيد، فلن ينصرهم الله، ولن ينفعهم غيهم إذا لم يهدهم. ويستمر السياق والتناسب، فكل ما ذكر الكفار حجة لهم أبطلها الله، وما ذلك إلا لأن نفوسهم خبيثة منكرة مستكبرة. وعندما جعلوا مشيئة الله، هي التي جعلتهم يشركون به، ويعبدون غيره هم وآباؤهم، ويُحرِّمون ما أحلَّ لهم، ويُحلون ما حُرِّم عليهم؛ ردَّ الله عليهم حجتهم، وبيَّن أن مهمة الرسل تبليغ، ليس إلا. وقد بينوا للناس طريقي الخير والشر، ولكن الكفار اختاروا طريق الشر، فحقَّت عليهم الضلالة، فبدؤوا يفكرون في إثارة شبهة جديدة وحجة، لعلها تنفعهم في نظرهم، فما كان منهم إلا أن أنكروا البعث بعد الموت، وإنكار البعث، يجرُّ إلى إنكار النبوة؛ لذا قال تعالى: ﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾[3]، معطوفًا على قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ

---

[1] سورة النحل، الآية ٣٧.
[2] انظر: تفسير أبي السعود، ج١١٩/٤، وزهرة التفاسير، ج٤١٧٧/٨، والتفسير البياني، ج٧٥/١.
[3] سورة النحل، الآية ٣٨.

ﭐلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٣٥ ﴾[1]. والمدهش في حجتهم تعظيم الله - تبارك وتعالى - من قِبلهم تعظيمًا جعلهم يقسمون به أيمانًا مغلظة، ومعلوم أن من يُعظِّم الله بهذه الأيمان، ينبغي أن يكون قد وصل إلى ذروة الإيمان، ولكن كفار مكة فيهم من التخبط والتناقض ما فيهم، فهم يشركون بالله، وهنا يحلفون تعظيمًا لله بمشقة وجهد، وربما يعترض أحدهم قائلًا: الكفار مقرون بأن الله الخالق المدبر، نقول: نعم، ولكنهم لا يصرفون له شيئًا من العبادة، والحلف بالله عبادة، والتعبير في قوله تعالى: ﴿ جَهۡدَ ﴾، يُدلُّ على أنهم بذلوا الوسع والمشقة في أيمانهم، وهم يحلفون هذه الأيمان المغلظة لنفي البعث بعد الموت. والمثير للدهشة أيضًا، ذكر لفظ الجلالة في نفيهم للبعث ﴿ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾، وكأنهم يضربون على وتر حساس للمسلمين. فالحلف بالله له عظمته عند كل مسلم، وكأنهم يدعون الناس لفكرتهم السابقة ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤ ﴾[2]؛ تشويهًا للوحي وطعنًا فيه، ولم نعلم البعث إلا من هذا الوحي الذي طعنوا فيه، فكيف نؤمن بهذا البعث الذي لم نعلمه إلا من وحي أسطوري، كما زعموا . والتعبير بـ ﴿ يَمُوتُ ﴾ ، تعليل بنفي البعث عنمن يموت، ولم يعد لهم وجود عندهم، فتأكَّد عندهم عدم بعثهم من جديد. والرد من الله عليهم جاء بتعبير قوي بقوله: ﴿ بَلَىٰ ﴾ ، وهي أداة لنفي السابق عليها، وأهل اللغة يقولون: نفي النفي إثبات، إذاً ﴿ بَلَىٰ ﴾ تنفي النفي قبلها، وهو قولهم: ﴿ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴾، فيكون المعنى: بلى، يبعث الله من يموت [3]. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ وَعۡدًا عَلَيۡهِ ﴾؛ تأكيد على أنه واقع ولابد منه، وزيادة ﴿ حَقًّا ﴾ مقابلة لاجتهادهم في يمينهم، فهو القادر، وهو الحق، لا هم . وختم الآية بقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ مناسب للسياق، فهم لا يعلمون؛ليس لعدم وصول أمر البعث إليهم، ولكنهم لا يعلمون لاستكبارهم وتكذيبهم لله ورسله وكتبه. والبعث أمر غيبي كما هو معروف، فلو آمنوا بالله، وعبدوه حق عبادته؛ لعلموا أن الله سيبعث من يموت، إيمانًا

---

(1) سورة النحل، الآية ٣٥.

(2) سورة النحل، الآية ٢٤.

(3) انظر: تفسير الشعراوي، ج١/٤٩٠٤.

وتصديقًا بالله وكتبه ورسله؛ أسوة بالمؤمنين الموحدين. وما يزال التناسق الموضوعي يسير في نظم بديع فريد، فبعد أن بيَّنت الآية السابقة، أن البعث قضية منتهية لا جدال فيها ولا نقاش، وهي واقعة لا محالة، حيث إن هذا وعد من الله، ولكن هذا البعث الذي أوجب وقوعه الله، ما الداعي إليه؟

وما الحكمة من وجوده؟

لا شك أن له حكمة ودواعي ؛ لذا علل الله - تبارك وتعالى - الحكمة منه فقال سبحانه وتعالى: ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ (1). فالله عندما يقضي على الناس بالموت، سيبعثهم من جديد، مبينًا لهم بيانًا آخر في اختلافهم في البعث، وحلفهم بأن الله لن يبعث من يموت. وهذا البيان يختلف اختلافًا جذريًّا عن البيان الدنيوي. فالبيان الدنيوي نظري سُمع من الكتاب والسنة، والبيان الأخروي بيان تطبيقي مشاهد للعيان، يرى الناس بعضهم بعضًا، وقد بعثهم الله من جديد، بعد أن قضى عليهم بالموت، فيبعثهم من قبورهم للحساب والجزاء؛ لذا عبَّر بلام العاقبة التي في قوله تعالى: ﴿ وَلِيَعۡلَمَ ﴾ ؛ تأكيدًا على وقوع البعث وصدقه. والمتبادر للذهن، أنهم لم يختلفوا فقط في تصديق البعث وتكذيبه، ولكنهم مختلفون في أمور شتى، كالشرك بالله، وذكر حججهم الواهية، وإفحامهم من قِبل الله، ومن قِبل تشويههم الوحي، والطعن فيه؛ نتيجة الاستكبار والتكذيب، ولكن سياق الآية التي بين أيدينا، وما قبلها يناسب اختلافهم وتكذيبهم للبعث بعد الموت بأيمان مغلظة. والتعبير بالاسم الموصول في قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ ؛ لبيان أن كفرهم بسبب تكذيبهم للوحي ، ومما يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿ أَنَّهُمۡ ﴾ بأن المؤكدة، و﴿ كَانُواْ ﴾ ، الدالة على استمرارهم على الكذب بدوام كفرهم، وبالجملة الاسمية (2). وختم الآية بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ كَٰذِبِينَ ﴾ ، حيث إن فيه تناسقًا موضوعيًّا رائعًا، فذلك الذي حلف بجهد ومشقة على إنكار البعث بعد الموت، وهو مخلوق ضعيف لا يعلم الغيب؛ كان من المناسب له تكذيبه من قِبل العلي، الذي يعلم غيب السماوات والأرض بكلمة

---

(1) سورة النحل، الآية ٣٩.

(2) انظر: زهرة التفاسير، ج٨/٤١٧٨.

واحدة، هي قوله تعالى: ﴿ كَـٰذِبِينَ ﴾، لتكون أبلغ وأصدق رد على منكري البعث. وفي الآية تهديد للكفار، فتأجيل تبيين ما كانوا مختلفين فيه إلى يوم القيامة، لا مجال للعودة والتوبة من قبلهم، وحينئذ سيكون الحساب عسيرًا. وقضية البعث تعدُّ من ضمن قضايا عرفناها من الكتب والسنة، وهي قضية من ضمن قضايا التوحيد، ودلالة مؤكدة على وجوب صرف العبادة لله - سبحانه وتعالى- لذا وجب علينا الإيمان والتسليم بها. وهذه القضية تحديدًا تعدُّ من أسهل القضايا على الله - سبحانه وتعالى- بل وكل شيء، إذا أراده الله، فتحقيقه أسرع من لمح البصر؛ لذا قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾[1]. والالتفات من الغيبة إلى المتكلم، ثم الرجوع إلى الغيبة له مدلوله، وهو تعظيم الله لأمر الخلق [2]. والتعبير بـ ﴿ قَوْلُنَا ﴾ تعظيم لله، و﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا ﴾ استئناف بياني لكيفية التكوين، بدءا وإعادة بعد التأكيد على وقوع البعث [3]. ومعنى قوله: ﴿ لِشَىْءٍ ﴾، أي شيء مهم، صغيرًا كان أم كبيرًا، فهو لا يعجزه سبحانه وتعالى. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ أَرَدْنَٰهُ ﴾ و (نقول) تعظيم الله - سبحانه وتعالى - والمحصلة النهائية، إعلام منكري البعث بوقوعه وهوانه عليه - سبحانه وتعالى- بل هوان كل أمر عليه؛ لأنه الخالق المستحق للعبادة، المتصف بصفات القدرة والكمال، والمنزه - سبحانه وتعالى - عن كل نقص وعيب وعجز. وأن البعث والإيمان به دلالة وتأكيد على أن الإله المستحق للعبادة هو الله. والتناسق الموضوعي ظاهر، فالبعث لا يقع إلا إذا قامت الساعة، والله قد هدَّد الكفار بتحقق أمر الساعة في الآية الأولى من هذه السورة، وهنا يذكر أمر البعث وتكذيب منكريه، وأنه حتمًا سيقع بقوته وإرادته.

---

(1) سورة النحل، الآية ٤٠.

(2) انظر: التفسير البياني، ج١/٨١ .

(3) انظر: تفسير أبي السعود، ج٤/١٢٠.

الموضوع السابع: المهاجرون في سبيل الله، وما ينتظرهم من خير، ويشمل الآيات (٤١ - ٤٢):

النص القرآني قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [١].

لو استرجعنا ما سبق ذكره، لوجدنا هناك تناسبًا وتناسقًا في السورة، فأولئك المشركون المعاندون الجاحدون، عندما أشركوا بالله غيره بكل تكبر وعناد، وطعنوا في وحي الله؛ ليصرفوا الناس عن عبادة الله بكل مكر وخديعة، وأنكروا الوحي بأيمان مغلظة؛ لا شك أن هذا كان يؤذي المؤمنين الصابرين الموحدين. فالموحد تأخذه الغيرة على دين الله، وهذا أذى نفسي، أما الأذى البدني، فلا شك أن من كذَّب ربَّ البشر وجحد وحدانيته، وطعن في رسله وكتبه، فهو قادر على أذية البشر. ولم يسلم أهل الإسلام من شر الكفار في أوطانهم، ودورهم، وأبدانهم، وأموالهم، وذراريهم، وأقاربهم، وكل ما يخصهم، فعوَّضهم الله بعوض الهجرة إلى الحبشة أولا، حيث قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [٢]. وعبَّر - سبحانه - بقوله: ﴿ هَاجَرُواْ ﴾ لمتاركتهم الكفار، فالكفار نتيجة لأذيتهم للمسلمين، أجبروهم على ترك أوطانهم، وهذا الجبر لم يتأتِ إلا بعد العذاب النفسي والجسدي الذي لقيه المؤمنون الصابرون [٣]. والتعبير بقوله عز من قائل عليمًا: ﴿ فِي ٱللَّهِ ﴾ حيث إن ﴿ فِي ﴾ تعني اللام، أي لله [٤]، فخروجهم كان حفاظًا على دين الله من الخدش والتجريح والتشويه من قِبل

---

[١] سورة النحل من الآية ٤١، وحتى الآية ٤٢.

[٢] سورة النحل، الآية ٤١.

[٣] انظر: روح المعاني ج٧/٣٨٤.

[٤] انظر: تفسير القرطبي، ج١٠/١٠٧.

الكفار، وكذلك حفاظًا على دينهم حتى لا يفتتنوا، فهم لم يتركوا الأوطان؛ رغبة في دنيا أو سياحة أو لعبًا ولهوًا، ولكنهم تركوا الوطن مرغمين مظلومين، ولكن هل تظن أن الله تاركهم؟

الجواب قوله تعالى: ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ ﴾، فالله يقسم مؤكدًا قسمه باللام ونون التوكيد، ليبوئنهم إقامة حسنة، والتعبير بقوله: ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ ﴾، مناسب جدًّا لحال من خرج من وطنه بلا مأوى ولا سكن، فأهم ما يحتاج إليه المهاجر المغترب، السكن، وحسن الإقامة؛ لذا قال الله - تبارك وتعالى: ﴿ حَسَنَةً ۖ ﴾، فهجرتهم إلى الحبشة كانت حسنة، وما أعقبها لهم من هجرة المدينة، وما أغدقه عليهم من عز ونصر، وسعة رزق، وسيادة العالم من الشرق والغرب؛ كل ذلك كان نتيجة لقوله عز وجل: ﴿ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ ﴾. وهذا الخير العميم كله، كان في الدنيا، وهذا ما يفيده تقديم الجار والمجرور في قوله - سبحانه وتعالى: ﴿ فِي ٱلدُّنْيَا ﴾. ورغم الخير الكثير الذي حصل عليه المهاجرون، فلا يكاد يذكر مع أجر الآخرة الذي وصفه الله بقوله: ﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ ﴾. والضمير في قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾، يعود على المهاجرين، فلو علموا علم عيان ورؤية، لا علم خبر وذكر؛ لما حزنوا لما أصابهم، ولفرحوا فرحًا عظيمًا لما أعدَّه الله لهم في الآخرة من النعيم المقيم. وفي الآية التفات من الغيبة إلى المتكلم؛ لتأكيد وعد الله وتحقيقه - تبارك وتعالى - للمهاجرين بخيري الدنيا والآخرة. ويستمر التناسق الموضوعي في صورته الزاهية، فالذين هاجروا، وما وعدهم الله به في الدنيا والآخرة، كانوا مستحقين له، فهم تميزوا بصفتين حميدتين، وسجيتين عظيمتين، كانتا كالوقود بالنسبة لهم، إلى أن أوصلتهم إلى هذه المكانة العالية الرفيعة، إنهما صفة الصبر، وصفة التوكل التي تحلَّى بها أولئك الأبطال - عليهم من الله الرضوان- والتي ينبغي أن تكون لزامًا على كل من دعا إلى حق أو دافع عنه، يقول الله عنهم: ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾[1]. والصبر لا يكون إلا بعد ظلم؛ لذا ناسب أن يأتي بالصبر هنا، بعد ذكره للظلم في الآية السابقة.

---

(1) سورة النحل، الآية ٤٢.

والتعبير بالماضي في قوله تعالى: ﴿ صَبَرُواْ ﴾ يدل على أن صبرهم انتهى، بعد أن أكرمهم الله من خيري الدنيا والآخرة. وتقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ تخصيص، أي: أنهم يتوكلون على ربهم ـ سبحانه وتعالى ـ دون غيره، فهم خرجوا من أجله دون مأوى، وما ذلك إلا قوة توكُّل منهم على ربهم الرحيم بهم. والتعبير بالمضارع في قوله تعالى: ﴿ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ يدل على دوام التوكل واستمراره [1]، و ﴿ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ مناسبة للسياق. فالتوكل لا يكون إلا على أمر قد عزم عليه الشخص؛ لذا قال الله قبل ذلك: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ ﴾ ، فلو لم يكن هناك هجرة، لما عقدوا العزم متوكلين على الله للرحيل عن الوطن ظلمًا وقهرًا، ولكن الذي أخرجهم حسن التوكل على الله ـ تبارك وتعالى- اعتزازًا بدينهم، وتنفيدًا لأمر الله في مستهل السورة بعبادته وحده، ولو كلفهم الخروج من الأوطان، ومفارقة الأهل والأحباب.

---

[1] انظر: زهرة التفاسير، ج٨/٤١٨١.

الموضوع الثامن: **التأكيد على بشرية الرسل، وبيان مهمتهم، ويشمل الآيات (٤٣ - ٤٤):**

النص القرآني قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤ ﴾[1].

الملاحظ في كل ما سبق، أن الله - تبارك وتعالى - يذكر حجج الكفار الواهية، ثم يرد عليها ردًّا مفحمًا. وحججهم - كما مر معنا - تصبُّ في مصب واحد، فعدم توحيدهم لله، وعبادتهم معه غيره، وتشويه الوحي والطعن فيه، وصرف الناس عن عبادة الله، وإنكارهم البعث؛ كلها تقود للتكذيب بنبوة محمد ﷺ ولكنه هنا يذكر الرد عليهم مباشرة، دون ذكر حجتهم، مؤكدًا نبوة محمد ﷺ بل وسائر الرسل، وبأنهم بشر رجال، فقال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣ ﴾[2]. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا ﴾، فيه من التعظيم لله - تبارك وتعالى- فأمر الرسالة عظيم، لا يكون إلا من الله العلي العظيم، وتغيير أسلوب الكلام بتوجيهه إلى رسول الهدى ﷺ بعد أن كان على سبيل الغيبة في الآية السابقة؛ لا شك أنه تسلية لقلب الرسول ﷺ فالذي تعرَّض له ﷺ هو ومن معه من الصابرين، من أولئك الكافرين؛ لا شك أنه يحتاج إلى عزاء وتسلية ومواساة، تعينهم على المضي قدمًا بكل إيمان نحو الهدف الأسمى، وهو عبادة الله وحده،والدعوة إليه، وتوجيه الخطاب للنبي ﷺ تأكيد آخر على أن أمر الرسالة من الله - سبحانه وتعالى - والتعبير بقوله: ﴿ إِلَّا رِجَالٗا ﴾، تأكيد على بشريتهم، وعلى أنهم رجال ليسوا نساء. فقضية

---

[1] سورة النحل من الآية ٤٣، وحتى الآية ٤٤.

[2] سورة النحل، الآية ٤٣.

الرسالة لا يستطيع حملها إلا الرجال ـ بل أشرفهم ـ وجعله الرسالة لبشر؛ لكي لا يكون لأحد عذر. فالرسول يقول ويفعل، معتمدًا على الجانبين: النظري والتطبيقي، أما لو كان غير بشر، لاستحال التطبيق عليه، أو لوجد الناس العذر في عدم انصياعهم، بعذر عدم الطاقة. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ نُّوحِىٓ إِلَيۡهِمۡۚ ﴾ ، بيان لأنهم ليسوا بشرًا عاديين، حيث إن لهم ميزة وفضل عن سائر البشر، فضلهم الله علينا بوحيه إليهم، ويدلُّ هذا أيضًا على مكانة الوحي وأهميته، وهي أهمية لا يستحقها إلا من هو أفضل الناس، وهم الرسل ـ عليهم السلام . ويتغير أسلوب النظم بشكل رائع متناسق من خطاب النبي ﷺ إلى خطاب المجادلين المعاندين؛ تنبيهًا لهم، وإقامة للحجة عليهم، إذ قال:﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ ، حيث إنه يطلب منهم سؤال أهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ لأن هذا موجود في كتبهم، وتحويل الله المشركين لسؤال أهل الكتاب، لا شك أنه تحدٍّ منه ـ سبحانه ـ وفيه لفتة قوية للتصديق بما جاء عن الله، وعن رسوله؛ إذ كيف يحيل الله الكفار إلى كفار غيرهم، يشهدون بصدق نبوة محمد ﷺ؟

ومن تأملها حقّ التأمل وهو كافر، فلا شك أنه قد يشرئب قلبه إلى الإسلام، ثم إن فيها لفتة لسؤال الناس عما يجهلونه من أمور دنياهم ودينهم، ولا يكون السؤال متوجهًا إلا لكل متخصص في تخصصه، وإحالة الله للمشركين لكي يسألوا أهل الكتاب، إنما تُعدُّ حجة عليهم تُضاف إلى ما سبقها من الحجج. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾، فيه إشارة إلى أن الاستكبار، ورصد الحجج الفارغة، تُعدُّ سمة بارزة لهؤلاء الكفار، فهم في حقيقة الأمر يعلمون، ولكنها المكابرة التي تجعل منهم أناسًا كأنهم لا يعلمون. ولو تأملت مجيء الشرط بحرف ﴿ إِن ﴾، التي ترد في الشرط المظنون عدم وجوده، وندرة وجود الأمر لتيقنت ذلك [(١)]. وما يزال التناسق الموضوعي يسير وفق النظم، فالتأكيد على إرسال الرسل الرجال بوحي من الله لهم، لا يكون إلا بالمعجزات والكتب المنزلة، فتكون هذه الآية بيانا للآية السابقة، ومفسرة ومتممة لها، إذ يقول الله: ﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ج١٣٤/١٢٨، ونظم الدرر ج٢٧١/٤.

﴿ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[(١)]. ومما يؤكد ذلك، تعلُّق الجار والمجرور في قوله: ﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾ بمحذوف دل عليه الكلام السابق، أي: أرسلناهم بالبينات [(٢)]. والتعبير بذكر ﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ ﴾ له دلالته، فرسالة الله لرسله، تقوم على هذين الأمرين. والبينات دلائل ومعجزات على صدق الرسل، تدعِّم وتؤكِّد على فكرة الرسالة وصدقها، وكذا كتب الله، حيث إنها ناطقة ودالة على صدق الرسالة والرسل، ومن ثم فقد عبَّر بذكرهما [(٣)]. والتعبير بـ ﴿وَأَنزَلۡنَآ﴾ تعظيم لله – سبحانه- والالتفات إلى خطاب النبي ﷺ بقوله:﴿ إِلَيۡكَ ﴾، فيه تشريف للنبي محمد ﷺ وتأنيس له، وإظهار مكانته، وإظهار كذلك للمُنزَّل عليه، الذي وصفه الله بـ ﴿ٱلذِّكۡرَ ﴾، وهو القرآن الكريم، الذي عبَّر عنه بـ ﴿ٱلذِّكۡرَ ﴾؛ ليكون تنبيهًا وإيقاظًا وتذكيرًا للناس من غفلتهم. ويسير النظم في تناسق رائع متقن، فإنزال الله للقرآن له علة وغاية؛ لذا عبَّر بلام العاقبة، إذ يقول: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾. فالغاية من إنزال القرآن، تبيينه للناس، ورسول الهدى ﷺ شارح له، ومفصل لكل ما أجمل فيه من خلال سنته المطهرة. والتعبير بـ ﴿لِلنَّاسِ ﴾، تأكيد على عالمية القرآن، وعلى عدم اختصاصه بقوم معينين، أو فترة زمنية محددة، بل إنه إلى قيام الساعة. والتعبير بقوله: ﴿مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾، إشارة إلى تعظيم هذا القرآن وإجلاله، وأن الناس شركاء في تنزيله، فنزوله على النبي ﷺ بيان لوظيفته، وأنه المبلغ ما أنزل عليه، ونزوله على الناس؛ لبيان وظيفتهم وهي اتباعه، والسير وفق ما يريد. وعند شعور الناس بذلك، تزيد عظمة القرآن عندهم، ويزيد حرصهم على تنفيذ ما فيه من أوامر، واجتناب ما فيه من زواجر. وختم الآية بقوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾، بعد بيان ما في القرآن الكريم للناس من قِبل الرسول ﷺ من المناسب أن يتفكَّر من كان له قلب في عظمة هذا القرآن، وما فيه من قصص، وأمثال، وأمر، وزجر، ونحو ذلك.

---

(١) سورة النحل، الآية ٤٤ .

(٢) انظر: زهرة التفاسير، ج٨/٤١٨٤.

(٣) انظر: تفسير الرازي، ج٢٠/٢١١، بتصرف.

الموضوع التاسع تهديد وإنذار للمشركين، ويشمل الآيات (٤٥ ـ ٤٧):

النص القرآني قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ [١].

عندما بدأ النبي ﷺ الدعوة إلى توحيد الله، لم يناسب ذلك المشركين؛ فأخذوا يمكرون به وباتباعه، فجعلوا لله شركاء، وأنكرت قلوبهم الإيمان بالآخرة بكل تكبر وعناد، وأقسموا على نفي البعث بعد الموت، وطعنوا في الوحي، وجعلوا يشوهونه، ويصفونه بأنه ترهة وأسطورة كأساطير الأولين، بكل مكر وخديعة؛ ليصرفوا الناس عنه، وعن الدخول في دين الله. وعند كل دعوة إلى عبادة الله، تجدهم يتحججون بحجج واهية، حتى يكونوا مشركين صارفين الناس عن التوحيد بكل ما أوتوا من مكر سيء، ونفوس خبيثة مردت على إعداد الخطط الماكرة، ألا يخافون من أخذة العزيز الجبار للمتكبر؟!

ولذا فقد ناسب أن يقول جل في علاه: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [٢]. والتعبير بالاستفهام الإنكاري فيه تعجب من شناعة مكرهم، وتوبيخٌ لهم ولمكرهم، واستخفاف بهم وبعقولهم، التي لم تتفكر في قوة الله وبطشه للأمم الغابرة، وهو توبيخ لكفار قريش ابتداء، ويعم كل من سار على ذلك الدرب. إنه تنبيه وتحذير، فالقضية ليست سهلة، كما يتصورها الكفار، أنتم أيها الكفار بأفعالكم الشنيعة تتحدون الله، ومن ذا الذي يقدر على تحديه ـ سبحانه؟ إنه بكل سهولة، وفي لمح البصر، يخسف بكم الأرض، فلا تبقى إلا آثاركم، فتكونون مغيبين فيها، وتقديم الجار

---

[١] سورة النحل من الآية ٤٥، وحتى الآية ٤٧.

[٢] سورة النحل، الآية ٤٥.

والمجرور في قوله تعالى: ﴿ بِهِمُ ﴾ على ﴿ ٱلْأَرْضَ ﴾ مزيد تهديد، وشديد وعيد للكفار؛ لأن مقصود الخسف من الله لهم وليس للأرض [1]. وجعل الخسف مستقلًا له مدلوله، فالخسف يكون مهلكًا مدمرًا لهم ولأرضهم، وكأنه عذاب سريع لحظي. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ بطريقة قد تكون بطيئة، وتستمر فترة أطول، وفي لحظة أنتم عنها غافلون، كأن تكونوا آمنين، وفجأة يوقع عذابه، والعذاب عام يدخل فيه المرض، والهم، والغم، والحزن، والفقر، والفرقة، والتنازع، والتخاصم، إلى غير ذلك من أنواع العذاب التي يوقعها الله إذا أراد، ومتى أراد، لا يعجزه شيء - سبحانه وتعالى - العزيز المتكبر، شديد العقاب. ويواصل تهديده وإنذاره، فيقول: ﴿ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [2]، والتعبير بقوله: ﴿ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ ﴾ يوحي بالإهلاك الشامل الذي لا يُبقي ولا يذر، والذي يأخذهم عن بكرة أبيهم. والتعبير بقوله: ﴿ فِي تَقَلُّبِهِمۡ ﴾، يعني عدم نومهم، أو موتهم، أو جمودهم، وسكونهم أو مرضهم، فهم في حالة من النشاط والقوة والحركة، يتقلبون من مكان إلى مكان، في حركة دائبة مستمرة، ومع ذلك يأخذهم في لحظة، لا ينفعهم تقلبهم، ولا تجدي معهم قوتهم، فهم أهون على الله؛ لذا ختم الآية بقوله: ﴿ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴾. وعلى أي حال كانوا عليه، فلن يعجزوا الله - سبحانه - ولن ينفعهم مكرهم الذي مكروه. ويستمر البيان من الله لأحوال تهديده لهم، فيقول: ﴿ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ [3]. وقد يأخذهم بشكل مريع، فيه من الرهبة والتخويف ما فيه، وعندما يأخذهم الله، وهم في حالة خوف وفزع، نشأ هذا الخوف من خبرة سابقة تولّدت إليهم، إذ قد يهلك قرى قريبة منهم، أو يُصيب بعض زروعهم بالآفات، أو يُفسد بعض تجارتهم، أو يُمرض أحدهم، ويصيبه بعاهات؛ فينتج عن ذلك خوف شديد يصيبهم، وذعر رهيب يخفق بقلوبهم؛ فيكونون في حالة من عدم الأمن، وهذا في حد ذاته عذاب. وحالهم كحال من أبقي في السجن، وقد حُكم عليه بالقصاص، يتوقّع كل يوم أنه سيموت،

---

(1) انظر: التفسير البياني، ج١/٩١.

(2) سورة النحل، الآية ٤٦.

(3) سورة النحل، الآية ٤٧.

وأن القصاص سُينفَّذ، وفي كل لحظة يزيد رهبة وخوفًا وذعرًا، وكل ما سبق من تهديدات لم يوقعها الله، وهو قادر على تنفيذها، وما ذلك إلا لأن الله رؤوف رحيم، وعبر هنا بمؤكدين، وهما: إن واللام في كلمة (رؤوف)؛ لتدل على رأفته ورحمته بنا، فلم يوقع الخسف، ولا العذاب، ولا الأخذ؛ فهي نعمة عظيمة فازت بها هذه الأمة، ولم تكن كالأمم السابقة التي عذبها الله بصنوف شتى من أنواع العذاب. وإخبار الله في آيات هذا الموضوع بخياراته في التعذيب، يعُّد رحمة ولا شك، فكون الله يخبرنا عما سيحلُّ بالمشركين، إنما يُعدُّ لفت انتباه لمن حاد عن الطريق المستقيم، وأسرف على نفسه بالذنوب أن تقبل توبته، إذا تاب وأناب ورجع إلى الله؛ لكي يعودوا إلى جادة الطريق، فالله رؤوف رحيم يُمهل الناس لعلهم يتوبون، وهذا ما يؤكده التعبير بعنوان الربوبية، مع الإضافة إلى ضمير الخطاب [1]. وتقديم الرأفة على الرحمة في قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ؛ لأن الرأفة تكون في دفع المكروه، وتكون الرحمة في إيصال الخير، فقدمت الرأفة على الرحمة؛ لأن السلامة مطلوبة أولًا ثم الغنيمة [2]. وكذلك يظهر التناسق الموضوعي، بأن لله الذي بيده إيقاع الساعة، والآمر بتنزيهه عن الشريك والمثيل، يؤكد ويدلل على قدرته في إيقاع العذاب كيفما أراد، ومتى أراد، لا يعجزه شيء، مبينًا للكفار قدرته واستحقاقه للإلوهية.

---

[1] انظر : تفسير سورة النحل ص/٣١٨، بتصرف.

[2] انظر : التفسير البياني، ج٩١/١.

الموضوع العاشر: كمال قدرته وخضوع كل شيء له، ويشمل الآيات (٤٨ ـ ٥٠):

النص القرآني قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾ (١).

ويستمر السياق في نسق رائع، فبعد تهديده ـ سبحانه ـ لأولئك الماكرين بخيارات مختلفة من أصناف العذاب، عقّب بما يدلُّ على كمال قدرته، وخضوع كل شيء له، فقال سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (٢). وعبَّر بالاستفهام الإنكاري موبخًا لهم، ومنكرًا عليهم، ومتعجبًا من أفعالهم، لافتًا أنظارهم إلى أمر محسوس مشاهد يرونه بأعينهم، فقال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ﴾، والرؤية هنا بالعين، لوصلها بـ ﴿ إِلَىٰ ﴾، والمراد هنا الاعتبار (٣). والقراءة بالياء في: ﴿ يَرَوْاْ ﴾، تُؤكّد عود الكلام إلى أولئك الماكرين، وتناسب السياق. والتعبير بقوله: ﴿ مِن شَيْءٍ ﴾، يُفيد العموم في كل ما اقتضته الصفة في قوله: ﴿ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ ﴾؛ لأن ذلك صفة لما عرض العبرة في جميع الأشخاص التي لها ظل ، وفاء الظل رجع بعكس ما كان إلى الزوال ، وذلك أن الشمس من وقت طلوعها إلى وقت الزوال، إنما هي في نسخ الظل العام قبل طلوعها، فإذا زالت ابتدأ رجوع الظل العام، وما يزال ينمو حتى تغيب الشمس، فيعم (٤). والتعبير بـ: ﴿ يَتَفَيَّؤُاْ ﴾؛ ليضمنها معنى المجاوزة، أي إن تجاوز إلى اليمين أو تجاوز

---

(١) سورة النحل من الآية ٤٨، وحتى الآية ٥٠.

(٢) سورة النحل، الآية ٤٨.

(٣) انظر: تفسير الرازي، ج٢٠/٢١٣.

(٤) انظر: تفسير ابن عطية، ج٤/١٧١.

إلى الشمائل تكون أفياء[1]، والتعبير بالجمع في: ﴿ظِلَٰلُهُۥ﴾، لتعدد الخلق، فلكل مخلوق ظل [2]، وإفراد الضمير في: ﴿ظِلَٰلُهُۥ﴾، مراعاة للفظ : ﴿شَيْءٍ﴾ [3]. وتقديم اليمين على الشمال في قوله: ﴿ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾؛ لشرف اليمن وفضلها، وكذلك إفرادها، وجمع الشمائل للغرض نفسه. ولو رجعنا إلى آيات تتحدث عن الظلمات والنور، وصراط الله والسبل، لوجدنا الإفراد في النور، وفي سبيل الله، والجمع في الظلمات، والسبل. وسأذكر بعض الآيات التي تدلُّ على كلامي، يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [4]. ويقول أيضًا - سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [5]، وقوله: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [6] وقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [7]. وبعد أن استفهم الله هؤلاء الكفار عن خلق الله غيرهم ماذا يصنعون؟ هل يمكرون؟ أم عن عبادة الله يستكبرون؟ كلا والله إنهم يسجدون، جمادهم ونباتهم وحيوانهم، كل شيء يسجد لله، وأنتم يا أهل المكر تخططون وتدبرون لكي لا تسجدوا، ولغير الله تعبدون، والتعبير بـ ﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ له مدلوله الرائع، فهو أقصى مظهر من مظاهر الخضوع والخنوع لله - تبارك وتعالى -

(1) انظر: زهرة التفاسير، ج٨/٤١٨٩.
(2) انظر: التفسير البياني ج١/٩٧.
(3) انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/١٥٣.
(4) سورة البقرة، الآية ٢٥٧.
(5) سورة الأنعام، الآية ١.
(6) سورة الرعد، الآية ١٦.
(7) سورة الأنعام، الآية ١٥٣.

والظلال في حركتها اللطيفة الخفيفة، خاضعة خانعة لله - تبارك وتعالى- والسجود جزء من كل، وربما يُعبَّر بالجزء دلالة على الكل، فالكل هنا العبادة، والله يبيِّن أن كل شيء يعبده، ولكن التعبير بقوله: ﴿ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ مناسب للسجود؛ لأنه عبارة عن الخضوع والانقياد، فكل شيء في حالة خضوع وخنوع للكبير المتعال. ويستمر التناسق الموضوعي يسير بانسيابية، وروعة أسلوب، فليست ظلال الأشياء هي الوحيدة الساجدة الخاضعة الخانعة لربها، بل كل ما في السماوات وما في الأرض من دابة تدبُّ على الأرض، ومن ملائكة في السماوات لا يستكبرون عن ذلك ولا يتأخرون، حيث قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[1]. والتعبير بقوله: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ ﴾ ، تعريض بالمشركين، وبيان أن السجود لا يكون لصنم ولا لوثن، إنما السجود لله، وهذا ما يؤكده تقديم الجار والمجرور. والتعبير بقوله: ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ تأكيد أن كل ما في السماوات، يسجد لله - دون استثناء- عن إيمان؛ لذا قدَّم من في السماء على من في الأرض. وليس كل من في الأرض يسجد لله عن قناعة وإيمان، فهناك من يسجد طوعًا، ومنهم من يسجد كرهًا ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾[2]. وتخصيص الدواب والملائكة بالذكر؛ لبيان الفرق بينهما، فالدواب تدبُّ على الأرض، والملائكة لا تدبُّ، وإنما تطير ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾[3]. ويفيد التعبير بذكرهما أيضًا، أن الأشرف وهم الملائكة يسجدون لله، والأدنى وهم الدواب كذلك يسجدون، فهم جميعًا منقادون لله طائعون، فمالكم يا أهل الكفر لا تعتبرون. وفي هذه الآية تعريض بالكفار، ودعوة لهم؛ لعلهم عن غيهم يعودون. وختم الآية بقوله تعالى: ﴿ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾، حيث إنها وصف للملائكة الذين أكرمهم الله وشرَّفهم، ولكنهم مع ذلك لم يستكبروا، وهذا تعريض بالكفار، فأنتم بشر واستكبرتم ولم تصرفوا العبادة لله، وهؤلاء

---

[1] سورة النحل، الآية ٤٩.

[2] سورة الرعد، الآية ١٥.

[3] سورة فاطر، الآية ١.

الملائكة المكرمون، رغم تشريفهم من الله، إلا أنهم خاضعون لله مطيعون. ويستمر السياق فـي سـرد أوصـاف الملائكـة المكـرمين، فيقـول الله تبـارك وتعـالى: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾[1]. والتعبير هكذا بـدون عطـف لـه جمالـه البلاغـي، ويُسمى عند البلاغيين بالفصل [2]. ويعني هذا كمال الاتصال بين الآيتين. والتعبير بـ ﴿ يَخَافُونَ ﴾، نـاتج عن عدم استكبارهم، فالذي يستكبر لا يخـاف. والتعبير بقولـه: ﴿ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾، يفيد أن الذي يفعل مـا يؤمر بـه، لا شك أنـه يجتنَّب مـا ينهى عنـه. وفي نهايـة هذه الآيـة سجود تلاوة، تنبيه لمن قرأ هذه الآية أن يسجد. فكل شيء يسجد لله - تبارك وتعالى- حتـى الجماد، فحري بك أيها المسلم، أن تكون من زمرة الساجدين؛ تعظيمًا لرب العالمين.

---

(١) سورة النحل، الآية ٥٠.

(٢) وهو: ترك عطف الجمل على بعضها الآخر، وهو خلاف الوصل. انظر: الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، ج١/١٤٥.

الموضوع الحادي عشر: عقائد المشركين، ويشمل الآيات (٥١ ـ ٦٤):

النص القرآني قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٥١ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ٥٢ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ٥٤ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٥٥ وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ٥٦ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ٥٧ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٥٩ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦٠ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٦١ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَ وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ ٦٢ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦٣ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤ ﴾ (١).

لما بيَّن ـ سبحانه ـ أن الكل من جمادات، ومن في السماوات، ومن في الأرض منقادون خاضعون طائعون لله، اتبع في قوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٥١ ﴾ (٢)، ناهيًا عن الشرك (٣). وهذه الآية متصلة تمام الاتصال، ومتسقة تمام الاتساق مع ما قبلها بالواو العاطفة على ﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي

(١) سورة النحل من الآية ٥١، وحتى الآية ٦٤.

(٢) سورة النحل، الآية ٥١.

(٣) انظر: تفسير الرازي، ج٢٠/٢١٩.

ﭐلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [1]. أي الله الـذي خضـع الوجـود لــه، حيـه وجماده، متحركه وساكنه ،عاقلـه وغير عاقلـه، يقول لكم سبحانه: ﴿ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ ﴾[2]. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ ﴾ إشعار بعظم الأمر، وتأكيد على أن هذه القضية الكبرى ليست من عند أحد من البشر، وإنما هي من صاحب الشأن، الذي يُؤكِّد على خطر أمر الشرك، ويُحذِّر منه أشد تحذير. والتعبير بقولـه:﴿ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ﴾ أمر باجتنـاب منكـر، وهذا الأمر واقع على نهي، ويدلُّ على تأكيد النهي بترك المنهي عنه، والإتيان بما يقابلـه، وهو المأمور به، ويكون المعنـى: لا تتخذوا إلهين اثنين، واعبدوا إلهًا واحدًا [3]. والتعبير هنا بأسلوب التقرير والتكرير واضح بـارز في قولـه: ﴿ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ ﴾، وهو تبيين لواقع المشركين، فهم في حال الرخاء يتوجهون إلى أصنامهم، وفي حال الشدة يتوجهون إلى الله، قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [4]، وقولـه: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[5]. كما أنه يؤكد على نفي اتخاذ أحد مع الله، ومعلوم أن الله إله حق، فكان واحدا لا يتعدد، والذي يتعدد ليس بإلـه، فاقتصر على ذكر ﴿ ٱثۡنَيۡنِۖ ﴾؛ لأنـه قصد نفي التعدد [6]. والتعقيب بـذكر القصـر لـه دلالتـه في السياق والتناسق، فالإلـه ليس اثنين ﴿ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾. وختم الآيـة بقولـه تعـالى: ﴿ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾، حيث فيه التفات من الغيبة إلى التكلم؛ مبالغة في الترهيب، وتصريح بالمقصود، فكأنه

---

[1] سورة النحل، الآية ٤٩.

[2] انظر: تفسير أبي السعود ج٤/١٢٥، وزهرة التفاسير، ج٨/٤١٩٢.

[3] انظر: التفسير القرآني، ج٧/٣٠٦.

[4] سورة يونس، الآية ٢٢.

[5] سورة العنكبوت، الآية ٦٥.

[6] انظر: تفسير القرطبي، ج١٠/١١٣.

قال: فأنا ذلك الإله الواحد، فإياي فارهبون لا غير[1]. والفاء الفصيحة في قوله: ﴿ فَإِيَّٰيَ ﴾، تؤكد ما سبق من أنه إذا كان الإله واحدًا ﴿ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾. والفاء الثانية لربط الكلام، والمعنى إياي أنا وحدي فارهبون؛ لأنه لا إله إلا أنا [2]، وكل ما سبق مؤكدات للنهي عن الشرك، ويدل هذا على عظم خطره. وبعد أن بيَّن - سبحانه - أنه هو الإله الحق المستحق للعبادة لا غيره، ذكر تفرُّده بكل ما في السماوات والأرض؛ لذا وجبت طاعته وعبادته، فقال: ﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ٥٢ ﴾[3]. والتفت هنا بالخطاب إلى الغيبة، تنويعًا في الأسلوب، وتفنينًا في الكلام، وكأنه يُعلل لنا وجوب الخوف منه؛ فهو الملك المالك لكل شيء، والخضوع له من كل ما في السماوات والأرض، وتقديم الجار والمجرور في قوله: ﴿ وَلَهُۥ ﴾ ؛ للتأكيد على ملكيته للسماوات والأرض وحده دون سواه. والتعبير بـ ﴿ مَا ﴾ ؛ لعموم جميع الأشياء التي لا تعقل، والتي تعقل [4] ؛ تأكيدًا لما سبق في قوليه سبحانه تواليًا: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ٤٨ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٩ ﴾[5]. ويؤكِّد هذا على التناسق القوي في السورة، وتقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾؛ للتدليل على اختصاص الله بالعبادة والجزاء وحده دون سواه[6]. وهو أمر محتم، ولا نقاش فيه، وهو دائم غير منقطع، ووجب أن نصرف له العبادة وحده دون سواه - عز وجل- لذا عبَّر بقوله: ﴿ وَاصِبًاۚ ﴾. والتعبير بالالتفات في قوله: ﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ إلى الخطاب، تهديد شديد مفزع لأولئك الذين لا يخافون الله وشدة بطشه، والهمزة للإنكار والتوبيخ والتقريع، والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه السياق.

---

[1] انظر: تفسير البيضاوي، ج٣/٤٠٣.

[2] انظر: زهرة التفاسير، ج٨/٤١٩٢.

[3] سورة النحل، الآية ٥٢.

[4] انظر: تفسير ابن عطية، ج٤/١٧٤.

[5] سورة النحل، الآية ٤٨ ، والآية ٤٩.

[6] انظر: التفسير البياني، ج١/١٠٥.

وبعد أن بيَّن الله أن الكل من جماد، وما في السماوات والأرض، يسجد لله الإله الواحد، الذي دان له كل شيء وخضع، منذ بدء الخليقة وحتى انتهائها، وأنتم تتقون وتخافون غيره.

وتأخير الفاء عن الهمزة له مدلوله، فالاستفهام له حق الصدارة، وهو للتنبيه وإنكار الوقوع، أي: لا تتقون غير اللّه. وتقديم ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ ﴾ على ﴿ تَتَّقُونَ ﴾؛ للدلالة على أنه لا يتقى غيره ـ سبحانه وتعالى. [1] وما يزال التناسق والتناسب يسير في نظم رائع، والكلام هنا متصل بقوله: ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴾ ، كأنه يُقال على جهة التوبيخ: أتتقون غير الله، وما منعم عليكم سواه [2] ، وكأن السياق يعود بنا، ويذكرنا نعم الله علينا التي تكلمنا عنها سابقًا. والتعبير بقوله: ﴿ مِّن نِّعْمَةٍ ﴾، أي أي نعمة قلت أو كثرت، فهي من الله، وجملة ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ من بديع الكلام [3]. والتعبير بـ (ثم) بعد ذلك في قوله: ﴿ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾ ؛ للتباعد بين حالي النعم والضرر، وهي إشارة إلى أن كل النعم مهما كانت، لا تكون إلا من الله، فكذلك الضرر بيد الله ـ تبارك وتعالى ـ وأيضًا فإن من عقائد المشركين الفاسدة، ترك عبادة الله في حال الرخاء، وعند أي بوادر ضرر، تجدهم يصيحون في فزع وهلع، ذاكرين أن لهم ربًّا يستحق التضرع والخضوع والخنوع إليه. والتعبير بقوله: ﴿ مَسَّكُمُ ﴾ أي: مجرد حصول شيء هين من الإضرار، فإذا هم يستغيثون بربهم الأعلى، تاركين أصنامهم التي لا تضر ولا تنفع، وعند كشف الضر، يعودون لأصنامهم مشركين بالله، يقول الله: ﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [4]. والتعبير بـ ﴿ ثُمَّ ﴾؛ لاستبعاد رجوعهم إلى الشرك بعد أن وحدوا، وبدلا من أن يشكروا الإله الحق الذي نجاهم من الضر، يشركون به ! ولذا ناسب الله أن يقول بعد ذلك: ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾، مبتدأ بـ ﴿ إِذَا ﴾ الفجائية؛ لتبرز التناسق في أروع صورة. والتعبير بـ ﴿ فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ ، اقتصار الشرك على المشركين وحدهم،

---

(1) انظر: زهرة التفاسير، ج٨/٤١٩٣.

(2) انظر: تفسير ابن عطية، ج٤/١٧٤.

(3) انظر: إعجاز القرآن للباقلاني، ج١/٦٦.

(4) سورة النحل، الآية ٥٤.

وخروج المسلمين الذين يخلصون في حال الرخاء والشدة. وذكر الجار والمجرور ﴿مِّنكُمْ﴾، رغم دلالة السياق عليه؛ لزيادة إيضاح، وبيان أن كشف الضر كنتم أنتم تطلبونه لا غيركم، فهو خاص بكم [1]. وتقديم الجار والمجرور في قوله: ﴿بِرَبِّهِمْ﴾؛ لإظهار شناعة جرمهم، وقبح فعلهم، وسوء معتقدهم، والتعبير بـ ﴿بِرَبِّهِمْ﴾ أيضًا دون ذكر اسم آخر من أسمائه، تأكيد على احتقارهم، فالرب المالك، والخالق [2] كيف يجعلون معه غيره، وهو مملوك لله، ثم كيف هي نفوسهم الخبيثة الحقيرة، التي ما إن أنجاهم الله من الضرر والمصائب والمحن التي لحقت بهم حينما فزعوا إليه؛ ثم ما لبثوا أن نسوا فضله، وبدلًا من شكره وتوحيده، توجهوا إلى صنم لا ينفع ولا يضر، وهو في حقيقة الأمر مخلوق لله، ولكنها عقائدهم الفاسدة، وترهاتهم الباطلة. ويستمر التناسق الموضوعي في تسلسل منطقي بديع، فبعد أن ذكر ـ سبحانه ـ أن النعم كلها من الله وحده، ومنها أنكم عند حلول الشدائد تصيحون تستغيثون ربكم، الذي يكشف ما حل بكم من مصائب إذا شاء، وهي نعمة كبرى من نعم الله ـ جل وعز ـ إلا أن المشركين حين يكشف الله الغمة عنهم، يتجهون فورًا إلى أصنامهم، ناكرين إنعام الله عليهم بكشف ضرهم؛ لذا عبَّر بقوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٥٥﴾ [3]. واللام في قوله: ﴿لِيَكْفُرُواْ﴾ لام كي التعليلية ، أو عاقبة تلك التضرعات إلى كفرهم وجحدهم للنعمة، وتكون اللام حينئذ لام العاقبة [4]. والتعبير بالموصول في قوله سبحانه: ﴿بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ﴾ تشنيع بهم، وبيان لفظاعتهم في كفران النعمة [5]. والنعمة لا شك أنها معظمة، ومن يكفر بها، فقد وقع في عظيم، ولم يقل أعطيناهم؛ لأن الإيتاء أقوى من الإعطاء [6]، وإن كان كثير من العلماء يرى أن الإيتاء والإعطاء بمعنى واحد، وكلمة: ﴿ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ فيها إظهار لتعظيم الله المعطي ـ جل في

---

[1] انظر: التفسير البياني، ج١/١٠٩.

[2] انظر: مقاييس اللغة، ج٢/٣١٣.

[3] سورة النحل، الآية ٥٥.

[4] انظر: تفسير الرازي، ج٢٠/٢١٨، بتصرف.

[5] انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/١٤٣، بتصرف.

[6] انظر: الإتقان، ج١/٥٧٢.

علاه. والخروج من الإخبار إلى المخاطبة، له مدلوله الواضح في وعيدهم وتهديدهم [١]، حيث قال -سبحانه وتعالى: ﴿ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾، فهؤلاء رغم ما ساقه الله لهم من دلائل، تدل على عظمته، وتأمرهم بتوحيده، إلا أنهم كالأنعام، بل أضل سبيلًا، لا تفكّر ولا تتدبر؛ وعبر بقوله: ﴿ فَتَمَتَّعُواْۖ ﴾ ، والفاء للإفصاح؛ فإذا كنتم في ضلالكم سائرون، وبنعمة ربكم تكفرون، وله تشركون، ﴿ فَتَمَتَّعُواْۖ ﴾، تهديدًا لهم وتخويفًا. وختم الآية بقوله تعالى: ﴿ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾. والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها، فهم كفروا بالنعمة وجحدوها، مستمتعين بدنياهم في حاضرهم، وسيعاقبهم الجبار المنتقم مستقبلًا؛ لذا عبَّر بـ﴿ فَسَوۡفَ ﴾ [٢]. ومجمل الآية يؤكّد على أن الكريم الرحيم يُجيب من دعاه، حتى ولو كان كافرًا مشركًا به، إذا شاء ،وهي فرصة لنا - نحن المسلمين- لندعوه تضرعًا وخفية. ويستمر السياق متصلًا، والتناسق الموضوعي مستمرًا في ذكر عقائدهم الباطلة، إذ يقول الحق -تبارك وتعالى: ﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ٥٦ ﴾ [٣]. والتعبير بالمضارع في قول: ﴿ وَيَجۡعَلُونَ ﴾ تكرر واستمرار جعل رزقهم من الحرث والأنعام لأصنامهم التي لا تضر ولا تنفع، يقول الله -تبارك وتعالى: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ١٣٦ ﴾ [٤]. وفعلهم هذا فيه وقاحة وخسة، فالرزق من الله، وهم يعطونه لآلتهم المزعومة، والفعل هذا ليس مختصًا بمشركي مكة، بل هو عام في كل مشرك. وإلى يومنا هذا، نجد الكثير من أصحاب الديانات الكافرة تجعل قرابين لآلهتهم، والتعبير بقوله -سبحانه وتعالى: ﴿ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ ﴾، لإظهار سخافة عقول الكفار، فهم يعبدون ما لا يعلمون

---

[١] انظر: معاني القرآن للنحاس، ج٥/٢٦٢.

[٢] انظر: زهرة التفاسير، ج٨/٤١٩٥ بتصرف.

[٣] سورة النحل، الآية ٥٦.

[٤] سورة الأنعام، الآية ١٣٦.

حقيقته من أصنام وأوثان، بجعل ﴿ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ﴾. والتعبير بالجملة السابقة يفيد أنهم لا يجعلون كل ما يرزقهم الله لآلهتهم، بل يجعلون نصيبًا محددًا. والتعبير بقوله: ﴿ رَزَقْنَٰهُمْ ﴾ ، تعظيم لله العظيم المتعالي، وبيان أن هذا الرزق الذي يعبثون به ويعطونه آلهة جامدة لا تتحرك، فضلًا عن أن تأكل؛ سخافة عقل، وقصر نظر، وخبث نفس ، ثم لولا الله لما رزقوا بهذا الرزق الذي في لحظة قد يسلبه الله منهم. وفعلهم هذا لا شك أنه قبيح يستحقون على إثره التهديد والوعيد الشديد؛ لذا انتقل بالكلام من الخبر إلى الخطاب على شكل سؤال فيه توبيخ وتقريع لهم ولفعلهم الفاسد [1]؛ فقال: ﴿ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾، مقسمًا بالتاء الذي يشعر أن المقسم عليه أمر عجيب مستغرب، ففعلهم فيه من الغرابة؛ لذا سيسألون سؤالًا عجيبًا غريبًا بمقدار غرابة جرمهم. وهنا لفتة لطيفة ينبغي أن يسير عليها أهل القضاء والتحقيق، فلا يعاقب المجرم إلا بعد سؤاله، فربما كان له سبب وجيه، أو على أقل الأحوال، أن يقرر على نفسه ما ارتكب من جرم وبقناعة، وحتى يكون القضاء عادلًا [2]. والتعبير بقوله: ﴿ لَتُسْـَٔلُنَّ ﴾، تأكيد على شدة التهديد والوعيد [3]. والتعبير بـ ﴿ كُنتُمْ ﴾؛ دلالة وتأكيد على أن الافتراء كان من شأنهم، والتعبير بالفعل المضارع: ﴿ تَفْتَرُونَ ﴾؛ للإشارة إلى أن فعلهم الفاسد، ومعتقدهم الباطل متجدد مستمر [4]. وتسمية الله فعلهم افتراءا كان مقصودًا؛ إذ أشركوا، وكذبوا على اللّه وعلى أنفسهم، وضلوا إذ نذروا ﴿ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ له حقيقة، وضلوا بذلك ضلالًا بعيدًا [5]. ويستمر المقطع في فضح عقائدهم الباطلة، وجرائمهم المنكرة؛ إذ يقول الله: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [6]، وما يؤكد السياق عطف هذه الجملة على ما قبلها، والتعبير بالفعل

(1) انظر: تفسير القرطبي، ج١٠/١١٥.
(2) انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/١٤٥، بتصرف.
(3) انظر: التفسير البياني، ج١/١١٣.
(4) انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/١٤٦، بتصرف.
(5) انظر: زهرة التفاسير، ج٨/٤١٩٦.
(6) سورة النحل، الآية ٥٧.

المضارع في قوله: ﴿ وَيَجْعَلُونَ ﴾ ؛ للدلالة على تجدد واستمرار فريتهم بنسب البنات له ـ سبحانه ـ وهذه بشاعة منهم تجاه الذي لم يلد ولم يولد؛ لذا قدَّم الجار في قوله: ﴿ لِلَّهِ ﴾. ومقصود المشركين بالبنات الملائكة، إذ يقول الله ـ تبارك وتعالى: ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [1].

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [2]، وقوله: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [3]. ومن اللطائف التي تعلّل اختيار تأنيث الملائكة ووصفهم بالبنات، استتارهم عن أعين الناس، فأشبهوا حال النساء في الاستتار وعدم الظهور [4]. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ ﴾ ، ومعناها حاشا ومعاذ الله أن يكون له ولد؛ تنزيهًا له وإعظامًا، وتعجيبًا من أولئك الذين تمادوا في الطغيان، وبلغوا من الجهل مبلغه؛ إذ جعلوا الملائكة بنات، ونسبوهم إلى الله الذي لم يلد ولم يولد، بل والملفت للنظر أيضًا ﴿ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴾ ، فهم اختاروا الذكور من الأولاد، وجعلوا لله ما يكرهون ومنه يأنفون، وهذه شناعة وخسة، وتقديم ﴿ وَلَهُم ﴾ لمزيد من التهكم بهم، واستخفاف بقدرتهم، فمن هم حتى يجعلوا لله البنات، ويختاروا الأبناء؟! ثم إن التعبير بذكر ما نسبوه له ـ سبحانه ـ وبيان ما نسبوه لأنفسهم؛ ليدل دلالة قطعية على حاجتهم وضعفهم [5] ، فهم يرغبون ويحتاجون إلى الأبناء، ليكونوا لهم سندًا وعزًا، ولا حاجة لهم بالبنات؛ ظنًّا منهم أنهن عار، وأنهن لا يقاتلن، ولا يركبن الخيل، ولا يكسبن، فيعشن كلًّا على أهلهن؛ وإذا وقعن في السبي، فربما يجلبن العار؛ لذا قال سبحانه : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ [6]. والتعبير بقوله: ﴿ بُشِّرَ ﴾ يدلُّ على

---

[1] سورة الإسراء، الآية٤٠.

[2] سورة الصافات، الآية ١٥٠.

[3] سورة الزخرف، الآية ١٩.

[4] انظر: تفسير الرازي ج٢٠/٢٢٤، بتصرف.

[5] انظر: نظم الدرر ج٢٧٨/٤، بتصرف.

[6] سورة النحل، الآية ٥٨.

الخبر السار، وهو خبر سار بالفعل أولًا لسلامة الأم، وثانيًا لأن المولود رزق، سواء كان ذكرًا أم أنثى، ولكن الجاهلي لا يسره أن تكون أنثى، فلماذا قال الله عن حاله: ﴿ بُشِّرَ ﴾، والله يعلم أن هذا الخبر لا يسرُّ ذلك الجاهلي؟

والجواب أن الخبر إذا نُقل للشخص، فإنه يبقي أثرًا في بشرة وجهه، سواء كان ذلك الخبر سارًا أم محزنًا، وما يؤكد هذا الكلام، قوله بعد ذلك: ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا ﴾، فهو بعد سماعه خبر ولادة زوجته بنتا، ينقلب وجهه أسود من سوء ما بُشِّر به. وتذكر الدراسات الحديثة أن الوجه مرآة النفس؛ وذلك لأن شكل الوجه يتوقَّف على الحالة التي تكون عليها العضلات التي تتحرك داخل الدهن تحت الجلد، وتتوقف حركتها على حالة أفكارنا وانفعالاتها، فالغيظ المكظوم يظهر على الوجه، فيحتقن ويظهر محمرًا أولًا، وإذا اشتد كظم الغيظ وطال أمد احتقان الوجه، يبدو مسودًا، وهو ما يشاهد فعلًا [1]، وناسب جدًّا أن يذكر بعد ذلك قوله: ﴿ وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾؛ ليبين لنا أن اسوداد وجهه، نتج عنه حزن، وهذا الحزن شديد، حتى إنه لا يملك إلا كتم غيظه، وعدم قدرته على فتح فمه ليتكلم. ومعلوم أن من وقع في أمر محزن، يصبح صامتًا في أغلب حالاته، ولا يقدر على التحدث من شدة ما ألمَّ به. وهؤلاء الجهلة من سوء معتقدهم حيال بناتهم، يكون حالهم حال من أصيب بمصيبة كبيرة في نفسه، أو ماله، أو عرضه، أو قبيلته، فلا يريد أن يُري وجهه للناس؛ لذا ناسب الله أن يقول: ﴿ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [2]. والتعبير بالمضارع في قوله: ﴿ يَتَوَٰرَىٰ ﴾، لبيان حاله حين يأتيه الخبر، وهو يستتر ويتخفى عن قومه. والتعبير بقوله: ﴿ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ ﴾، يدلُّ على أن هذه الفكرة الجاهلية متعمقة عندهم، وهي قديمة جدًّا، ومن ثم فقد أصبحت عادة من عاداتهم. إن همه الأكبر عدم رؤية قومه له؛ خوفًا من شماتتهم، ومن نظرتهم له، ويؤكد هذا سلطة المجتمع وقوته على الفرد، والتي أصبحت مختفية إلى حد ما في بعض المجتمعات. والتعبير بقوله:

(1) انظر: القرآن وإعجازه العلمي، لمحمد إسماعيل إبراهيم، ص١٦٧.

(2) سورة النحل، الآية ٥٩.

﴿ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ﴾ ، بيان لفكرتهم الفاسدة، فهو سوء بالنسبة إليه وإلى قومه، ولكن الله يذكر أنها بشرى؛ لأنها نعمة كبرى عند كل عاقل. وبعد أن بيَّن الله ـ تبارك وتعالى ـ حال الجاهلي عند سماع الخبر، تتبقى الخطوة الأهم التي سيقدم عليها، ولكن هل سيقدم على شيء معين، أم أن حاله حال محزن مخز في حيرة شديدة؟ وهذا ما توضحه الآية، إذ يقول الله: ﴿ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِ ﴾. والتعبير بـ ﴿ أَيُمۡسِكُهُۥ ﴾ بصيغة المذكر، رغم أن الكلام عن البشارة بالأنثى، وذلك لعود الضمير في ﴿ أَيُمۡسِكُهُۥ ﴾ على ﴿ مَا ﴾ [(١)]. والتعبير بـ ﴿ هُونٍ ﴾ ، يدلُّ على مدى تغلغل فكرتهم الضالة تجاه البنت، والشعور المخزي تجاهها، فوجودها ذل وهوان وصغار، فالأب وإن كان يحمل عاطفة الأبوة، وهو أمر فطري جبلي، إلا أن هيمنة المجتمع وسطوته، تجعل منه إنسانًا بلا إنسانية، وأبًا بلا أبوة، فربما يلجأ إلى حلٍّ آخر، حتى يسلم من المهانة، وهو ما عبَّر عنه الله بقوله: ﴿ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ ﴾، وعبر بقوله: ﴿ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ ﴾، ولم يقل (يدفنه)؛ لأنه يدسها في التراب حية، وهو الوأد [(٢)]، والدفن لمن يموت ويوسد في التراب. وذكر أيضًا قوله: ﴿ يَدُسُّهُۥ ﴾، رغم أن الكلام عن البشارة بالأنثى، وذلك لعود الضمير في ﴿ يَدُسُّهُۥ ﴾ على ﴿ مَا ﴾. والتعبير بالهمزة في قوله: ﴿ أَيُمۡسِكُهُۥ ﴾ وأم في ﴿ أَمۡ يَدُسُّهُۥ ﴾؛ للحيرة الشديدة التي وقع فيها هذا الجاهلي، ومن سار على دربه. وختم الآية مناسب تمامًا، إذ قال الله: ﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴾، فذلك الذي رزقه الله ببنت، حكم عليه المجتمع الجاهلي بحكمين، أحلاهما مر، فإما إمساكها وحبسها على هوان وذلة، وإما دفنها حية في التراب، وهذا مناسب للآية، والمناسب للآية وما قبلها ما ذكرته آنفًا، وما أضافوا له – سبحانه- من البنات، وجعل البنين لهم، فهذا حكم سيء، وقسمة ضيزى، ويستمر السياق متصلًا، والتناسب الموضوعي ظاهرًا. فبعد أن بيَّن تكلمهم بالباطل في حقه بنسبة البنات إليه، وفي حقهم باختيار نسبة البنين إليهم، وكراهتهم للبنات التي نسبوها لله، علَّل أن من يفعل ذلك بقوله: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ

---

(١) انظر: تفسير الرازي، ج٢٠/٢٢٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري، ج١٧/٢٢٧.

﴿ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦٠ ﴾[1]. والتعبير بالاسم الموصول ﴿ لِلَّذِينَ ﴾ استحقار لأولئك الجاهليين؛ لأن الاسم الموصول في سياق التحقير زيادة في التحقير [2]. والتعبير بالاقتصار على الذين لا يؤمنون بالآخرة في قوله: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ ﴾؛ لأن الإيمان باليوم الآخر إيمان ببقية الأركان، ولأن الكفار لو آمنوا تمام الإيمان بأن هناك يومًا آخر وجزاء وحسابًا لم ينسبوا لله الولد، ولم يتجرءوا على الله الذي ليس كمثله شيء، ولكنهم مع كل أسف لم يؤمنوا، فانحرفوا عن الطريق المستقيم، فهم ﴿ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِ ﴾؛ لجهلهم وكفرهم، ووصفهم الله بالسوء، من نسبة الولد إليه؛ لذا قال بعد ذلك: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ ﴾، لبيان أن الله له صفات الكمال والجلال والقدرة، ومنزه عن الوالد والولد والصاحبة، وليس كما زعم الكفار من نسبة البنات إليه ـ سبحانه وتعالى ـ وكأن السياق يعود بنا إلى مستهل السورة، حين ذكر الله وقوع أمره المتمثل في قيام الساعة، وتنزيهه عن الشريك. والساعة من أمور الآخرة، وقد ناسب هنا أن يذكر عدم إيمانهم بالآخرة، والتعبير في ختام الآية له مقصوده، حيث قال ـ سبحانه وتعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾، فهو ذو عزة لا تمنعه من معاقبة هؤلاء المشركين، الذين وصف صفاتهم القبيحة، وعقائدهم الباطلة، ولكنه مع عزته، فهو حكيم، يعاقب بحكمة وقت ما يريد، وقد قدَّم ﴿ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ على ﴿ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ لحكمة، فمن عزَّ حكم ، والعزة والحكمة من صفات الكمال التي اتصف بهما الله. ويستمر التناسق الموضوعي متسقًا، والسياق متماشيًا، فأهل الشرك ارتكبوا مخالفات، ووقعوا في منكرات، من جعلهم الآلهة اثنين، وشركهم بعد كشف الضر، وكفرهم بالنعمة، وتخصيص شيء من مالهم لأصنامهم، وجعلهم الملائكة بنات الله، ولهم ما يشتهون ويريدون من الذكور، وتواريهم عن أنظار قومهم؛ خجلًا من رزقهم بالبنات، وبيان حالهم المتردد بين إمساك البنات على هوان وذلة، أم دفنهن أحياء؛ كل ذلك ظلم وتعدٍّ، و لكن ما موقف الله تجاههم وتجاه عقائدهم الباطلة؟

---

[1] سورة النحل، الآية ٦٠.

[2] انظر: التفسير البياني، ج١/١١٧.

يقول الله ـ تبارك وتعالى: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [1]. إنه يمهلهم دون إهمال، وهذه نعمة تُضاف إلى ما سبقها من نعم، ومنة من المنان. والتعبير بقوله: ﴿ يُؤَاخِذُ ﴾ تنبيه على معنى المجازاة والمقابلة لما أخذوه من النعم، فلم يقابلوه بالشكر[2]، وأيضًا المجازاة والمقابلة على ما بيَّنه الله لهم من عبادته وحده دون غيره، وقابلوا ذلك بالتكذيب والاستكبار والجراءة على الله ـ سبحانه ـ والمقصود بـ ﴿ ٱلنَّاسَ ﴾ الكفار؛ مراعاة للسياق. وأيضًا قوله: ﴿ بِظُلْمِهِم ﴾، والتعبير بالظلم هنا يعني الشرك، ومما يؤكِّد أن معنى الظلم الشرك سياق الآيات، وحديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: (لما نزلت ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [3] ، شق ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، أينا لا يظلم نفسه. قال: " ليس ذلك، إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [4] " [5]. والتعبير بقوله ـ سبحانه وتعالى: ﴿ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا ﴾ المقصود الأرض، رغم أنها لم تذكر؛ لأن المعنى معروف [6] والعرب تجوِّز ذلك، تقول: فلان أفضل من عليها [7]، ومما يؤكِّد أنها الأرض، الإتيان بقوله – تعالى- بعدها: ﴿ دَآبَّةٍ ﴾، فإن الدابة لا تدبُّ إلا على الأرض [8]، وكذلك لكراهة أن يجتمع ظاءان في جملتين، مع ثقلها في لسانهم؛ لأن الفصاحة تأباه

---

[1] سورة النحل، الآية ٦١.

[2] انظر: المفردات في غريب القرآن، ج١/٢٢.

[3] سورة الأنعام، الآية ٨٢.

[4] سورة لقمان، الآية ١٣.

[5] صحيح البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِۚ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾، ج٣/١٢٦٢.

[6] انظر: معاني القرآن للنحاس، ج٤/٧٧.

[7] انظر: بصائر ذوي التمييز، ج١/٢٠١.

[8] انظر: تفسير القرطبي، ج١٠/١١٩.

ـ لفعل الدواب من فرد كل يهلك أن أراد لو الله أن على يدل ﴿ دَآبَّةٍ ﴾ بـ والتعبير .[1]

سبحانه ـ ﴿ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ﴾. والتعبير بالتأخير هنا يدلُّ على نعم الله على الناس بإمهالهم؛ لكي يرجعوا ويتوبوا، ولكن إذا جاء أجلهم، وهم باقون على معتقداتهم الباطلة، فلا مجال. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾ فيه تهديد ووعيد، فحين تحين ساعة الأجل، لا مجال حينئذ إلا وقوع العذاب عليهم، وهذا التأخير إمهال لا إهمال بحلمه وعلمه ـ عز وجل. ويستمر التناسق الموضوعي في سياق متناغم بديع؛ فيذكر الله معتقدًا من معتقداتهم الباطلة، وسلوكًا مشينًا من أخلاقهم السافلة، قد ذكره تصريحًا عند قوله سبحانه: ﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ۝٥٧ ﴾[2] وها هو يذكره تلويحًا: ﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَ وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ ۝٦٢ ﴾، فهم يجعلون لله ما يكرهونه، والمناسب للسياق كرههم للبنات، وعيشهم حياة حزينة، إذا بُشِّر أحدهم بالأنثى، حيث يجعلون البنات لله كرهًا لهن، وزعمهم أن لله أولادًا من البنات، وكأنهم حكام يحكمون على الله الملك ـ سبحانه. والتعبير به مكررًا؛ لقصد التكرير والتقرير، وزيادة في التوبيخ والتقريع [3]. وتوطئة لقوله تعالى: ﴿ وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴾، والتعبير بـ ﴿ وَتَصِفُ ﴾ ، تشعر بأن هناك بيانًا وشرحًا مفصلًا موضحًا، و ﴿ وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ ﴾ ، فيها فصاحة الكلام وبلاغته [4]. والتعبير بجعل ألسنتهم هي التي تصف الكذب؛ لأنها هي ذاتها المعبرة عن الكذب، المفصحة عنه، المصورة له، ولكثرة وصفها للكذب واستمراريته، وتعبيرها عنه، حتى صارت رمزًا عليه ودلالة له [5]. والتعبير عن القول بالوصف؛ لأن وصفهم بأنهم الأفضل، وأن العاقبة المثلى لهم ـ لا شك ـ أنه باطل،

---

(1) انظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني لبدر الدين بن جماعة، ج١/٢٢٨.

(2) سورة النحل، الآية ٥٧.

(3) انظر: تفسير الشوكاني، ج٤/٢٣٢.

(4) انظر: التحرير والتنوير، ج ١٣/١٥٤.

(5) انظر: في ظلال القرآن، ج٤/٢١٧٩، بتصرف.

ولكنهم يرون أنه حق [(١)]. ووصفهم هذا ذكرته سابقًا، حيث جعلوا البنات لله، ولهم البنون، ومع ذلك يرون ﴿ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾، سواء كانوا البنين ، أو الجزاء والفضل الكبير من الله، وهذا ليس بمستغرب على الكافرين المعاندين؛ إذ قال الله عن صاحب الجنة: ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [(٢)]. والتعبير بـ ﴿ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾، وليس (بالحسنة)؛ لأن الحسنة مؤنث (الحسن)، والحسنى مؤنث (الأحسن) ؛ فهم بزعمهم يرون أنه ليس لهم العاقبة الحسنة؛ بل لهم العاقبة الحسنى، وتقديم الجار والمجرور في قوله: ﴿ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ ، أنه في زعمهم اختصاصهم بالحسنى وحدهم دون غيرهم [(٣)]، ولكن هل زعمهم في محله؟ كلا وربي، إذ يرد الله عليهم، فيقول: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾، بل لهم النار، وتقديم الجار والمجرور في قوله: ﴿ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾ تؤكّد اختصاصهم بالنار لا خصومهم، والتعبير بقوله: ﴿ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴾ ، أي مقدمون إلى النار، منسيون مضيعون لا قيمة لهم، متروكون في النار، خالدون مخلدون فيها، وهذه هي العاقبة اللائقة بهم. ويستمر التناسق يسير بدقة متناهية، وجودة عالية لا مثيل لها؛ فبعد أن بيَّن الله عقائدهم الباطلة، وضلالاتهم الساذجة، بيَّن أن هذه الأقاويل المستقبحة ليست ببدع من القول من قِبل مشركي مكة، وليست أفعالًا جديدة، ولكنها كانت في الأمم الغابرة ظاهرة واضحة، يقول الله تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [(٤)]. والتعبير بالقسم من الله لنبيه محمد ﷺ مناسب جدًّا لحال النبي ﷺ فهذه الأباطيل لا شك أنها كانت تؤذي الحبيب المصطفى؛ ولذا أقسم الله أن هذا حال أسلافهم من المشركين، فلا تبتئس يا محمد، فالله ـ جل جلاله ـ يُسلّي رسول الهدى، وفيه تشريف له كذلك، والقسم بقوله: ﴿ تَٱللَّهِ ﴾، واللام ، وقد، تأكيد وتشديد على أن الأمر مهم، وفيه تهديد قوي للكفار. والتعبير بقوله: ﴿ أَرْسَلْنَآ

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، ج٨/٤٢٠٣، بتصرف.

(٢) سورة الكهف، الآية ٣٦.

(٣) انظر: التفسير البياني، ج١/١٢٥.

(٤) سورة النحل، الآية ٦٣.

﴾ تعظيم لله العلي العظيم، وبيان أن الرسالة من عنده ـ سبحانه ـ فوجب الاهتمام بها، وتصديق من أتى بها من رسله ـ عليهم السلام ـ ولكن مع كل أسف، كان هناك في كل أمة من انحرف، فصار الشيطان يتبنى عقائدهم الباطلة، وأفكارهم القبيحة بتزيينه لهم هذه المعتقدات، وهذه الأفكار، فتكون في نظرهم حسنة، وهي قبيحة؛ بسبب تزيين الشيطان لهم. والتعبير بقوله: ﴿ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ﴾ توبيخ لهم، وسخرية بهم، فمن زينَ ووسوسَ لهم، أين هو الآن حتى ينصروهم؟ إنه يُعذّب كما يعذبون، هذا على معنى أن اليوم يوم القيامة، ومناسب جدًّا أن يكون معنى اليوم الدنيا، فيكون ناصرهم في الدنيا، وفي الآخرة ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾، وليس لهم الحسنى كما زعموا. ويستمر التناسق الموضوعي في سياق تسلسلي منطقي، وبعد أن بيَّن عقائدهم الباطلة، وترهاتهم المزيفة، وضلالاتهم الجاهلة، وشبهاتهم المهلكة؛ عقَّب ببيان الحكمة من إنزال القرآن الكريم على النبي الأعظم ﷺ ذلك القرآن الكاشف عن ضلالاتهم، والفاضح لعقائدهم الباطلة، والناصر لهدي النبي ﷺ وصحبه الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ رحمة منه ـ سبحانه ـ إذ يقول: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1]،والتعبير بقوله: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا ﴾ تعظيم لله ـ الكبير المتعال ـ وبيان لأهمية إنزال القرآن ومكانته. والتعبير بقوله: ﴿ عَلَيْكَ ﴾ خطاب للنبي ﷺ يشعر بتكريمه، وبيان وظيفته من خلال إنزال القرآن، فهو المعنيُّ بالتبليغ، والمأمور بالبيان للناس؛ لذا ناسب أن يُعقّب الله بقوله: ﴿ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ﴾، معبرًا بصيغة القصر للتنبيه على الغاية العظمى، والفائدة الكبرى من إنزاله، وهي البيان، وهو استثناء مفرغ [2] ،أي ما أنزلناه عليك لعلّةٍ من العلل إلا للتبين [3] .وكذلك ليست القضية من إنزال القرآن التسلية، وإنما كشف عقائد المشركين الباطلة وفضحها، وبيان الطريق الصحيح والقويم؛ ليهتدوا، فتعم الرحمة بهم؛ لمجانبتهم عقائد أهل الشرك، وتمسّكهم بهدي النبي ﷺ وهذا ما يُعلّل تقديم الهدى على الرحمة. والتعبير بتخصيص

---

[1] سورة النحل ،الآية ٦٤ .
[2] وهو أن لا يقع في الكلام موجب . انظر : شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك ،ج٢ص/٢١٩ .
[3] انظر : تفسير أبي السعود ، ج٤ص/١٣٢ بتصرف .

المؤمنين في قوله تعالى: ﴿لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾؛ لأنهم هم الذين قبلوا الحق، وساروا على الطريق المستقيم. والتعبير بالمضارع في قوله: ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾ يدلُّ على تجدد الإيمان واستمراره كلما نهلوا من معين القرآن الكريم قولًا وفعلًا. ومجمل الآية يدل على امتنان الله المنعم ـ سبحانه ـ علينا بإنزال الكتاب الحكيم على النبي الكريم؛ ليبين لنا ما فيه من حلال فنحله، وما فيه من حرام فنحرمه، مؤتمرين بأمره، منتهين عن نهيه، مهتدين بهداه؛ رجاء رحمة الله، وهذه من أكبر النعم وأجلها وأعظمها، وكأن السياق يعود بنا مجددًا لتعداد النعم، لاسيما وأن هذه السورة هي سورة النعم، ويلفت انتباهنا إلى القضية الأهم، وهي قضية التوحيد، وتأليه الله وحده دون سواه، وصرف العبادة للإله الواحد، لا للأصنام والأوثان التي كانت آلهة مزعومة، اتخذها المشركون من دون الله، رغم ما ساقه الله وما يسوقه من أدلة وبراهين ومؤكدات، تدل على أنه الإله الواحد الأحد.

الموضوع الثاني عشر: من دلائل القدرة الإلهية والتوحيد ومظاهر النعم على الناس ويشمل الآيات (٦٥ - ٦٩):

النص القرآني قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَـٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [١].

وبعد أن ذكر ـ سبحانه ـ عقائدهم الشركية الباطلة، بدأ هنا بذكر دلائل قدرته الإلهية الدالة على توحيده، مع سرد مظاهر نعمه. ولما كان الكلام في الآية السابقة يتحدَّث عن القرآن العظيم الذي فيه البيان والهدى والرحمة، وبه تكون حياة القلوب، ناسب أن يذكر المطر المُنزّل من السماء، لتحيا به الأرض الميتة [٢]، على وجه الشمول لكل ما عليها ومن عليها [٣]، يقول الله ـ تبارك وتعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [٤]. والتعبير بلفظ الجلالة ﴿ وَٱللَّهُ ﴾ مظهرًا دون إضمار؛ لأن المقام مقام انفراده بالخلق والإنعام، وحده دون سواه [٥]، وإشعار بعظمة الأمر الذي سيتكلم فيه. إنه إنزال المطر، وتقديم ﴿ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ على ﴿ مَآءً ﴾، تشويق إلى المؤخر [٦]،

---

[١] سورة النحل من الآية ٦٥ إلى الآية ٦٩.

[٢] انظر: تفسير ابن كثير، ج٤/٥٨٠، بتصرف.

[٣] انظر: في ظلال القرآن، ج٤/٢١٨٠.

[٤] سورة النحل، الآية ٦٥.

[٥] انظر: التحرير والتنوير ج١٣/١٥٨، بتصرف.

[٦] انظر: تفسير أبي السعود ج٤/١٣٢.

والتعبير بقوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾، بيان لصنعه حتى يوحَّد ـ سبحانه ـ فهو ينزّل المطر من السماء ليحيي الأرض بعد موتها، والتعبير بقوله: ﴿ فَأَحۡيَا ﴾، تأكيد على سرعة الإحياء؛ فما أن ينزل المطر إلا وتصبح الأرض حية، والحياة للأرض استعارة وتشبيه بالحيوان. وعلامة حياة الأرض إنباتها مخضرة مهتزة رابية، وإماتتها غبرتها، وكونها هامدة لا حياة فيها [1]، وفيها تأكيد على كمال قدرته ـ سبحانه ـ وبيان نعمته على الأرض ومن فيها بإنزال المطر، وإنعاشها بالحياة. والتعبير بقوله ـ سبحانه تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً ﴾، دلالة على البعث، وكأنها إشارة وتعريض لمن أنكر البعث بالدليل القاطع الذي يرونه بأم أعينهم، وتنبيه لهم لكي يوحدوا الله، ويتركوا أصنامهم التي لا تقدر على إنزال المطر، وإحياء الأرض. والتعبير بقوله: ﴿ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴾، إشارة إلى أن ذلك لا يحتاج إلى كثير نظر، وكبير تفكر، وإنما يكفي سماع القول فقط [2]. ويسير التناسق الموضوعي في نمط رائع، وفي تناسب بديع، وكما تحيا الأرض بإنزال المطر، فكذلك إحياء الناس بألبان الأنعام، ولم يأت هذا اللبن إلا بعد قدرة الله بإنزاله المطر، فحييت به الأرض، فخرج المرعى خضرًا، فأكلت منه الأنعام وتغذت عليه، فخرج منها اللبن الذي عاش عليه الناس [3]، وكأن ما ذُكر سابقًا أمر عام، يتبعه تفاصيل تنشأ عنه، فيها من الأدلة المقررة، والبراهين المؤكدة على عجائب قدرته، ولطائف صنعته، وعظيم نعمائه، فبدأ بنعمة ملاصقة لهم، وأثرها عليهم كبير في عيشهم، وقوام حياتهم [4]، فقال المنعم تبارك وتعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ٦٦ ﴾ [5].

والتعبير بقوله تعالى:﴿ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗ ﴾ ، التفات من الغيبة إلى الخطاب، والجملة التي تسبقها في الآية السابقة ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴾، كان الصيغة فيها صيغة غيبة، فالتفت في الجملة التي تليها إلى خطابهم؛ إشعارًا بأهمية نعمة استخراج اللبن من أنعامهم،

---

[1] انظر: تفسير ابن عطية، ج٤/١٧٩، بتصرف.

[2] انظر: المرجع السابق .

[3] انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/١٦٠، بتصرف.

[4] انظر: نظم الدرر ج٤/٢٨٣، بتصرف.

[5] سورة النحل، الآية ٦٦.

التي هي ملازمة ومرابطة لهم، كالإبل والبقر والغنم والمعز، وهي معطوفة عليها، ويكون المعنى: مثلما كان لقوم يسمعون عبرة في إنزال المطر لكم أيضًا في الأنعام عبرة [١]. ومعنى قوله: ﴿ لَعِبْرَةً ﴾، أن هذه النعمة دليل على عظمته وقدرته، واستحقاقه للعبادة دون سواه، وتسخير تلك الأنعام لأصحابها، وتمرد أهل الشرك على ربهم، وعدم انقيادهم إليه، رغم أن من سخرها هو الله الواحد الأحد، لا شك أنها من أعظم العبر[٢]. ومعنى قوله ـ سبحانه وتعالى: ﴿ نُّسْقِيكُم ﴾، نبيح لكم شرب ما في بطون الأنعام [٣]، وهذا امتنان من العظيم المنان. والتعبير بالجمع تعظيم لله العلي العظيم، وجملة: ﴿ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ ﴾ موضحة ومبينة ومفسرة لجملة: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ﴾، فأتت دون عطف، وفي هذا لفتة بلاغية، وهي أن بين الجملتين كمال اتصال[٤]. وكثر الكلام في قوله تعال : ﴿ فِي بُطُونِهِ ﴾ لماذا ذكّر، ولم يؤنث؟

حيث اختلفوا في عود الضمير، والكلام موجود في كتب التفسير واللغة، فلا معنى لذكره هنا، ولكن أرى أن المقصود بالبطون هنا، أن اللبن له أماكن وبطون خاصة به، يخرج منها اللبن من خلال الضروع؛ لذا قال ـ سبحانه ـ بعد ذلك: ﴿ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا ﴾ ، فهذا لا يعني أن معنى ﴿ بَيْنِ ﴾ الظرفية المكانية، وإنما بمعنى الوسط بين مرتبتين، كقولهم: الشجاعة صفة بين التهور والجبن، ولكن التعبير جاء موافقًا لأفهام الناس، وهي ولا شك من بلاغة القرآن الرائعة [٥]. ثم إن هذا اللبن يخرج أبيض نقيًّا، لا فيه مخالطة الروث وعفونته، ولا الدم وحمرته؛ لأن كلًّا من الروث والدم واللبن له مجراهم الخاص به، حيث يجري الدم في العروق، واللبن في الضروع، والفرث في الكروش، ولو قسنا هذا الكلام على النساء والرجال، باستثناء اللبن، لوجدنا أن الإنسان إذا

---

[١] انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/١٦٠، بتصرف.

[٢] انظر: تفسير القرطبي، ج١٠/١٢٢، بتصرف.

[٣] انظر: تفسير الماوردي، ج٣/١٩٧.

[٤] انظر: التفسير البياني، ج١/١٣٣.

[٥] انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/١٦٠.

أكل، فإن ما ينفعه يبقى في جسمه من خلال تحوله إلى دم في عروقه، وما يضره يتحول إلى فضلات، ولدى الأنثى يتحوّل الغذاء إلى لبن يخرج من الثدي. ويعد هذا إبداعًا من الخالق في خلقه، وجب التأمل والتفكر عنده، وأخذ العبرة والعظة، فسبحان الله الخالق العظيم! والتعبير بقوله تعالى: ﴿ خَالِصًا ﴾ أي، لا يشوبه شائبة، ولا يعكره معكر، فلا دم يغير لونه للحمرة، فهو أبيض، ولا روث يغير طعمه ويعفنه؛ لذا قال بعد ذلك: ﴿ سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾، فهو مستساغ لكل من يشربه، سهل سريع الهضم والتمثيل، لا تعافه النفس، ولم نسمع أحدًا غص بلبن [1]، فلله الحمد المنعم المعطي. ويستمر التناسق الموضوعي في سياق بديع، فبعد أن ذكر المنعم اللبن، وإنعامه على الناس به، بأن جعله سائغًا للشاربين بخروجه أبيض نقيًّا تستسيغه النفوس، ناسب أن يُثني بذكر أشربة أخرى، يتخذها الناس شرابًا مستخلصًا من ثمرات النخيل والأعناب[2]. وكذلك من أروع التناسب بين هذه الآية وما سبقها، أن اللبن ماء، وكذلك ما يُستخلص من الثمرات والأعناب ماء أيضًا، وضغطهما باليد حين استخراجهما، ولهذا فقد أطلق العرب الحلب على عصير الخمر والنبيذ [3]، قال حسان [4] يذكر الخمر الممزوجة والخالصة:

كلتاهما حلب العصير فعاطني ... بزجاجة أرخاهما للمفصل [5]

ومع التطور الحاصل في شتى الميادين في زماننا هذا، وجدت الآلات التي تعصر الفواكه وتجعلها مشروبًا، وكذلك الآلات التي تُركَّب في ضروع الأنعام لتخرج لبنًا، وكلتا الآلتين تضغط كضغط اليد، ليخرج العصير واللبن. وعلى كل حال، فالمقصود امتنان الله علينا بنعمه التي لا تعد ولا تحصى؛ تأكيدًا ودلالة على قدرته وعظمته، وعلى استحقاقه

---

(1) انظر: تفسير الماوردي ج٣/١٩٧، بتصرف.

(2) انظر: تفسير ابن كثير، ج٤/٥٨١.

(3) انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/١٦٢.

(4) وهو: حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد: الصحابي، شاعر النبي ﷺ وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام. عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام. وكان من سكان المدينة (٥٤هـ = ٠٠٠ - ٦٧٤ م) . انظر: الأعلام ج٢/١٧٥.

(5) انظر: ديوان حسان بن ثابت، ج١/١٦٥.

للعبادة وحده دون سواه. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ﴾، يفيد أنها للتبعيض، حتى لا يفهم أن ثمرات النخيل والأعناب مخصصة للشرب، فهي أيضًا صالحة للأكل، وهذا امتنان آخر من المنان العظيم. والتعبير بقوله: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ ﴾ هكذا دون ذكر لغيرهما، رغم أن غيرهما فيه الرزق الحسن والسكر، ويرجع ذلك لعظمهما، وأهمية فوائدهما الغذائية عن غيرهما، فهما غذاء ودواء لا يمكن الاستغناء عنهما، و إحلال ثمر غيرهما مكانهما؛ لذا خُصَّا بالتنبيه عليهما [1]. وبين قوله تعالى: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ لطيفة بلاغية، وهي: كمال اتصال بينهما؛ لذا لم يقع العطف. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ تَتَّخِذُونَ ﴾، إسناد الأمر إليهم، بخلاف اللبن في الآية السابقة، فالأمر مسند إليه ـ سبحانه ـ وذلك توطئة وتنبيه لهم لأمر مهم، فهم عندما يتصرفون، يجب أن يُميِّزوا الحق من الباطل، ويحسنوا استخدام ما أوكلوا به. والتعبير بقوله ـ بعد ذلك: ﴿ مِنْهُ ﴾ ، أي تتخذون بعض تلك الثمرات ﴿ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ ـ وكما أسلفت ـ فإن الله عندما أسند الاتخاذ إليهم، نبههم بشكل لطيف على عدم تجاوز الحد، والخروج عن المفيد، والتقيد بالنافع؛ بدليل أنه وصف الرزق بالحسن، ويبيِّن هذا أن السكر ليس بحسن؛ لأنه الخمر التي تذهب بالعقل، وهي إشارة تحذيرية أولى تومئ إلى تدرج تشريعي في تحريم الخمر، الذي كان حلالًا، وأصبح محرمًا فيما بعد. وختم الآية بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾، أي: أن اللبن الذي أخرجه الله صافيًا مستساغًا تشربونه، وتشربون من ثمرات النخيل والأعناب، وفي ذلك علامة لمن استخدم عقله على عظم الله وقدرته، وعلى أنه المنعم المستحق للعبادة، وذكر العقل هنا له مناسبة واضحة، فالسكر يذهب العقل، والامتناع عنه يحفظ العقل؛ فناسب أن يذكره [2]. والتعبير بالمضارع في قوله: ﴿ يَعْقِلُونَ ﴾، يفيد التجدد والاستمرار لاستخدام عقولهم في كل أمر يعرض لهم في دينهم ودنياهم. وتستمر العبرة تتلوها العبرة، والامتنان يعقبه الامتنان، فبعد أن ذكر إخراج اللبن من ضروع الأنعام بقدرة فائقة، وحكمة عالية، ودلالة بارعة، ودل الناس على

---

(1) انظر: أحكام القرآن لابن العربي، ج٥/١٧٣، بتصرف.

(2) انظر: تفسير ابن كثير، ج٤/٥٨١، بتصرف.

اتخاذ السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب، ثلَّث بعبرة أخرى، مغيرًا أسلوبه فيها، حيث عبَّر بالوحي إلى النحل، وما ينتج عن ذلك من نتائج باهرة، وعجائب ظاهرة، إذ قال: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [١]. وكل ذلك إشارة إلى عظمته، وعلى استحقاقه للعبادة، ووجوب توحيده، وبيان لعظيم نعمائه، وكريم امتنانه. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ ، فيه إشارة أن إلهام النحل فيه من العجائب، والإحكام والإتقان بشكل دقيق عجيب في تكوين بيوتها على أشكال سداسية متصلة لا انقطاع بينها، حتى صارت كأنها قطعة واحدة، وهذا من العجائب، أقصد أن تكون سداسية الشكل، فالمثلث إلى المعشر ـ عدا السداسي ـ إذا جمع كل أحد إلى أمثاله، لم يتصل، وكان بينهما فرج، وبالتالي تفقد الحماية بين أجزائه [٢]، فسبحان الله القادر! وعبَّر بعد ذلك بقوله: ﴿ رَبُّكَ ﴾؛ لأن سياق الآيات سياق امتنان، فناسب أن يذكر ذلك تأنيسا للنبي ﷺ وللأمة ، وكذلك مناسبة لسياق الإلهام والعناية بهذه الحشرة العجيبة. وسبب تسمية النحل بهذا الاسم؛ لأن الله ـ عز وجل- نحله العسل الذي يخرج منه [٣]، ولا شك أنها أعظم نحلة نحلها الله للنحل. والعجيب أن النحل ينحل العسل دون مقابل، فيأخذه الناس طعامًا وشرابًا ودواء، فما أعظم الله! وما أكرمه! ووحي الله إلى النحل مقصوده الأعظم ﴿ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾؛ لذا عبَّر بـ ﴿ أَنِ ﴾ ، لتكون مفسرة، فالإيحاء فيه معنى القول [٤]. ووحيه وإلهامه لها أن تتخذ بيوتًا من الجبال والشجر ومما يجعله الناس لها عروشًا. والتعبير باتخاذ البيوت للنحل؛ لأنها أول مرحلة من مراحل العيش الصافي الذي لا يكدره مكدر، ولا ينغصه منغص، فالمأوى أولًا، حتى يتم الإنتاج والعمل، وليس النحل مأمورًا باتخاذ كل جبل، وكل شجر، ولكن من بعضها، فمن هنا تبعيضية. ويستمر التناسق الموضوعي في سياق عجيب، فبعد أن ألهم الله ـ عز وجل ـ النحل أن تتخذ لها سكنًا ومأوى، بيَّن أن هناك غاية عظمى من خلال وسيلة السكن للنحل، وليس المقصود النوم والراحة، ولكن هنالك عمل مهم سيقوم به النحل، عمل في خدمة الناس والمجتمع إنه ـ

---

[١] سورة النحل، الآية ٦٨.

[٢] انظر: تفسير ابن العربي، ج٥/١٧٤، بتصرف.

[٣] انظر: تفسير الرازي، ج٢٠/٢٣٥، وتفسير القرطبي، ج١٠/١٣٣، وقد نسبا هذا القول للزجاج.

[٤] انظر: تفسير الزمخشري، ج٢/٦١٨، بتصرف.

سبحانه ـ يأذن لها إذنًا قدريًّا تسخيريًّا، أن تأكل من الثمرات، وهي بذلك تسلك الطرق التي ذللها الله لها، ثم تعود إلى بيوتها لتضع العسل، يقول الله – تعالى- مبينًا ذلك: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾[1]. والتعبير بـ ﴿ ثُمَّ ﴾ في بدء الآية؛ للإشارة إلى أن النحل حين تصنع بيوتها، تأخذ وقتًا طويلًا في ذلك، ويدلُّ هذا على إتقان البيوت وجودتها، ثم يلهمها بأكل الثمرات، ويشعر هذا أن كل ثمرة تمر عليها النحلة، تعدُّ غير ممنوعة عليها، وربما أفاد الأمر بأكل الثمرات، حتى يتنوع العسل. فالثمار تختلف عن بعضها ، سواء في الطعم، أو في اللون، أو في الرائحة، أو حتى في القيمة الغذائية. والتعبير بقوله ـ بعد ذلك: ﴿ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ ﴾ ، ومعناه الإسراع إلى بيوتك مطيعة، مذللة لك الطرق الموصلة إلى بيوتك لتضعي العسل. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ سُبُلَ رَبِّكِ ﴾، يفيد أنه هو المالك لها، والخالق لها، والميسر لها سلوك السبل ـ سبحانه وتعالى[2]. وهو بلا شك مزيد عناية ورعاية من الرب للنحل، بسيرها لأكل الثمرات، ثم عودتها إلى بيوتها، لا تحيد عنها قيد أنملة، بل تقفل راجعة إلى خليتها، حتى وإن ابتعدت عنها بمئات الأميال، فسبحان الله المتصرف في ملكه العظيم! والتعبير بصيغة الالتفات من الخطاب في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ ﴾، إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ ﴾ ؛ تنبيه على العبرة، وإظهار لتعداد النعمة، وإخبار عن قدرته ـ سبحانه وتعالى ـ وحكمته، وجودة وإتقان تدبيره لأحوال العالم كله، العلوي منه والسفلي، وكأنها إشارة للإنسان من الله بأنا ألهمنا هذا النحل لهذه العجائب، لهدف عجيب أيضًا، وهو إخراج النحل من بطون هذه الحشرات العجيبة [3]. والتعبير بقوله: ﴿ يَخۡرُجُ ﴾؛ لتجدد خروج العسل وتكراره واستمراره. والتعبير في قوله تعالى: ﴿ بُطُونِهَا ﴾ بالتأنيث؛ لأن الشغالات هن من

---

[1] سورة النحل، الآية ٦٩.
[2] انظر: تفسير ابن عطية، ج١٨٢/٤.
[3] انظر: تفسير الرازي، ج٢٣٨/٢٠ ، وتفسير القرطبي، ج١٣٥/١٠، بتصرف.

يقمن بذلك [٤]، وكذلك يوحي إلى أن إخراج العسل يكون من أدبارها، وقيل: هو قيء من أفواهها [١]. وعبَّر – سبحانه- عن العسل بالشراب في قوله: ﴿ شَرَابٌ ﴾ ، وذلك لأنه يُصرف في الأشربة أكثر من الأطعمة، وكذلك لأنه مائع [٢]، وربما عندما عبَّر الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن العسل بالشراب؛ لخروج سوائل أخرى ذات قيم غذائية وطبية

ترجع لنوع النبات [٣]. ويستمر السياق في الآية بشكل ملفت، فما كنه هذا الشراب، إنه شراب ﴿ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ ﴾ ، والتعبير باختلاف ألوانه يعد مكمن العبرة، ودلالة على عظيم القدرة ودقيق الحكمة، فالنحلة الواحدة قد تنتج ألوانًا مختلفة، كالأبيض، والأصفر، والأحمر، والجامد، والسائل، على حسب الثمرة التي تتغذى عليها، فسبحان الله العظيم! ويستمر السياق عن العسل، حيث عاد الضمير في قوله تعالى: ﴿ فِيهِ ﴾ على العسل، والتنكير في قوله تعالى: ﴿ شِفَآءٌ ﴾ ، تأكيد على عظمة الشفاء الذي يحصل للمريض عند التداوي به، ولا يعني هذا أنه شفاء لكل داء وسقم [٤]، وهذا امتنان عظيم من المنان الكريم على الناس: برهم وفاجرهم، ومسلمهم و كافرهم ، ودليل على عظمته وقدرته، وعلى استحقاقه للعبادة، فوحي الله للنحل وإلهامه لها باتخاذ بيوت لها من الجبال، ومن الشجر، ومما يبنيه الناس من أسقف وأبنية، ثم التوجيه الرباني لهذه الحشرات بأكل الثمرات بطريقة عجيبة فريدة، حيث تخرج من بيوتها التي قد بنتها، وتنطلق سالكة سبل ربها إلى بيوتها لا تفقدها، ولا تحيد عنها قيد أنملة، لتخرج ما في بطونها في تلك البيوت السداسية الشكل، ليستفيد الإنسان من هذا الشراب البديع، الذي اختلف لونه وتعدد ليستشفي به؛ أفلا نتفكر في ذلك؟ لذا ختم الله الآية بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، والتعبير بقوله: ﴿ إِنَّ ﴾ مؤكد، واللام في قوله: ﴿ لَآيَةً ﴾ مؤكد آخر على ما سبق، فالأمر مهم غاية

---

[٤] انظر: معالم الحياة العصرية من خلال سورة النحل، للدكتور/ محمد عبدالباقي فهمي ،ص/٤٤ .

[١] انظر: تفسير ابن كثير، ج٤/٥٨١.

[٢] انظر: تفسير ابن العربي، ج٥/١٧٤.

[٣] انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة للأستاذ الدكتور / عبدالله المصلح ، والدكتور / عبدالجواد الصاوي ، ص/١٣٦ .

[٤] انظر: تفسير الزمخشري، ج٢/٦١٨، بتصرف.

الأهميـة. والتعبيـر بالمضــارع فــي قولــه: ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ لــه مدلولــه، حيـث إن تفكـرهم دائـم مستمر لا ينقطع، ومتجدد متكرر[1]. وما سوق وحـي الله للنحـل إلا ليتفكـر النـاس فـي ذلـك، فـالله قد أوحـى إلـيهم بعبادتـه وحـده لا شـريك لـه، ولكـن المشـركين عبـدوا غيـره، وعنـدما استجاب النحل لوحي ربـه أنتج عسلًا وشـهدًا، والكفـار عنـدما عصـوا ربهـم، أنتجـوا ضـلالًا وأضلوا غيرهم؛ لذا أفلا يتفكرون، وإلى ربهم يعودون ويتوبون؟

---

[1] انظر: التفسير البياني، ج١/١٣٩، بتصرف.

الموضوع الثالث عشر: أحوال الناس وأطوارهم الدالة على خالقهم، ويشمل الآيات (٧٠ ـ ٧٤):

النص القرآني قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [1].

ذكر الله ـ فيما سبق ـ عجائب صنعه، وعظائم خلقه في إنعامه على الناس باللبن الأبيض الخالص النقي من ضروع الأنعام، وأغدق علينا الثمرات التي استخرج منها الإنسان السكر والرزق الحسن، وألهم النحل اتخاذ بيوت لها، لتنتج عسلًا مختلف الألوان، يكون فيه شفاء للإنسان، مستجيبة لوحي الله لها، مقارنًا بحال أولئك الكفرة الفجرة، الذين أوحي إليهم بشرع أن أعبدوا إلهًا واحدًا، ولكنهم أنتجوا الأعمال السيئة من كفر، ومكر، وصد الناس عن سبيل الله، وناسب هنا أن يذكر بعد ذلك، هذا الإنسان الذي أغدق عليه الكريم المنان من الأنعام، والثمرات، ونتاج النحل؛، فبدأ بتذكيره بأنه مخلوق خلقه الخلاق العظيم، وهو الذي يميته إن شاء في أي مرحلة من مراحل النمو، أو يطيل عمره، حتى يبلغ أرذل العمر، وهذا استدلال على وحدانيته، وتأكيد على تصرفه في خلقه، وعلى تفرده بربوبيته، وكمال قدرته. والتعبير في أول الآية بلفظ الجلالة له مراده؛ لأن سورة النحل منذ بدايتها، تبيِّن أن الله واحد أحد، لا شريك له ولا ولد، وتؤكّد بين الفينة والأخرى،

---

[1] سورة النحل من الآية ٧٠، وحتى الآية ٧٤.

سذاجة أقوال الكفار، وسخافة حججهم، وتؤكد أن المستحق للعبادة، هو الله الذي خلقكم، ودبَّر أموركم. والتعبير في قوله ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿ خَلَقَكُمْ ﴾ بصيغة الماضي، يدلُّ على أن الخلق قد تم، وهذا أول أحوال الإنسان، وهذا مبدأ الله معه؛ لذا وجب عليك توحيده وتعظيمه. والتعبير ـ بعد ذلك ـ بقوله: ﴿ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ﴾ للتفاوت بين الخلق والوفاة، وبين الحياة والموت. والتعبير بالمضارع للتأكيد على أن الوفاة تأتي فيما بعد، ويدل هذا أيضًا على أن الله إذا خلق مخلوقًا، ربما توفاه وهو في بطن أمه، بعد أن تكوَّن خلقه، سواء نُفخ فيه الروح أو لم يُنفخ، أو أمدَّ في عمره سنة أو سنوات، فيتوفاه إن أراد إما في مهده، وإما في طفولته، وإما في فتوته وشبابه، وإما عند بلوغ أشده، وإما أطال عمره، فأماته بعد أن يكون قد بلغ ﴿ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ ، فيهرم بدنه ويضعف عقله، ويصبح كالطفل، وهنا تناسق بين جمل الآية، وترابط عجيب، فهذا الذي يرد إلى أقل وأخس العمر يصير ـ بعد ذلك ـ ﴿ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ . والتعبير بالجملة السابقة، تفيد أن الله يرجعه كالطفل، يجهل ما يدور حوله، فلا يذكر شيئًا تعلمه، ولا يستفيد مما تعلمه، ويعني هذا أنه لن يعمل ولن ينتج(١).

والتعبير بقوله تعالى: ﴿ شَيْـًٔا ﴾ ، أي أي شيء ولو كان يسيرًا، وختم الآية بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ ، حيث إن فيه تناسبًا وتناسقًا موضوعيًّا، فالله يعلم الحكمة الداعية لخلقه الخلق، والتنوع في توفيهم، فمنهم من يتوفاه وهو في بطن أمه، ومنهم من يتوفاه في طفولته، ومنهم من يتوفاه في شبابه، ومنهم من يطيل عمره، إلى أن يكون في أرذل العمر، وهذه قدرة وعلم لا تكون إلا من الإله العليم القدير، محيي العظام وهي رميم ـ سبحانه وتعالى. وبعد أن استدل على حال الإنسان حين خلقه، وحين يميته على تفاوت، فإما يميته وهو في بطن أمه، وإما بعد أشهر من ولادته، وإما بعد سنة أو سنتين أو أكثر، وربما أمدَّ في عمره، حتى أوصله إلى أرذل العمر، ثم توفاه، ناسب أن يذكر ـ سبحانه ـ تفاوت الناس في أرزاقهم، فمنهم من فضَّله على غيره، وجعله من الأغنياء، ومنهم من جعله أقل بقليل، ومنهم من أفقره وقتَّر عليه، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ

(١) انظر: تفسير الماوردي، ج٣/٢٠٠، بتصرف.

﴿ ٧١ ﴾[1]. والتعبير بإسناد الرزق إلى الله، وجعل من شاء غنيًّا، ومن شاء فقيرًا؛ للتأكيد على أن أسباب هذا الأمر خارجة عن تصور البشر، فربما كان أذكى الناس وأعلمهم أشد فقرًا؛ لقلة مواهبه في جمع المال، وربما شخص آخر ليس لديه مكانة علمية، ولا يملك من الشهادات ما يؤهله لذلك، ولكنه أشد غنى. وفي الآية أيضًا امتنان من المنان العظيم، بتفضيل الله بعضنا على بعض، حيث إن الكل مرزوق، ولكن بتفاوت [2]. والتعبير بقوله ـ سبحانه وتعالى: ﴿ فِي ٱلرِّزۡقِۚ ﴾ ،يدل على أن التفضيل ليس تفضيلًا عامًا، وإنما تفضيل خاص بالرزق، وهذا التفضيل لا قيمة له عند الله، إلا إذا كان المفضل رجلًا صالحًا يُنفق ماله آناء الليل وأطراف النهار في سبيل الله[3]. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ ﴾، تأكيد وإعلام على أن الرزق بيد الله، وأن تفضيل الحر على العبد، والمالك على المملوك، والغني على الفقير، ليس إلا من الرزاق المالك ـ سبحانه وتعالى ـ والتعبير بقوله تعالى: ﴿ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ ﴾، يدل على أن هؤلاء الذين رزقهم الله هذا الرزق، وأصبح لهم ملك يملكونه، لن يعطوا منه للعبيد، حتى لا يكونوا شركاء معهم؛ لذا عبَّر بقوله ـ سبحانه وتعالى:﴿ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ ﴾، فكيف يجعلون لله شركاء يعبدونهم كالملائكة، والجن، والأحجار، والأشجار، وغيرها من المعبودات التي اتخذوها آلهة يعبدونها مع الله، ولا يرضون أن يجعلوا عبيدهم شركاء فيما رزقهم الله؟ وهذا الإخبار فيه عبرة، وقاعدة يُبنى عليها المثل. وختم الآية بالاستفهام الإنكاري الموجه للمشركين حجة عليهم، إذ كيف يكفرون بنعمة الله، ويجحدون من أعطاهم هذه النعمة؟ وجحدهم هنا بجعل شركاء له في العبادة، والمنعم هو الله، فعندما يجعلون له ندًّا وشريكًا، فكأنهم يضيفون للأصنام بعض الخيرات والنعم بعبادتهم لها، وهو مثل ـ كما أسلفت ـ إذ كيف لا ترضون أن يشترك خدمكم ومواليكم في ملككم، وأزواجكم، وأنتم جعلتم عبيدي شركاء لي؟! [4] ويستمر السياق في تناسق منتظم، فبعد أن ذكر أحوال الناس بخلقهم، ثم إماتتهم بتفاوت في

---

[1] سورة النحل، الآية ٧١.

[2] انظر: تفسير الرازي، ج٢٠/٢٤٢، والتحرير والتنوير، ج١٣/١٧١، بتصرف.

[3] انظر: التفسير البياني، ج١/١٤٣، بتصرف.

[4] انظر: تفسير الزمخشري ج٢/٦٢٠، بتصرف.

أعمارهم بعلمه وكمال قدرته، ثم ثنَّى بتفضيله للناس في الرزق، ورفض مشاركة الفقراء في أموال الأغنياء، ومع ذلك جعلوا لله شركاء في ملكه، فناسب أن يُثلِّث هنا ببيان أطوار الإنسان، وبيان حاله؛ ليدلل على استحقاقه للعبادة؛ لأنه الخالق الموجد ـ جل جلاله ـ وتنبيهًا وإعلامًا على آلائه العظام التي جعلها للناس، فقال سبحانه : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[1]. والتعبير بقوله: ﴿ وَٱللَّهُ ﴾، إعظام لله، وتأكيد على اختصاصه ـ وحده دون سواه ـ بخلق الرجال والنساء من جنس واحد، وهي تهيئة عظيمة، حتى يأنس بعضهم ببعض، فيتم التزاوج بين ذكر وأنثى، وينتجان معا ذكورًا وإناثًا. ويستمر السياق، فبعد هذا الزواج بين الذكر والأنثى، يأتي البنون؛ لذا عبَّر بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ ﴾. وهؤلاء الأبناء يكبرون، ويتزوجون ببنات، وينجبون أيضًا بنين لهم وحفدة بالنسبة لأجدادهم؛ لذا عبَّر بعد البنين بقوله تعالى: (وحفدة). والذي ألمسه هنا، أن التعبير متوجه للرجال، وما ذلك إلا لأن الرجال هم الآخذون بزمام الأمور، ولو لم يبادر الرجل إلى الزواج؛ لانقطع نسله، ولم يكن له أبناء ولا حفدة، وأيضًا هو تذكير بإنعامه عليهم. ومعلوم أن من تزوَّج، فإنه يحتاج للمال، وبعدم المال أو ندرته، ربما لا يتزوج، فضلًا عن أن يقيم بيتًا؛ لذا ناسب أن يذكر الله بعد ذلك الرزق، فقال: ﴿ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ﴾. والتعبير بختم الآية بقوله تعالى: ﴿ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ استفهام إنكاري مقصوده التوبيخ، والتعبير بتقديم الباطل على ﴿يُؤْمِنُونَ ﴾، تأكيد على أن اعتقادهم الباطل، كان ديدنهم ومنهجهم، وباطلهم، وقد تكلَّمت عنه السورة كثيرًا، فجعْلهم مع الله آلهة أخرى، لا تضر ولا تنفع، ومحاربتهم لله ورسله وكتبه، وغيرها من ترهاتهم التي أشرت إليها؛ لا شك أنها هي الباطل الذي آمنوا به، وهم حينئذ جاحدون لنعم الله التي لا تعد ولا تحصى، وكونهم لم يعبدوا الله؛ فالنتيجة الحتمية عدم الاعتراف بنعمه وكفرها، وتقديم النعمة، وتوسط ضمير الفصل، توضيح على أن كفرهم مختص بذلك، وتأكيد وتدليل على كفرهم

---

[1] سورة النحل، الآية ٧٢.

بالنعمة [1]. وبعد أن سرد الله أحوالهم، وخلقهم، واختلاف زمان قبض أرواحهم، وتفضيل بعضهم على بعض فيما رزقهم، وعدم رغبتهم في إشراك مماليكهم في ملكهم، الذي هو في حقيقة الأمر رزق من الله لهم، وبعد أن سرد أطوارهم، من تزويج الذكر بالأنثى، والإنعام عليهم بالبنين والحفدة، ومع كل هذه النعم، إلا أنهم مع كل أسف، صرفوا العبادة لمن لم يرزقهم، قال الله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [2]. وحرف العطف يؤكّد التناسق الموضوعي، ويظهر التناسب، فإيمانهم بالباطل جعلهم كافرين بنعمة الله، وزيادة على ذلك، توجهوا بصرف العبادة لغيره سبحانه، رغم أن المستحق للعبادة، هو الله، وعلى أقل الأحوال، يعبدونه لأجل إسباغه النعم عليهم. والتعبير بالمضارع في قوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ ﴾ ، يفيد الاستمرارية والتكرار، وتجدد عبادتهم لغير الله، تلك الآلهة المزعومة التي لا ترزق نفسها، فضلًا عن أن ترزق غيرها ممن عبدها، أو غير العابدين لها؛ لذا عبَّر الله عن ذلك بقوله: ﴿ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا ﴾ ؛ فالرازق هو الله ـ سبحانه وتعالى ـ والتعبير بقوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ؛ مراعاة لأفهام البشر، فمن المعلوم أن الرزق من السماء يكون مطرًا، ومن الأرض إنبات النبات؛ ليكون للإنسان والحيوان، ثم إن هذا الرزق لا يمكن أن يأتي إلا من السماء والأرض، والتعبير بذلك للتعجيز، فإذا كانت آلهتهم لا ترزقهم من السماء ولا من الأرض، فمن أين إذن؟! والتعبير بقوله تعالى: ﴿ شَيْـًٔا ﴾ ، تأكيد على عجز آلهتهم أن ترزقهم بأحقر ما يمكن من الرزق. والتعبير بقوله: ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ ، يفيد بأن الأصنام لا تملك الرزق، ولن تستطيعه. وبعد بيان إيمانهم بالباطل، وجحد نعمة العزيز الوهاب، وعبادتهم لأصنامهم التي لا تضر ولا تنفع، فضلًا عن أن ترزقهم، يبيِّن هنا ـ سبحانه وتعالى- أن قياسهم الذي قاسوه حينما عبدوا الأصنام قياس باطل، وذلك أنهم ساووا بين المخلوقات والخالق ـ تعالى عن ذلك علوًا كبيرًا ـ وجعلوا تلك الجمادات مشابهة ومماثلة لله المنعم الواحد الأحد؛ لذا نهاهم الله عن ضرب تلك الأمثال الساذجة، فقال: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا

---

(1) انظر: تفسير الشوكاني، ج٤/٢٤٢، بتصرف.

(2) سورة النحل، الآية ٧٣.

﴿ تَعۡلَمُونَ ٧٤ ﴾[1]. والتعبير بالفاء في قوله: ﴿ فَلَا ﴾؛ للدلالة على ما أعده لهم من النعم، وأن الذي جعلوه مع الله شريكًا، لا يستطيع رزق نفسه، فضلًا عن أن يرزقهم. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ ﴾، التفات من الغيبة في الآية السابقة، إلى الخطاب هنا؛ للتأكيد على أهمية النهي عن الإشراك بالله وعظمه وجرمه. والتعبير بضرب الأمثال ليدل على النهي عن تشبيه الله بأي شأن من الشؤون؛ لأن الهدف من ضرب المثل تشبيه حال بحال [2]، وتقديم الجار والمجرور ﴿ لِلَّهِ ﴾؛ لأن محور ضرب الأمثال، هو الله لا أحد غيره [3].

والتعبير بقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ ﴾، تأكيد على علم العليم ـ سبحانه- وتعليل للنهي عن ضرب الأمثال. والتعبير بقوله ـ سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾، تأكيد على تهديد من ضرب لله الأشباه والنظائر، بأنه لا يعلم عقابه، ولا ضربه المثل، بل العلام هو الله ـ سبحانه ـ وبيان أن أصنامكم التي اتخذتموها آلهة لا تعلم، فكيف تشركونها مع الله في العبادة؟

---

(1) سورة النحل، الآية ٧٤.

(2) انظر: تفسير أبي السعود، ج٤/١٣٩، بتصرف.

(3) انظر: التفسير البياني، ج١/١٤٩، بتصرف.

الموضوع الرابع عشر: الاستدلال على وحدانية الله تعالى بضرب الأمثال وعلمه للغيب، ويشمل الآيات (٧٥ ـ ٧٧):

النص القرآني قال تعالى: ﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرًّا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٧٧﴾ ﴾[١].

وبعد أن بيَّن الله فهمهم الخاطئ، ودحض شبهتهم في ضربهم الأمثال، وهذا الفهم ـ كما بينا ـ يكمن في مساواتهم الآلهة المزعومة بالإله الحق، وذلك حين عبدوها من دون الله، فنهاهم عن تشبيهه بغيره، مبطلًا هذا القياس الذي جرهم إلى عبادة غير الله، مؤكدًا عدم علمهم، وأنه الذي يعلم كل شيء؛ ناسب أن يعقّب بعد ذلك بقوله ـ عز وجل: ﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدًا مَّمۡلُوكًا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرًّا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾[٢]، ليقيم الدليل على علمه بأن أمثاله التي يضربها لا يتطرَّق إليها الطعن، ولا يمكن أن يتطرق إليها الشك[٣]. ثم إنكم لا تجعلون مساواة بين العبد المملوك، الذي لا يملك قدرة على التصرف في المال، وبين الحر الذي رزقه الله المال، ينفقه ويتصرف فيه كيف شاء، فكيف تساوون بين الله الخالق، وآلهتكم التي لا تستطيع رزق نفسها، فضلًا عن أن ترزقكم؟! وهذا هو المناسب للسياق، والمتمم للتناسق، والتعبير بالمثل مبهمًا في أول الأمر، يعدُّ تنبيهًا وبيانًا لفخامة الأمر

---

[١] سورة النحل من الآية ٧٥، وحتى الآية ٧٧.

[٢] سورة النحل، الآية ٧٥.

[٣] انظر: نظم الدرر، ج٤/٢٩٢، بتصرف.

وعظمه، والذي فسَّره لاحقًا بقوله: ﴿ عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ﴾. والتعبير بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ عَبْدًا مَّمْلُوكًا ﴾، تخصيص ذلك العبد بكونه مملوكًا [1]؛ لأن الكل عبيد لله، ولكن عندما خصصه بقوله: (مملوكًا)، اتضحت الصورة، ومما يؤكد الصورة، ويزيدها وضوحًا، تعقيبه بعد ذلك بقوله: ﴿ لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾، فهو عبد مملوك عاجز عن التصرف، وعجزه هذا هو أبلغ العجز، وهو تمامًا كأصنامهم لا تملك، ولا تستطيع أن تملك، فضلًا عن أن تُملّك. والتعبير بقوله: ﴿ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ ، أي شيء ولو كان قليلًا، بل أقل من القليل، وهذا هو الطرف الأول الذي مثَّل به الله، وأما الطرف الثاني؛ فهو الذي عبَّر الله عنه بقوله: ﴿ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ﴾. والتعبير به هكذا دون ذكر كلمة (عبد) تأكيد على أنه ليس مملوكًا، وأن المقصود بالعبودية هنا عدم الحرية. والقسم الثاني هو الحر القادر على التصرف بالمال، الذي رزقه الله به، والتعبير بقوله تعالى: ﴿ وَمَن ﴾ تدليل وتوضيح لمقابل القسم الأول. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ وَمَن رَّزَقْنَاهُ ﴾؛ تعظيم لله الرازق الذي رزقه. والتعبير بقوله سبحانه: ﴿ مِنَّا ﴾ تأكيد على أن الرزق من الله – سبحانه- لا من الإنسان، حتى وإن كان حرًّا، وتذكير للكفار بأن الذي يرزق هو الله لا أصنامكم، وإلا فأهل الإيمان يعلمون تمام العلم، أن الرزق لا يأتي إلا من الله. والتعبير بوصف الرزق بكونه حسنًا في قوله - جل وعز: ﴿ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ ، تأكيد على كونه حلالًا، سواء كان كثيرًا أم قليلًا[2]. والتعبير بالفاء عقب ذلك في قوله تعالى: ﴿ فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ﴾ ؛ لبيان ترتيب الإنفاق في ذلك الرزق، والتعبير ببيان حال إنفاقه سرًّا وجهرًا، إنما هو لبيان عموم الإنفاق في الأوقات، ويومئ هذا إلى أن هذا الرجل ماله كثير، ومن كثرته إنفاقه سرًّا وجهرًا، وتقديم السر على الجهر في الإنفاق، إشعار بفضيلته، وعظم أجره [1]. وبعد أن ذكر العبد الذي لا

---

[1] انظر: تفسير القرطبي، ج١٠/١٤٦، بتصرف.

[2] انظر: تفسير الرازي، ج٢٠/٢٤٦.

[1] انظر: تفسير الشوكاني، ج٤/٢٤٨، بتصرف.

يقدر على شيء، والحر القادر على الإنفاق في عموم الأوقات، ناسب أن يبيّن النتيجة الموضحة لحاليهما، فقال: ﴿ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ﴾، أي والله ما يستويان [٢]، وهو استفهام إنكاري، فإذا علمتم أن العبد الذي لا يقدر على شيء، والحر الذي ينفق سرًّا وجهرًا بينهما بون شاسع، وفرق واسع ؛ فكذلك الله لا يشبهه أحد أبدًا، لا آلهتكم، ولا أي شيء آخر ـ سبحانه وتعالى ـ الواحد الأحد الفرد الصمد. والتعبير بقوله ـ سبحانه وتعالى ـ عقب ذلك: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾، تأكيد لنفي التساوي؛ فكأنهم بعد استماعهم لهذا المثل المضروب، أقروا به، وأيقنوا بعدم المساواة؛ لذا عبَّر بالحمد [٣]، ولكن الذين أيقنوا قلة، وأكثرهم لم يعلم؛ لذا ختم الآية بقوله ـ سبحانه وتعالى: ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾. ولأن أكثرهم لم يعقل، ولم يفهم المقصود من ضرب المثل، ولأن الهدف الأسمى هو صرف الناس إلى عبادة الله وتوحيده؛ ناسب أن يضرب مثلًا آخر لعل وعسى، حيث قال الله ـ سبحانه وتعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾[٤].

والتعبير بالواو في بدء الآية، تأكيد على استمرار السياق، وإظهار للتناسق الموضوعي، أي وضرب الله مثلًا آخر؛ تدليلًا على قياس الكفار الخاطئ في تسويتهم آلهتهم بالله ـ عز شأنه وتقدست أسماؤه ـ والتعبير بلفظ الجلالة ﴿ ٱللَّهُ ﴾ ظاهرا بالنصب، رغم العطف بين هذه الآية والتي تسبقها، ورغم دلالة السياق دليل على تفخيم المثل المضروب[٥]. وأيضًا إبهام المثل، ثم تفسيره في قوله تعالى: ﴿ رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾، تفخيم وتعظيم للمثل المضروب، والطرف الأول من هذين الرجلين، أنه ﴿

---

[٢] انظر: تفسير الطبري، ج١٧/٢٦٠.

[٣] انظر: زهرة التفاسير، ج٨/٤٢٢٣، بتصرف .

[٤] سورة النحل، الآية ٧٦.

[٥] انظر: التفسير البياني، ج١/١٥١، بتصرف.

﴿أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ﴾، والتعبير بكونه ﴿أَبۡكَمُ﴾ لا يفهم ولا يُفهم، ومن كان هذا حاله؛ فإنه ﴿لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾. والتعبير بقوله - سبحانه وتعالى: ﴿شَيۡءٖ﴾ أي شيء ولو كان قليلًا، وهذا يقودنا في تسلسل منطقي وتناسق موضوعي إلى أن من كان هذا حاله، فإن ﴿مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ﴾؛ فهو عالة وثقل على أهله ومن يعوله، وعندما يُرسل في إنجاز أمر، فلن تجده إلا خائبًا خاسرًا، وربما أحدث ضررًا، أو أوقع مشكلة كان وليه في غنى عنها، وهذه ولا شك هي حال أصنامهم التي جعلوها مساوية لله بعبادتهم لها، وهي جمادات لا تتحرك، ولا تتكلم. ولما كشف الله ضلالهم في تسويتهم أصنامهم - التي لا تملك لنفسها شيئًا، فضلًا عن أن تملك لعابديها - بالله الواحد الأحد، الذي له كل شيء؛ ناسب أن يُعقّب بسؤالهم سؤال توبيخ وإنكار عليهم بقوله - عز وجل: ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ﴾، ثم ذكر الرجل الآخر الذي جعله الله في هذا المثل الآخر، وهو ﴿وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾. والتعبير بالمضارع في قوله - تبارك وتعالى: ﴿يَأۡمُرُ﴾، يفيد تجدد واستمرار قول الحق والعدل من هذا الرجل الآخر. والتعبير بقوله: ﴿يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾، يدل على حرصه على الأمر بالمعروف، وبذل النصيحة لغيره، فهو لا ينتظر من وليه أن يوجهه، بل هو مقدام يسعى لبذل الخير للناس. والتعبير بقوله - سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾، تأكيد على أنه صالح في نفسه يقول ما يفعل، يأمر بالمعروف وهو فاعله، وينهى عن المنكر وهو متجنبه، وكأن الله يمثّل بنفسه هنا، فلا مساواة بين ما تعبدونه أيها الكفار، وبين الله العزيز الجبار - سبحانه وتعالى عما يشركون - وبعد أن ضرب الله مثلين؛ ليبين قياس الكفار الخاطئ في تسويتهم أصنامهم التي لا تضر ولا تنفع بالله الخالق، الكامل في علمه وقدرته، ناسب أن يُعقّب ببيان كماله في علمه وقدرته؛ تهديدًا وتنديدًا للكفار الذين لم يستجيبوا، حيث قال العليم القدير: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٧٧﴾[1]. والتعبير بلفظ الجلالة في صدر

---

(1) سورة النحل، الآية ٧٧.

الآيـة، إشـعار بأهميـة مـا سـيذكر بعـد ذلـك، ألا وهـو قولـه: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾، وهذا كمال العلم الذي اختص بـه الله ـ سبحانه ـ في سماواته وأرضـه. وكون الله يخبر أنـه عالم الغيب، فهذه إشارة إلى تهديد الكفار في أفعالهم الشركية، ومساواتهم غيره بـه ـ جل في علاه ـ والتعبير بقولـه تعـالى: ﴿ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ مناسب للسياق، فكون الله اختص بكمال العلم، فهو قادر على وقوع الساعة في طرفة عين، أو أسرع من ذلك، وتخصيص الساعة بالذكر، وكون أمرها عند القادر العليم كلمح البصر؛ دلالة على قدرته ـ سبحانه ـ فقيام الساعة أكبر الخطوب عند الناس، حيث تنتهي هذه الدنيا، وتبدأ مرحلة جديدة مختلفة كليًّا عن دنيا الناس. إن أمر الساعة لا يساوي شيئًا عند الله، ولكنها من أكبر المدلهمات عند البشر. وختم الآية بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾، وهو مناسب للسياق؛ لذا أكّد قدرته على إقامة القيامة في أسرع ما يمكن، بالجملة الاسمية السابقة، و﴿ إِنَّ ﴾ الدالة على تأكيد الخبر [٢]. وعودة وتذكير ببدء السورة ومستهلها، حين ذكر إيقاع أمره المتمثل في قيام الساعة، وهنا يؤكد أن هذا الإيقاع إذا أراد، فهو في لمح البصر لا يعجزه شيء، فكيف لا تنزهونه عن الند والشريك؟ وكيف لا تصرفون له العبادة ـ سبحانه وتعالى ؟ ولا يشك عاقل أن أمر الساعة أمر غيب، لا يعلمه إلا الله ـ تبارك وتعالى ـ فهو يعلم غيب السماوات والأرض، لا يخفى عليه خافية؛ لذا ناسب أن يسرد في الموضوع التالي علمه للغيب في أمور شتى، سنذكرها في الموضوع التالي بحول الله وقوته.

<u>الموضوع الخامس عشر: عود على بدء بتعداد النعم، ويشمل الآيات (٧٨ ـ ٨٣):</u>

---

[٢] انظر: زهرة التفاسير، ج٨/ ٤٢٢٨.

النص القرآني قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[١].

وبعد أن ذكر الله اختصاصه بعلم الغيب، وقدرته وحده دون سواه، أكمل علمه للغيب بأمور أخرى، فخلقه لنا أمر غيب آخر، ومؤكد على قدرته على خلقنا، وعلمه بكيفية وجودنا؛ فكيف تجعلون آلهتكم مساوية للخالق، وأنتم لا تعلمون كيف خلقكم أصلا؟ وكون هذه السورة هي سورة النعم والامتنان، عاد – سبحانه وتعالى- مجددًا ليسرد علينا نعمه الدالة على وجوده، ووحدانيته، واستحقاقه للعبادة، فقال ـ سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[٢]. والتعبير بلفظ الجلالة في مبتدأ الآية، تأكيد على اختصاص الله وحده دون غيره، والتعبير بقوله تعالى: ﴿ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ ﴾ أي جعلكم مستقلين عن أمهاتكم، معناه خارجين إلى حياة أخرى غير الحياة التي كنتم فيها داخل بطون أمهاتكم. ولا شك أن من يدخل على أمر من أمور الحياة، يكون غريبًا لا يعلم أي شيء، وهو قد بلغ من العمر مبلغه، فما بالكم بالمولود الذي خرج توًّا من بطن أمه، لا شك أنه لا يعلم شيئًا؛ لذا عبَّر

---

[١] سورة النحل من الآية ٧٨ ، وحتى الآية ٨٣ .

[٢] سورة النحل، الآية ٧٨.

عقب ذلك بقوله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾. والتعبير بقوله: ﴿شَيْـًٔا﴾ يفيد النفي لأي علم مهما كان، وإخراج الجنين من بطن أمه حيًّا، تعدُّ نعمة من نعم المنعم، فربما خرج ميتًا، وربما ماتت الأم حين الوضع، فخروجه سالمًا، لا شك أنها منة من المنان ـ سبحانه ـ ولإتمام النعمة بعد ذلك، ناسب أن يقول ـ سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾، فهذه الآلات التي جعلها الله لكم من سمع وأبصار وأفئدة لتزيل عنكم الجهل، وتتعلموا بعد أن كنتم لا تعلمون شيئًا [(1)]. وهذه النعم الثلاث من أعظم النعم، وهي متعلقة بكل لحظات الإنسان، وهي مُذكِّرة بشكر الله المنعم على هذه النعم، ومؤكدة لاختصاصه ويستمرالسياق في علم الغيب؛ لذا ناسب أن يختم الآية بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ تعداد النعم التي تدل على علمه وقدرته، والتي تظهر بجلاء عظمته، واستحقاقه العبادة دون سواه، وتفرده بعلم الغيب وحده. وقد ساق الله ـ فيما سبق ـ آياته في الإنسان، لعله يرتد عن غيه، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون؛ فناسب أن يسوق هنا الطير بمختلف أنواعه، وصنوف أشكاله، وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الإله الواحد الأحد، عالم الغيب، حيث يبيِّن لهم طيران تلك الطيور في الجو بقدرة القادر العليم؛ لعلهم يعملون نظرهم فيؤمنوا به ـ سبحانه وتعالى ـ حيث قال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [(2)]. والتعبير في صدر الآية بالاستفهام الإنكاري، منزلهم منزلة من لا يرى، رغم أنهم يرون تلك الطير، لأن رؤيتهم للطيور كانت خالية من النظر والاعتبار والتأمل؛ فكأنهم لا يرونها. والتعبير بقوله ـ سبحانه وتعالى: ﴿مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾، يدل على أن الله ذللها لتسير في الجو، وسخرها للناس، فالحمام الزاجل استخدمه الناس في إرسال الرسائل والتواصل فيما بينهم، وكذلك استخدام الناس للصقور في القنص والصيد، فسبحان من سخرها، وهي نعمة تُضاف إلى ما سبقها من النعم. والتعبير بإضافة الجو إلى السماء؛ لارتفاعه عن الأرض [(1)]. والتعبير بقوله ـ سبحانه وتعالى- عقب ذلك: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ﴾، للفت الأنظار إلى وحدانيته،

---

(1) انظر: تفسير الزمخشري، ج٢/٦٢٤، بتصرف.

(2) سورة النحل، الآية ٧٩.

(1) انظر: تفسير القرطبي، ج١٠/١٥٢.

وأنـه هو القـادر وحده دون سواه علـى إمسـاك تلك الطيـور فـي جميع الحـالات مـن قبض وبسط ، واصطفاف . وما نراه اليوم من إمساك الطائرات الضخمة في الجو مـاهو إلا دلالـة واضـحة علـى عظمـة الله وقوتـه ـ سبحانه وتعـالى ـ ؛بل إمساك السماوات أن تقع علـى الأرض دلالة على عظمته واستحقاقه العبادة لا غيره، وأن الله هو الممسك، حيث قـال الله ــ تبـارك وتعـالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١ ﴾ [٢]. وخـــتم الآيـــة بقولـــه تعـــالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ ، وهو مناسب لأول الآية، فالاستفهام الإنكاري في صدر الآية؛ لعدم الانتفاع بما يراه الكفار عيانًـا بيانًـا، من تلك الطير المسخرة في جو السماء. ويكون هنـاك سؤال حاضر في الذهن: هل كل البشر لم ينتفعوا ويؤمنوا بما يرونه من أعجوبة هذه الطيور التي تطير في جو السماء ولا تسقط ؟ فيأتي الجواب الشافي في ختام هذه الآية الكريمة، بأن هناك من آمن واتعظ بما شاهد، إنهم المؤمنون، والتعبير بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ﴾ ، تأكيد على أن الذي استفاد واتعظ من حالة الطير تلك، إنما هم المؤمنون، وعبَّر بقوله ـ سبحانه وتعالى: ﴿ لَأٓيَٰتٖ ﴾؛ لوجود أكثر من دلالة في طيران تلك الطيور، بل وتدريس ذلك العلم، وتأليف الكتب فيه، ولما في جسم الطائر من عجائب، جعلت من العلماء من يُقبل على دراسة خصائص ذلك الجسم. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ يُؤۡمِنُونَ ﴾ للتأكيد والدلالة على استمرار إيمانهم وتكرره عند مشاهدة تلك الطير، وهي تسير في جو السماء، والإيمان طبع وسجية فيهم، وهي كذلك منة أخرى لمن اتعظ واعتبر، وحرمان لمن لم يتدبر ويتأمل صنع الخالق، وقدرته ـ عز وجل. ويستمر السياق في تعداد النعم وبيانها، فبعد أن امتن الله علينا بإخراجنا من بطون أمهاتنا، ورزقنا السمع والبصر والفؤاد؛ إشارة منه إلى الاعتبار والاتعاظ، ولما كان هناك أمة من الناس لا يتعظون، ولا بآيات الله يعتبرون؛ فقد لفت نظرهم إلى الطير، وكيفية تسخيرها في جو السماء، ولكن هؤلاء الكفار مصرون على الصدِّ والعناد؛ فناسب هنا أن يلفت أنظارهم إلى بيوتهم التي جعلها الله لهم سكنًا، فقال

---

[٢] سورة فاطر، الآية ٤١.

سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٨٠ ﴾ [1].

والواو في بدء الآية واو عاطفة، وتعني اتصال هذه الآية بما قبلها من تعداد النعم من

المنعم ـ سبحانه وتعالى ـ والتعبير بلفظ الجلالة، تأكيد على أن المنعم المعطي، هو الله لا غيره، وعطيته هنا من أعظم العطايا، ومن أجزل الهبات، وهي حديث الناس اليوم: إنها نعمة السكن، حيث قال ممتنًا على الناس: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا ﴾، وهذا بيان لبيوت أهل القرى والمدن، والتعبير بقوله: ﴿ لَكُم ﴾ تأكيد على أنها خاصة بكم، وتنبيه على عنايته بكم أيها الناس، وتذكير بإسباغ نعمه، وأنها من الله المنعم الكريم. وبعد أن ذكر بيوت أهل القرى والمدن، ناسب أن يُعقّب بعد ذلك بذكر بيوت أهل البادية، والذين يتنقلون بين الفينة والأخرى؛ بحثًا عن الماء والكلأ لماشيتهم، فقال سبحانه: ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ ﴾، وهي مناسبة لهم في حلهم وترحالهم؛ لكثرة تنقلهم. ومن المعلوم أنهم لن يحصلوا على جلود الأنعام لصنع بيوتهم، إلا بعد ذبحها والتنعم بأكلها، وجعل الجلود بيوتًا لهم، فسبحان الله العظيم! ويستمر السياق في تناسق عجيب، فهذه الأنعام أيضًا تستفيدون منها في أمور أخرى، ومن ثم فقد عقّب بقوله: ﴿ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴾، والتعبير بقوله: ﴿ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا ﴾، أي من أصواف الضأن، وقوله: ﴿ وَأَوۡبَارِهَا ﴾، أي من أوبار الجمال، وقوله: ﴿ وَأَشۡعَارِهَآ ﴾، أي من أشعار الماعز؛ تتخذون فرشًا وأثاثًا تتمتعون به إلى ما شاء الله. وبعد أن ذكر إخراجنا من بطون أمهاتنا، ورزقنا السمع والبصر والفؤاد، وسخَّر الطير يسبح في جو السماء، مسخرًا للناس ينتفعون به، وإنعامه بالبيوت لنتخذها سكنًا، سواء أكانت بيوتا لأهل المدن والقرى، أو بيوت لأهل البادية، تناسب تنقلهم في خفتها، وحملها معهم أينما حلوا وارتحلوا، والاستفادة من بهيمة الأنعام في دبغ جلودها، وصنع الأثاث والفرش، والسكن

---

[1] سورة النحل، الآية ٨٠.

كما هو معلوم يستر ويقي من الشمس والحر والقر، وقد ذكر الله ـ فيما مضى ـ علمه للغيب والسكن في ستر وغطاء عن أعين الناس، ومن ثم ففيها اتساق وتناسب، حيث كان الحديث عن الغيب، والسكن فيه غيب، ربما يخفى على الساكنين أنفسهم، وبديهي خفاؤه عمن هم خارج هذا السكن. والإنسان في سكنه من رحمة الله به ستره عن الشمس والحر والقر، وهو يحتاج إلى الخروج من مسكنه، فناسب أن يعقّب ـ سبحانه وتعالى ـ بحماية الناس، وحفظهم من الشمس والحر والقر، بأن ألهمهم اللجوء إلى الظلال ومغارات الجبال، وصنع اللباس، وكل ذلك حماية للناس. فاللجوء إلى الظل يحمي من الحر، ومن أشعة الشمس الحارقة، واللجوء إلى الجبال للاستراحة، وللحماية من عدو، أو من برد، أو من شمس، أو من مطر، كما أن صنع اللباس لحفظ الأعراض وسترها، وللحماية من البرد والحر، ولهذا فقد قال سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[١]. والتعبير بالواو العاطفة، بيان لاستمرار التناسب الموضوعي في سياق محكم، وبالإضافة إلى نعم الله السابقة، فقد أنعم علينا بنعم أخرى، والتعبير بلفظ الجلالة للتعظيم، وللتنبيه والتذكير أنه هو وحده المنعم لا سواه، والتعبير بقوله ـ سبحانه وتعالى: ﴿ مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا ﴾، يفيد أن الله خلق ظلالًا كثيرة، فالبيوت لها ظلال، والأشجار لها ظلال، والسحاب كذلك له ظلال، وما صنعه الناس اليوم وأطلقوا عليه المظلة، وغيرها كثير؛ فلله الحمد والمنة. وأيضًا فربما استظلوا بالجبال؛ لذا ناسب أن يذكرها بعد ذلك، حيث قال ـ سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا ﴾. وذكر الجبال دون ذكر السهول له مدلوله، فمكة وجزيرة العرب بعمومها تميزت بالجبال؛ فناسب أن يذكر الجبال مناسبة لبيئتهم، أو اكتفاء بذكر الجبل؛ ليفهم منه السهل [٢]، ثم عقّب بنعمة عظمى، وميزة كبرى، امتاز البشر بها عن باقي المخلوقات، ألا وهي اللباس، ولم تتوقف هذه النعم عند هذا الحد، بل تنوّعت وتعددت، وأصبح لكل فصل من الفصول الأربعة لبسه الخاص به، فقال الله ـ عز وجل: ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾. والتعبير بذكر الحر دون

---

[١] سورة النحل، الآية ٨١.

[٢] انظر: تفسير الماوردي ج٣/٢٠٥، بتصرف.

ذكر البرد؛ لأن طبيعة الجو في مكة حار جدًّا،وقد ذكر ما يختص بهم، أو أنه – سبحانه- لم يذكر البرد؛ لأن ذكر أحدهما يغني عن ذكر الآخر، قال الشاعر [١]:

وما أدْرِى إذا يمَّمت وجهاً *********** أريد الخير أيُّهما يليني [٢]

ومقصود الشاعر أن الخير والشر يليه، فإرادة الخير تعني اتقاء الشر [٣]، ولذلك يقول في البيت الذي يليه :

أألخير الذي أنا ابتغيه *********** أم الشر الذي هو يبتغيني

والسياق مناسب أن يكون للحر؛ لأن الله ذكر ما يتعلّق بالبرد في قوله - سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ ﴾ [٤]، وعندما ذكر أن الذي يشعر بالحر، يلبس لبسًا يقيه من الحر؛ إشارة إلى أولئك الذين يتخففون من ملابسهم، بل ويتعرون بداعي شدة الحر! ولما كانت هذه الأمة أمة جهاد، ناسب أن يُعقّب بذكر اللباس الخاص بالمجاهدين؛ حماية لهم، فقال سبحانه: ﴿ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾. وهذه النعم العظام التي ساقها لنا المنعم الكريم، الهدف الأسمى منها الخضوع والانقياد لله العظيم، وعبادته وحده دون سواه، واليقين الجازم أنه وحده المنعم لا غيره؛ لذا ناسب أن يختم الآية بقوله - تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾. ويستمر السياق في تتابع وتناسق مستمر، وبعد أن سرد هذه النعم الدالة على وحدانيته، واستحقاقه العبادة؛ فإن كثيرًا منهم سيعرض ويتولى، ولكن يا محمد، لا يهمك ولا يضيرك، فدورك انتهى عند بلاغك، فلا تبخع نفسك عليهم حسرات، كما أن إعراضهم - عن الهدى - عليهم لا عليك، وهي تسلية للنبي ﷺ وتهديد لهم، إذ يقول الله - سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا

---

[١] وهو: العائذ بن محصن بن ثعلبة، من بني عبد القيس، من ربيعة: شاعر جاهلي، من أهل البحرين.
اتصل بالملك عمرو بن هند، وله فيه مدائح. ومدح النعمان بن المنذر. وشعره جيد فيه حكمة ورقة (٠٠٠ - نحو ٣٥ ق هـ = ٠٠٠ - نحو ٥٨٨ م) . انظر: الأعلام ج٣/٢٣٩.

[٢] انظر: ديوان المثقب العبدي، ج١/١٥.

[٣] انظر: معاني القرآن للفراء، ج٢/١١٢، وتفسير الماوردي ج٣/٢٠٥، بتصرف.

[٤] سورة النحل، الآية ٥.

عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ ﴾[1]. والتعبير بالفاء في قوله تعالى: ﴿ فَإِن ﴾، دالة على استمرار التناسق الموضوعي، فما بعدها مترتب على ما قبلها، وفي الآية كاملة التفات من أسلوب خطابهم، إلى أسلوب خطاب النبي ﷺ بيانًا لشرفه والاهتمام به، وتسلية لقلبه ﷺ ومما يحقق هذا المعنى ويؤكده، التعبير بالماضي في قوله - سبحانه وتعالى: ﴿ تَوَلَّوْاْ ﴾، حيث إن إعراضهم يرجع عليهم هم لا عليك؛ لأنك أديت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت في الله حق جهاده. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾، بيان أن الداعية مهمته تقتصر على نصح الناس وإرشادهم، وأنه ليس ملزمًا باستجابتهم بعد نصحه لهم، وهذا البلاغ لابد أن يكون واضحًا مفهومًا، حتى تصل الرسالة إليهم نقية صافية، فيحدثهم بما يناسب تفكيرهم، وبما يناسب عصرهم، دون إفراط أو تفريط. ويستمر السياق في تتابع عجيب، وكما علمنا أن مهمة الرسول ﷺ تتوقف عند البلاغ، وأن الاستجابة منهم، ليست من الأمور الواجبة عليه ﷺ ناسب أن يعقّب بعد ذلك بأنهم عرفوا دعوتك، وعرفوا مرادك، وهم على يقين بأن النعم المسرودة عليهم، ليست من أصنامهم، إنما هي من المنعم الكريم، ولكنهم مع معرفتهم بها، إلا أنهم أنكروها، حيث قال الله - سبحانه وتعالى - عن ذلك: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[2]. وسوق أول الآية بلا عطف، يؤكد ما ذكرته، وهو من الفصل لشبه كمال الاتصال [3]. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ ﴾؛ لتناسب السياق، فالحديث عن إنكار الكفار لنعم الله، وكما أن المعرفة ضد الإنكار، يُقال: عرف الحق فأقر به، وعرفه فأنكره [4]. والتعبير بالفعل المضارع؛ دلالة على تعدد النعم وتكررها، ومع ذلك لا يكون منهم إلا تعدد الإنكار وتكرره واستمراره. والتعبير بإسناد النعم إلى الله في قوله تعالى: ﴿ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ ؛ للتأكيد على أن كل النعم، إنما هي من المنعم الكريم، لا من آلهتكم المزعومة. والمتبادر إلى الذهن، أن الإنسان العاقل إذا عرف أمرًا من الأمور، فإنه لا ينكره، ولكن الكفار كعادتهم في المخالفة والعناد

---

(1) سورة النحل، الآية ٨٢.

(2) سورة النحل، الآية ٨٣.

(3) انظر: التفسير البياني، ج١/ ١٦٧، بتصرف.

(4) انظر: بصائر ذوي التمييز، ج١١١٠/١، بتصرف.

والاستكبار، بعد أن عرفوا نعمة الله أنكروها؛ لذا عقَّب بعد ذلك بقوله: ﴿ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ والتعبير بـ ﴿ ثُمَّ ﴾ ؛ للبعد ما بين المعرفة والإنكار، وهذا البعد بعد رتبي، يدل على سذاجتهم، فكيف يعرفون ثم ينكرون؟! والتعبير في ختام الآية بقوله تعالى: ﴿ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾، يشعر أن قلة منهم فقط عرفوا نعمة الله غير منكرين بأنها من الله المنعم الكريم. وما ساقه الله في الآيات السابقة من إخراج الناس من بطون أمهاتهم؛ للدلالة على أنه الله الواحد الأحد المستحق للعبادة، حيث أخرجكم بقدرة فائقة إلى الدنيا، وأنتم لا تفقهون ولا تعلمون شيئًا، بل وأنعم عليكم بالسمع والأبصار والأفئدة، لتشكروا الله بصرف العبادة له وحده دون سواه، ولم تقف نعمه عليكم عند هذا الحد؛ بل وجعل لكم السكن والظلال دلائل ومؤكدات، تدل وتؤكد على أنه الإله لا غيره من أوثانكم وأصنامكم التي لا تعقل، ولا تسمع، ولا تبصر، أفلا تسلمون لله الواحد الأحد؟

الموضوع السادس عشر: مشاهد يوم القيامة ويشمل الآيات (٨٤ ـ ٨٩):

النص القرآني قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [1].

ويستمر السياق متصلًا منتظمًا في تناسق وترابط عجيب، فبعد أن بيَّن الله حال الكفار الذين عرفوا أن النعم من الله، ولكن أكثرهم لم يشكروا الله عليها بعبادته – سبحانه- وحده دون سواه؛ ناسب أن يبيِّن عقب ذلك الوعيد الشديد لهم يوم القيامة، ذاكرًا حالهم، حيث قال - سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [2]. والتعبير بـ ﴿ وَيَوْمَ ﴾، أي يوم القيامة، وذكر اليوم، أي ذكر ما يجري فيه من كل الأحداث التي أخبر عنها الله في كتابه، والرسول في حديثه. والتعبير بقوله: ﴿ نَبْعَثُ ﴾؛ للتأكيد على حقيقة البعث بعد الموت، وأن الله هو الذي يبعث من في القبور، والجمع لتعظيم الله، والتأكيد على عظم أمر البعث. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾، يدل على تسلية قلب النبي ﷺ وبيان أن مهمته تنتهي عند البلاغ المبين، فلا

---

[1] سورة النحل من الآية ٨٤ ، وحتى الآية ٨٩ .

[2] سورة النحل، الآية ٨٤.

يحزن ولا يتكدَّر على عدم إيمان القوم ، ولن يضيع جهده سدى؛ إذ سيكون هو الشهيد على أمته، وكذلك فإن باقي الرسل يكونون شهداء على أممهم، وشهادتهم تكون على أولئك القوم الذين أنكروا نعم الله وجحدوها وكفروا بها. والتعبير بذكر بعث الشهيد، وعدم ذكر بعث الأمة؛ لأن بعث الشهيد بالشهادة إما على الأمة أو لها وهو بعث للأمة، فبعث الشهيد دلَّ دلالة صريحة، وبعث الأمة دلَّ عليه دلالة الاقتضاء، وذكر الشهيد على الأمة وهو الرسول ـ كما أسلفت ـ لبيان أن دوره ينتهي عند البلاغ، وكذلك دلالة على فضله ومكانته [(١)]. ويستمر السياق، فبعد بعث الرسل ـ عليهم السلام ـ للشهادة على أممهم، قال سبحانه: ﴿ ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ ، والتعبير بـ ﴿ ثُمَّ ﴾؛ للدلالة على أنهم بعد شهادة الأنبياء ـ عليهم السلام ـ طلبوا أن يدافعوا عن أنفسهم، كما هو ديدنهم في الدنيا، ولكن لم يؤذن لهم؛ فالآخرة ليست كالدنيا، حيث لا مجال للمخاصمة والمجادلة [(٢)]. وإذا كان الله لم يأذن لهم بالاعتذار؛ نتيجة كفرهم، فمن باب أولى، ألا يرضيهم، فهو ـ سبحانه ـ لم يقبل منهم الدفاع عن أنفسهم؛ لعلمه الغيب، ولصدق رسله، ولسوء أفعالهم وأقوالهم؛ فكيف يقبل العتبى لهم؟! لذا ناسب أن يختم الآية بقوله ـ عز شأنه: ﴿ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ ، وهذا المشهد الأول من مشاهد القيامة. ويستمر السياق في سرد مشهد آخر، فبعد أن ذكر الله ـ في المشهد الأول ـ بعث الرسل، ليشهدوا على أقوامهم، يمنع الله عنهم الاعتذار عن أنفسهم، فضلًا عن أن يرضيهم الله، نتيجة كفرهم، وحالهم حينئذ حال الخزي ـ نسأل الله السلامة. ناسب في المشهد التالي أن يصف حالهم حين مشاهدتهم للعذاب، حيث قال الله ـ سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [(٣)]. والتعبير بالواو تأكيد لترابط الآية الحالية والآية السابقة وتناسقهما، فعدم قبول العتبى، سيترتب عليه العذاب، ولن يوقع الله العذاب إلا لشدة غضبه لكفرهم؛ لذا قال عقب ذلك: ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ . والتعبير بوصفهم ظالمين؛ لأن الظالم هو الذي يتعدَّى على غيره، والكفار تعدوا على الله ورسله وكتبه، وكذلك فالظالم ينسب شيئًا إلى غير مالكه، والكفار نسبوا النعم التي هي من الله لغيره، وعبدوا آلهتهم، والعبادة لا تكون إلا لله،

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، ج٨/٤٢٤١ بتصرف.

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) سورة النحل، الآية ٨٥.

وقد وصف الله الشرك بأنه ظلم، وليس كأي ظلم؛ بل ظلم عظيم، حيث قال -سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [1]، ثم إنهم حين رأوا العذاب كأنهم طلبوا الرحمة، فكان الجواب: ﴿ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾. والتعبير بالجملة السابقة، يبيّن أن العذاب واقع بهم لا مجال لتخفيفه، ولا مجال لتأخيره، فعذاب الآخرة ليس كعذاب الدنيا، ويؤكّد هذا أن القرآن نزل مخاطبًا الناس بما يفهمونه في دنياهم، فالإنسان حينما يُلمّ به - في الدنيا - خطب من الخطوب، أو مرض من الأمراض؛ فإنه يأمل في صرفه عنه، أو على أقل الأحوال تخفيفه عنه، ولكن عذاب الآخرة لكم أيها الكفار لا مجال لتخفيفه عنكم، ولا فرصة لإمكانية تأخيره عنكم [2]. وبعد أن ذكر في المشهد الأول بعث أنبيائه للشهادة على أقوامهم، وبيان حال الكفار حين الشهادة عليهم، وهم في ذل وصغار، حين لا يُؤذن لهم في الدفاع عن أنفسهم، ولا حقَّ لهم في أن يقبل الله منهم العتبى نتيجة كفرهم؛ أعقب في المشهد الثاني، أنه حين لم يأذن لهم في الاعتذار، ولم يقبل العتبى لهم؛ بيَّن أن الأمر لا يتوقف عند هذا الحدِّ؛ بل سيرون العذاب الذي لن يُخفف عنهم، ولن يؤخر، فحالهم هنا صعب، وهم في كرب وغم وضيق، وحينما رأوا ماضيهم أمام أعينهم، لاحت لهم بارقة أمل بالخروج من هذا العذاب، أو على أقل الأحوال تخفيفه، وذلك أنهم رأوا آلهتهم، معترفين بعبادتهم، لعلهم ينجون مما هم فيه؛ لذا ناسب أن يعقب -سبحانه -في المشهد الثالث بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾[3]. والتعبير بالإظهار موضع الإضمار في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ ؛ لتعميم الوصف المناسب للمقام، وينطبق هذا على صدر الآية السابقة: ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ ، فالحكم هنا لكل متصف بما يقتضيه الاسم الظاهر [4]. والتعبير بقوله: ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾ مناسب لسياق الآية، حيث إنها تتحدث عن المشركين

---

[1] سورة لقمان، الآية ١٣.

[2] انظر: تفسير ابن عطية، ج٤/١٩٠، بتصرف.

[3] سورة النحل، الآية ٨٦.

[4] انظر: نظم الدرر، ج٤/٢٩٩، بتصرف.

وشركائهم، والتعبير بإضافة الشركاء إلى المشركين في قوله تعالى: ﴿ شُرَكَآؤُنَا ﴾ اعتراف منهم، وليس إعلامًا لمن لم يعلم، فربما ينفعهم هذا الكلام - في ظنهم - فيخفّف عنهم العذاب مناصفة مع آلهتهم، أو تتحمل الأصنام أوزارهم [1]. ويستمر السياق في سرد أقوال المشركين، حينما رأوا شركاءهم معترفين بعبادتهم لهم، حيث قال الله: ﴿ ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَۖ ﴾، والتعبير بالدعاء القصد به العبادة، ويأتي الرد عليهم من آلهتهم ردًّا قويًّا، وكأنه رمي قطع حبالهم التي كانوا يظنون أنها موصلة إلى النجاة [2]؛ لذا عبَّر الله - عز شأنه - بقوله: ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ ... ﴾، وختم الآية بقوله: ﴿ إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾، وهي تفسير وتوضيح لقولهم وردهم القوي، والذي أُكّد بإن، واللام، فلم ندعوكم لعبادتنا، ولم نقل لكم: إننا شفعاء لكم عند ربكم، ولكنها نفوسكم الخبيثة التي جعلتكم تشركون بالله - سبحانه - وهنا وبعد أن تقطعت بهم كل السبل، وتاهت بهم الطرق، أقروا واستسلموا، ومن ثم فلا أمل لهم، حيث قال الله - سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٨٧ ﴾ [3]. والتعبير بقوله: ﴿ وَأَلۡقَوۡاْ ﴾، كحال المحارب الذي يُلقي سلاحه أمام من غلبه وانتصر عليه [4]، فالمشركون حين انقطع حبلهم، وخاب رجاؤهم؛ استسلموا لعذاب الله، وخضعوا لعزة الله؛ لذا عبَّر عقب ذلك بقوله: ﴿ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ ﴾. والتعبير بقوله - سبحانه وتعالى: ﴿ يَوۡمَئِذٍ ﴾ تذكير بأنهم لم يخنعوا ويخضعوا إلا في ذلك اليوم، ولم يكن إلا بعد أن قامت عليهم الحجج القوية، وهذا تعجب من أمرهم، حتى وهم في الآخرة، فمازالوا يبحثون عن الفرص، وإقامة الحجج الواهية، ولكنه الله العزيز الجبار المتكبر، الذي أمهلهم دون إهمال إلى أجلهم المحتوم. ويستمر السياق في بيان حالهم، فبعد أن خضعوا واستسلموا لله صاغرين، قال الله - تبارك وتعالى: ﴿ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴾، فلا أمل لهم، ولن تنصرهم أصنامهم، ولن تجدي مفترياتهم نفعًا في ذلك الموقف

---

(1) انظر: زاد المسير، ج٤/١٢٠، بتصرف.

(2) انظر: التفسير القرآني، ج٧/٣٤٠.

(3) سورة النحل، الآية ٨٧.

(4) انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/١٩٨.

العصيب. ويستمر السياق متصلًا في تناسق موضوعي بديع، فبعد أن ذكر الله في المشهد الأول بعث أنبيائهم، ليشهدوا على كفرهم، وعدم السماح لهم بالرد عن أنفسهم، وعدم قبول العتبى لهم؛ أردف في المشهد الثاني باستحقاقهم العذاب، الذي لن يُخفّف عنهم، ولن يؤخر، ولكن المشهد الثالث يُصوِّر لهم بارقة أمل، لعل الله أن يُخفّف عنهم العذاب أو يؤخره، وذلك حينما رأوا أصنامهم، فقد بادروا بالاعتراف بعبادتهم لها، وكانت الصدمة الكبرى لهم بتكذيب تلك الأصنام لهم، وأنهم لم يأمروهم بعبادتها؛ وحين ذلك خضعوا وخنعوا مستسلمين لأمر الله، فلا عاصم لهم اليوم من أمر الله، وقد ناسب أن يستمر السياق في المشهد الرابع؛ لتأكيد جرمهم الشنيع، وهو كفرهم بالله الذي استحقوا العذاب عليه، مع زيادة ذلك العذاب بعذاب آخر؛ لأنهم لم يكفروا فقط، بل أثروا على غيرهم، بصدهم عن اتباع النبي ﷺ إما بالإقناع، وإما بالجبر، وكأن السياق يعود بنا إلى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٤ ﴾ [1]. وطريقتهم في الإقناع بتشويه الوحي والطعن فيه، خصوصًا ممن يأتي من خارج مكة.

يقول الله في المشهد الرابع: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابًا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ٨٨ ﴾ [2]. والتعبير بالاسم الموصول في مطلع الآية الكريمة ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ، يفيد عموم كل من وقع في الجرمين العظيمين: الكفر بالله، وصدِّ الناس عن اتباع دين الله، وعادة لا يمكن أن يكون هناك صد عن دين الله، إلا إذا كان هناك كفر أولًا، ولكن ربما يكون هناك كفر، ولا يكون معه صدٌّ عن دين الله، وهذا ما يُؤكّد على تقديم الكفر على الصد؛ لأن الكفر يأتي أولًا، ثم يكون هنالك الصدود. ومن جمع بين الجرمين، فقد استحق زيادة العذاب؛ لذا ناسب أن يُعقّب بعد ذلك بقوله: ﴿ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابًا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ ﴾. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ زِدۡنَٰهُمۡ ﴾ تعظيم لله، وبيان أنه القادر على كل شيء. والتعبير بصيغة الماضي؛ دلالة على تحقُّق وقوعه، والتعبير بقوله: ﴿ عَذَابًا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ ﴾، يفيد أن من كفر فقط دون إغواء الناس، وصدهم عن السبيل؛ فإنه مستحق للعذاب، وكذلك

[1] سورة النحل، الآية ٢٤.

[2] سورة النحل، الآية ٨٨.

من صرف الناس عن سبيل الله، فهو مستحق لعذاب آخر فوق العذاب الذي استحقه؛ نتيجة لكفره وصده؛ لذا ناسب أن يختم الآية بقوله - عز من قائل عليمًا: ﴿بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ﴾، وأي إفساد أكبر من فساد الناس، وصرفهم عن اتباع دين الله؟! ويستمر السياق متصلًا، فبعد أن سرد مشاهد من يوم القيامة، بدأها ببعث الأنبياء شهداء على أقوامهم، ختم المشاهد بتأكيد شهادة الأنبياء على أممهم، حيث قال - تبارك وتعالى: ﴿ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[١]. والتعبير بتكرار الشهادة في قوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾، زيادة على ما أفهمته الآية الأولى في بيان الشهادة، والتي قال الله فيها:﴿ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾[٢]. فالشهادة عليهم لا لهم، بدليل قوله تعالى: ﴿ عَلَيۡهِم ﴾، والتعبير بقوله: ﴿ وَيَوۡمَ ﴾ تخويف وتهديد، والتعبير بقوله: ﴿ نَبۡعَثُ ﴾ ، تأكيد على أن البعث حاصل، وأنه من الله العلي العظيم، وفيه تعظيم لله. والتعبير بقوله - سبحانه وتعالى- هنا بـ ﴿ فِي ﴾ ، وآية المشهد الأول ﴿ مِن ﴾ ؛ للتفنن بين المكررين؛ تجديدًا لنشاط السامعين[٣]. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ ﴾، تأكيد أن الشهادة من قومكم، وليس شهادة من غير جنسكم، ومن يشهد على أهله، فشهادته أعظم وأكبر، ولها صدى عند المشهود عليهم، إذ لا يمكنهم إلا السكوت والإقرار، وعند من طلب الشهادة إلا تذكيرهم بأن من شهد عليكم هو من قومكم. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ وَجِئۡنَا ﴾ تعظيم لله، وأنه هو القادر على المجيء بمحمد ﷺ والتعبير بقوله تعالى: ﴿ بِكَ ﴾ أي: يا محمد، وهو إكرام لمحمد ﷺ وإعلاء لمنزلته، والله سيأتي به لكي يكون ﴿ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ ﴾. وما سبق ذكره عن الساعة في هذا الموضوع، يعدُّ تذكيرًا بمستهل السورة، حين أخبر الله عن إيقاع أمره المتمثل في قيام

---

(١) سورة النحل، الآية ٨٩.

(٢) سورة النحل، الآية ٨٤.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/٢٠٠ .

الساعة، وناسب هنا وناسق بذكره مشاهد من ذلك اليوم الموعود، تأكيدًا لأحقيته بالعبادة، وتحذيرًا للكفرة الماكرين، لعلهم ينيبون إلى الله، ويتركون عبادة الأصنام والأوثان، ثم عقَّب الله في نهاية هذا الموضوع بقوله -سبحانه وتعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾، وهنا حسن تخلُّص في بيان أنه أنعم عليهم بنزول القرآن، الذي بين لهم الطريق الصحيح، والذي لو اتبعوا ما فيه، لما صار لهم ما صار من عذاب نفسي وجسدي، فيما سبق من المشاهد التي صورها هذا الموضوع في تناسق موضوعي دقيق. والتعبير بقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا﴾؛ تعظيم لله، الذي نزَّل الكتاب وحده دون سواه، والتعبير بـ ﴿عَلَيْكَ﴾، تأكيد لصدق رسالة النبي الأكرم ﷺ وتشريف له وتكريم. والهدف من إنزال الكتاب عليك يا محمد، أن يكون ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾. والتعبير بقوله -عز وجل: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾، بيان وتوضيح أي شيء، وهو في أعلى طبقات البيان، وأعلى طبقات البلاغة، فالنفس تتقبله سريعًا؛ لظهور معناه ووضوحه، ولكن عندما قصرت همم الناس عن تعلم علوم العربية والتفسير والقراءات، وكل علم يتصل بفهم القرآن، أُحتيج إلى التفسير، وهذا التقصير ليس في كلام الله، وإنما في همم الناس [1]. وعندما يتبيّن الإنسان الطريق المستقيم من خلال كلام ربنا -عز شأنه- لا شك أنه يهتدي؛ لذا عقَّب بقوله تعالى: ﴿وَهُدًى﴾، ومن هداه الله، فقد رحمه؛ لذا عقَّب بعد ذلك بقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةً﴾، ومن رحمه الله، فهي أعظم بشارة؛ لذا عقَّب بقوله تعالى: ﴿وَبُشْرَىٰ﴾. والتعبير بقوله تعالى: ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾، إنما كل هذا الهدى والرحمة والبشرى لمن خضع لله -تبارك وتعالى- فلم يكفر بالله، ولم يكن سببًا في كفر الناس.

---

[1] انظر: نظم الدرر ج٢٩٩/٤.

المقصد الأول: بيان لبعض ما في الكتاب الحكيم، ويشمل الموضوع التالي: بيان وتبيان لما في القرآن من الآداب، والنتائج، ويشمل الآيات (٩٠ ـ ١١١):

النص القرآني، يقول الله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ
وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ (٩٠) وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا
عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا
تَفۡعَلُونَ (٩١) وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا
بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ
تَخۡتَلِفُونَ (٩٢) وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسۡـَٔلُنَّ
عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ (٩٣) وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا
صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ (٩٤) وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ
لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ (٩٥) مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ
مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (٩٦) مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ
وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (٩٧) فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ
(٩٨) إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ
يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ (١٠٠) وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ
قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۢۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ (١٠١) قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ (١٠٢) وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ
لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ (١٠٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ
بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ

﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٠٥ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠٧ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٠٨ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٠٩ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١٠ ۞ يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١١١ ﴾[1].

ولما فرغ ـ سبحانه ـ من ذكر مشاهد يوم القيامة، وما فيها من وعد ووعيد، وترغيب وترهيب، وذكر أن هذه الأمور والتي تليها تُعلم من الذكر الحكيم؛ أعقب بعد ذلك قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾[2]، حيث جمع في هذه الآية ما يتصل بالتكليف فرضًا ونفلًا، وما يتصل بالأخلاق والآداب عمومًا وخصوصًا[3]، ومن المناسب ذكره، أن الله حينما قال ـ سبحانه ـ في الآية السابقة: ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ ﴾، أعقب ببيان أمور مجملة، تبيّن فيها تفصيلات لتلك الأمور، وهنا حسن تخلُّص أيضًا، والتعبير بقوله ـ سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾[4]، فيه إيجاز قصر؛ لأن العدل هو الصراط المستقيم المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، والذي يُشار به إلى جميع الواجبات في الاعتقاد والأخلاق، والعبودية. ﴿ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ هو الإخلاص في واجبات العبودية، ﴿ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾، هو الزيادة على الواجب من النوافل، هذا في

---

[1] سورة النحل من الآية ٩٠، وحتى الآية ١١١.

[2] سورة النحل، الآية ٩٠.

[3] انظر: تفسير الرازي، ج٢٠/٢٥٨.

[4] سورة النحل، الآية ٩٠.

الأوامر، وأما النواهي فأولها الفحشاء؛ إشارة إلى القوة الشهوانية، والمنكر إشارة إلى كل محرم شرعًا، والبغي إشارة إلى الاستعلاء الفائض عن الوهمية [(١)]؛ لذا هي أجمع آية [(٢)]. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ ﴾، وضع الظاهر موضع المضمر، وذلك تربية للمهابة، وإدخال الروع على ضمير السامع، بذكر الاسم المقتضى لذلك [(٣)]. وتأكيد الجملة بـ ﴿ إِنَّ ﴾، ولفظ الجلالة: ﴿ ٱللَّهَ ﴾؛ للدلالة على عظم هذا الأمر، وتشريف هذا الأمر بلفظ الجلالة، والتأكيد على أن الآمر هو الله ـ تبارك وتعالى ـ والتعبير بقوله تعالى: ﴿ يَأۡمُرُ ﴾؛ فيه تشويق للمتلقي، واستمرار للسياق، فتبيان القرآن منه أمره العام، والذي جاء مفصلًا فيما يلي: ﴿ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾. والتعبير بالعدل أيضًا عام، يندرج تحته العدل مع الله، ومع الناس، ومع كل شيء. والتعبير بالإحسان عام في كل قول وفعل يتطلب الإتقان. والتعبير بإيتاء ذي القربي عام في إيتائهم، وفي عموم القرابة. وبعد أن بيَّن الله ـ سبحانه ـ أوامره في هذه الأمور العظيمة، والتي يندرج تحتها أمور، ينتقل السياق إلى ذكر النواهي، حيث قال ـ سبحانه وتعالى ـ ﴿ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِ ﴾. والتعبير بقوله: ﴿ وَيَنۡهَىٰ ﴾ للتشويق، ولتأكيد استمرارية السياق، فتبيان القرآن ذكر أوامره، والتي ذكرتها آنفًا، والتعقيب بذكر نواهيه، وأول هذه النواهي ﴿ ٱلۡفَحۡشَآءِ ﴾،

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن، ج٢/١٤٥، بتصرف.

(٢) وهو: قول ابن مسعود ـ رضي الله عنه. أخرجه الحاكم في مستدركه، تفسير سورة النحل، ج٢/٣٨٨، والمعجم الكبير للطبراني، ج٨/٤٠، ومصنف عبدالرزاق، كتاب فضائل القرآن، باب تعليم القرآن وفضله، ج٣/٣٧٠، ونص الحديث عند الحاكم، يقول: أخبرنا أبو زكريا العنبري، ثنا محمد بن عبد السلام، ثنا إسحاق بن إبراهيم، أنبأ المعتمر بن سليمان، قال: سمعت منصور بن المعتمر يحدث عن عامر، قال: جلس شتير بن شكل ومسروق بن الأجدع، فقال أحدهما لصاحبه: حدِّث بما سمعت من عبد الله وأصدقك، أو أحدثك وصدقني، قال: سمعت عبد الله يقول: "إن أجمع آية في القرآن للخير والشر في سورة النحل: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ ﴾ قال: صدقت". هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وتعليق الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن، ج٢/١٩٥.

وهي لفظة عامة، يندرج تحتها كل قول وفعل قبيح مستهجن مستقذر، ثم عقَّب بالمنكر، وهو لفظ عام، يندرج تحته كل أمر يدعو إلى الشر قولًا وفعلًا. وآخر المنهيات (البغي)، وهو الاعتداء في المعاملة، إما بدون مقابلة ذنب، كالغارة التي كانت وسيلة كسب في الجاهلية، وإما بمجاوزة الحدِّ في مقابلة الذنب، كالإفراط في المؤاخذة [(١)]. وختم الآية بقوله ـ تبارك وتعالى: ﴿ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾، أي سرد لكم أوامره؛ لكي تأتمروا بها، ونواهي كي تنتهوا عنها، موعظة منه لعلكم تذكرون. وبعد أن ذكر أوامر عامة، ونواهٍ عامة أيضًا، وكان أول هذه الأوامر (العدل)، ناسب أن يُعقّب بالوفاء بالعهد الذي هو من جملة المأمورات المتضمنة للعدل [(٢)]، حيث قال ـ جل في علاه: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[(٣)]. والتعبير بقوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ﴾ يفيد العموم لكل ما يعقد باللسان، ويلتزمه الإنسان في كل أمر من الأمور [(٤)]. والتعبير بإضافة العهد إلى الله، تحذير من نقض العهد، والتعبير بقوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ﴾، تأكيد الوفاء فمن يُعاهد، يجب عليه الوفاء بعهده [(٥)]. وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ﴾، حذف المفعول فيه اختصارًا واقتصارًا، وحذف لدلالة العقل على التعيين، فيكون المعنى بمقتضى عهد الله؛ لأن العهد قول قد دخل في الوجود، وانقضى فلا يتصور فيه وفاء ولا نقض، وإنما الوفاء والنقض بمقتضاه، وما ترتب عليه من أحكامه [(٦)]. ويستمر السياق في تتابع وتناسق موضوعي مستمر، فبعد ذكر الوفاء بعهد الله، ناسب أن يُعقّب بعد ذلك بذكر ما هو من جنسه وأخص منه، حيث ذكره معطوفًا عليه، فقال ـ سبحانه ـ: ﴿ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾[(٧)]، والتعبير بقوله تعالى: ﴿ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾،

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/٢٠٤.

(٢) انظر: تفسير الشوكاني، ج٤/٢٥٨.

(٣) سورة النحل، الآية ٩١.

(٤) انظر: تفسير ابن عطية، ج٤/١٩٣، بتصرف.

(٥) انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/٢٠٩، بتصرف.

(٦) انظر: الإتقان، ج٢/١٥٧.

(٧) انظر: نظم الدرر، ج٤/٣٠٣.

يعني : بعقدها على اسم الله تعالى [(١)]. وهذا ما يؤكده قوله عقب ذلك: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾، حيث عقدتم على أيمانكم باسم من أسماء الله، أو صفة من صفاته؛ فينبغي عليكم الوفاء للرقيب عليكم - سبحانه وتعالى - ولمَّا كان من شأن الرقيب حفظ أحوال من يراقبه، فقد قال - سبحانه وتعالى - مرغبًا ومرهبًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [(٢)]. والتعبير بـ ﴿إِنَّ﴾ للتوكيد، ولبيان أهمية الخبر. والتعبير بالمضارع في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ﴾ و ﴿تَفْعَلُونَ﴾؛ للتجدد والاستمرار والتكرار، فكل فعل يحدث منهم، فالله يعلمه - سبحانه وتعالى [(٣)]. ويستمر السياق متناسقًا، فبعد أن أمر بالوفاء بالعهود، ونهى عن نقضها، ناسب أن يُعقّب في التنفير من نقض العهود، ووجوب الوفاء، وحرمة النقض بمثل ضربه الله - سبحانه - حيث قال: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [(٤)].

والتعبير بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ ﴾، نهي من الله - سبحانه - بأن تنزلوا عند نقض العهود منزلة من عبَّر الله عنها بقوله: ﴿كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا﴾؛ فلا تفسدوا ما أبرمتم من عهود ووعود ألزمتم أنفسكم بها، كتلك المرأة التي أجهدت نفسها في صنع غزلها، ثم نقضته بعد أن ضاع وقتها سدى، وانعدم ذلك الغزل. والتعبير بقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ ، يفيد أن الجهد كان قويا، واستغرق وقتًا طويلًا، حتى بلغ غاية الإتقان، وعند نقضه لن يستغرق وقتًا طويلًا، ولا جهدًا عظيمًا، فما هي إلا لحظات وينقض. ومن المشاهد الآن، أنه تُبنى الأبراج العالية، والتي تستغرق سنوات طوال حتى يتم البناء، أما الهدم فيكون في لحظات ، إما بفعل الناس، وإما بفعل العزيز الجبار. وكلمة﴿قُوَّةٍ﴾ ، تفيد

---

(١) انظر: تفسير السعدي، ج٤٤٧/١.
(٢) انظر: نظم الدرر، ج٣٠٣/٤.
(٣) انظر: التحرير والتنوير، ج٢٠٩/١٣، بتصرف.
(٤) سورة النحل، الآية ٩٢.

أن العهود قوية. والتعبير بقوله ـ سبحانه وتعالى: ﴿أَنكَٰثًا﴾ ، أي خيوطًا متفرقة، كحالته قبل البدء بالغزل. ويستمر السياق، فبعد أن نهى الله ـ سبحانه ـ الناس أن يكونوا كالتي نقضت غزلها بعد جهد جهيد، وبعد إحكام وإتقان، وذلك عندما تجعلون أيمانكم فيها الدخل والخيانة، حيث قال الله: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾. والتعبير بالجملة السابقة معناه استغلال الفرص، فالأيمان والعهود إذا أبرمت من طرف لطرف، كان هناك اطمئنان، وثقة كبيرة بين الطرفين، ولكن أحد الطرفين يستغل ذلك استغلالًا قبيحًا، فينكث تلك الأيمان والعهود بكل مكر وخديعة، ناسيًا أو متناسيًا عظمة الأيمان، ووجوب الالتزام بها، فتتلوث تلك الأيمان بالخديعة، والمكر، والدغل، والغش، والخيانة، والتضليل؛ لذا عبَّر الله عن ذلك بقوله ـ عز شأنه: ﴿أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾. ويبيِّن الله العلة التي جعلتهم يستخفون بتلك الأيمان والعهود الموثقة، حيث قال ـ تبارك وتعالى: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾، ومقصود الآية السابقة (لا يبعثكم على نقض الأيمان كون أمة أحسن من أمة. ومعلوم أن الأمة التي هي أحسن هي المنقوض لأجلها وأن الأمة المفضولة هي المنفصل عنها، أي لا يحملكم على نقض الحلف أن يكون المشركون أكثر عددا وأموالا من المسلمين فيبعثكم ذلك على الانفصال عن جماعة المسلمين وعلى الرجوع إلى الكفار) [(١)].

ولما كان أمر العهد والوفاء به من أعظم الأمور، لم يترك الله الأمر على ضرب المثل فقط، وبيان الخداع والغش في الأيمان، لنقض العهود فقط، دون أن يذكرهم بأنه الرقيب عليهم، بقدرتهم على حفظ تلك العهود والمواثيق، أو نقضها مهما كانت الإغراءات، حيث قال عقب ذلك: ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾ ، وليس عند هذا الحد، بل هناك يوم تعرضون فيه على الله، وتنكشف الحقائق، ويُوضّح لكم كل غائبة؛ لذا ختم الآية بقوله تعالى: ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾. ولما بيَّن الله أمره بالوفاء بالعهود، ونهى عن نقضها، مشبهًا حال من ينقضها بحال تلك التي نقضت غزلها، بعدما أتقنته غاية الإتقان، ومحذرًا من نقض العهود مهما كانت الإغراءات، أعقبه ببيان قدرته ـ عز شأنه ـ

---

(١) انظر: التحرير والتنوير ج١٣ص/٢١٤ .

على جمع الناس على الوفاء بالعهود، وعلى سائر أبواب الإيمان، ولكنه بحكمته وعلمه، جعل من الناس من ينقض، ومنهم من يفي، بل أضل من شاء، وهدى من شاء[1]، حيث قال ـ سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[2]. وهناك مناسبة أخرى، جدير أن أذكرها، وهي أنه عندما ختم الآية السابقة بقوله ـ عز شأنه: ﴿ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾، بيَّن أنه لن يعجزه ألا يكون هناك خلاف في الدنيا بين الناس، إذ بقدرته جعل الناس أمة واحدة متفقة في أصول الدين وفروعه، ولكنها الحكمة الإلهية[3]. والتعبير بقوله ـ سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾؛ للتأكيد على عظمة الله، وأنه المتحكم المتصرف في كل شيء، والقادر على جعلكم على ملة واحدة، ولكنه خالف بينكم، ولما تقرَّر هذا، ناسب أن يبيَّن تقسيمه لكم، حيث قال: ﴿ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ ﴾. والتعبير بالجملة السابقة، بيان لمشيئة اللّه الشاملة، التي إليها إضلال الضالين، وهداية المهتدين [4]، وهذا لا يعني أن دوركم كدور الجماد، فالله بيَّن لكم طريقي الخير والشر، وسلوك أحد الطريقين ، هو تحريك لمشيئتكم، فأي طريق تختارونه، سوف تُسألون عنه، وتجازون عليه إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر؛ لذا ختم الآية بقوله تعالى: ﴿ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾، وبعد أن بيَّن الله ـ تبارك وتعالى ـ أمره بالوفاء بالعهود والأيمان، ونهيه عن نقض العهود والأيمان، وتشبيهه لمن ينقض أيمانه بالمرأة الحمقاء، التي نكثت غزلها بعد ما وصل غاية الإتقان في صنعه. ونهيه عن النقض مهما كانت الظروف . وذكره ليوم القيامة حينما يجمعونهم لبيان جرمهم، وأنه قادر على عدم اختلافهم، ولكنها السنة الربانية؛ أعقب ببيان العقوبة الشديدة بكل صراحة ووضوح لمن راوغ وخدع في أيمانه، فقال ـ

---

[1] انظر: تفسير الرازي، ج٢٠/٢٦٥، بتصرف.

[2] سورة النحل الآية، ٩٣.

[3] انظر: نظم الدرر، ج٤/٣٠٧، بتصرف.

[4] انظر: التفسير القرآني، ج٧/٣٥٥.

سبحانه وتعالى -: ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٩٤ ﴾[1].

والتعبير بقوله - سبحانه وتعالى - تكرارًا وتصريحًا بالنهي: ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ ﴾ ؛ تأكيد التحذير، وبيان ما يلحقهم في دنياهم، وما سيقع بهم في أخراهم؛ لذا ناسب أن يفرع ويبني بقوله - تقدست أسماؤه: ﴿ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا ﴾، يدل على أنكم كنتم في عافية، فلا تخونوا في أيمانكم، وينقلب حالكم إلى ابتلاء بعد تلك العافية، وإلى ورطة بعد سلامة، وهي صورة محسوسة مألوفة، والقصد منها إظهار قبح الغاش والخائن والغادر في أيمانه، والذي يؤكّد ويدلل على زوال القدم بعد ثبوتها، تعقيبه بقوله تعالى: ﴿ وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ ﴾. والتعبير بالجملة السابقة، إحساس قوي مؤلم يغشاكم، ومنه نظرة الناس لكم، وما ينتج عنه من عذاب نفسي مؤلم، وعدم ثقتهم في ذلك الذي جعل من أيمانه غدرًا ومخادعة. وتظهر نتيجة ذلك العمل الخطير في قوله - سبحانه وتعالى: ﴿ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾. وما سبق عذاب في الدنيا، ولعظم هذا الجرم، فسينالكم في الآخرة عذاب عظيم؛ لذا ناسب أن يختم الآية بقوله تعالى: ﴿ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾، إذا متم على ذلك، وبعد أن أمر بالوفاء بالعهود والأيمان، ونهى عن نقضهما، وذكر الأمثلة تنفيرًا لمن لا يفي بعهده وأيمانه، وسرد ما يلاقيه ذلك الناقض - مهما كانت الدواعي لنقضه، ومهما سال اللعاب لإغراءاته - من عذاب دنيوي وعذاب أخروي؛فعلتهم في نقض عهودهم الحصول على متاع زائل من متع الحياة الدنيا ؛ ناسب بعد ذلك أن يعقّب بالتحذير من نقض العهود والاستخفاف بها، مهما كانت الإغراءات، ومهما كانت الوعود بنيل متاع من الدنيا، فما عند الله خير وأبقى، حيث قال - سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ

[1] سورة النحل، الآية ٩٤.

﴿ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩٥ ﴾[1]. والتعبير بقوله: ﴿ وَلَا تَشۡتَرُواْ ﴾، نهي عن الشروع في أخذ الأموال في أمر لا يجوز الأخذ فيه، أو في إعطاء الأموال في أمر لا يجوز الإعطاء فيه، دون نظر أو تروٍّ؛ ولذا عقَّب بعد ذلك بالنهي عن الشراء بعهد الله استخفافًا وكذبًا. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ﴾ ؛ للدلالة على عظم أمر العهد، وعلو شأنه، وتربية مهابته في نفوس الناس، وعقَّب بعد ذلك بقوله - سبحانه وتعالى: ﴿ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ ﴾. والتعبير بذلك لا يعني أنه مال قليل في عينه، وربما كان مالًا وفيرًا، ولكن قليل بالنسبة إلى ما عند الله، فكلمة: ﴿ قَلِيلًاۚ ﴾، صفة كاشفة وليست مقيدة، أي أن كل عوض يُؤخذ عن نقض عهد الله، هو عوض قليل، ولو كان أعظم المكتسبات [1]. ويستمر التناسق في سياق بديع، فعلة نهي الله عن الشراء بعهد الله حطامًا من حطام الدنيا، وإن كان كثيرًا؛ لأن ما عند الله خير وأبقى من كل ذلك الحطام الزائل، حيث قال الله - عز شأنه: ﴿ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾. والتعبير بقوله - عز وجل - في ختام الآية: ﴿ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ الفضل ما بين أخذ الثمن دنيويًّا، في مقابل شرائكم نقض عهد الله، وما بين ما ينتظركم في أخراكم من خير عظيم، مقابل حفظكم عهد الله والوفاء به [2]. وبعد أن ذكر الله أن الخير كله عنده، ناسب أن يُعلِّل هذه الخيرية، بأنها باقية لا تزول، كما هو الحال في دنياكم؛ فمهما كبر وكثر، فمصيرها إلى الزوال، حيث قال - الكبير المتعال: ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٦ ﴾[3]. والتعبير بقوله: ﴿ مَا عِندَكُمۡ ﴾ بما الموصولة التي هي بمعنى الذي، يدلُّ على كل ما تملكونه من أعراض الدنيا صغيرها وكبيرها؛ لأن اسم الموصول من صيغ العموم، وهذا الذي عندكم مصيره إلى الزوال، حيث عقَّب بقوله: ﴿ يَنفَدُ ﴾. والتعبير بنفاده، إما بزوال هذا الخير، وإما بزوال صاحبه، وإما بزوال لذته، وزوال لذته رغم وجوده ظاهرًا محسوسًا لمن أنعم الله

---

(1) سورة النحل، الآية ٩٥.

(1) انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/٢١٧.

(2) انظر: تفسير الطبري، ج١٧/٢٨٨ بتصرف.

(3) سورة النحل، الآية ٩٦.

عليه بنعمة ما، فبمجرد التعود عليها، تتلاشى اللذة شيئًا فشيئًا، فالنفاد حاصل مهما طال الزمن ومهما قصر، وإذا كان ما عند الناس مصيره إلى الزوال؛ فإن الذي عند الله هو الباقي لا يزول؛ لذا عقّب بقوله سبحانه: ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ ﴾، والتعبير بقوله تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ ﴾ لفتة فيها كثير من المواعظ والعبر، فمن هم الذين يؤثرون ذلك الذي لا ينفد ، ويتركون الخير الكبير الذي لا ينقطع؟! إنهم الصابرون على الوفاء بعهد الله وأيمانه، وسائر أوامره ونواهيه؛ لذا عقَّب بقوله ـ سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾. والتعبير بقوله ـ جل وعز: ﴿ وَلَنَجۡزِيَنَّ ﴾ التفات إلى التكلم للتعظيم [1]، وبيان فضل الصبر على طاعة الله بوفاء العهد والأيمان، وسائر الطاعات، واستحقاقهم للأجر بأحسن ما كانوا يعلمون، مؤكدًا وعده بلام القسم ونون التوكيد [2]. والذي تميل إليه النفس أن ختام الآية السابقة متوجه إلى الذين أوفوا بعهد الله وأيمانه، ولم يشتروا بعهد الله ثمنًا، والدليل على ذلك ما أعقبه الله في قوله تعالى: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [3]، من الوعد لكل من عمل صالحًا من ذكر وأنثى بخيري الدنيا والآخرة. والتعبير في صدر الآية بقوله: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا ﴾، وقوله عقب ذلك: ﴿ مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ ﴾، رغم أن قوله: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا ﴾، يفيد العموم، وذكر الذكر والأنثى، يفيد العموم؛ لأن هذه الآية آية وعد بالخيرات، والقصد منها المبالغة في تقرير الوعد، والتأكيد عليه، وإزالة وهم التخصيص [4]، ويفيد هذا أن الكل سواء، حين يعملون الصالحات، لا فضل لذكر على أنثى، ولا أنثى على ذكر. وتخصيص الذكر والأنثى بالذكر؛ لكونهما الممثلين لجانبي الإنسانية كلها، والتعبير بقوله ـ سبحانه وتعالى ـ عقب ذلك: ﴿ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ ﴾، أن الناس كلهم ـ مؤمنهم وكافرهم ـ يعملون أعمالًا صالحة، ولكن

---

(1) انظر: نظم الدرر، ج٤/٣٠٧.

(2) انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/٢١٨.

(3) سورة النحل، الآية ٩٧.

(4) انظر: تفسير الرازي، ج٢٠/٢٦٧، بتصرف.

المؤمن الذي يعمل الصالحات هو فقط من يستحق الحياة الطيبة من هدوء وطمأنينة وسكينة، وتعلق بالله، وقناعة ورضا، وبركة، فهي حياة تشتمل على كل طيب. والتعبير بإسناد الإحياء إلى ضمير الجلالة، تشريفًا لذلك المؤمن الذي عمل الصالحات. ولن تتوقف الخيرات عند هذا الحد؛ بل واستحقاقهم في الآخرة للأجر بأحسن ما كانوا يعلمون، والذي أكدَّ وعده بلام القسم ونون التوكيد، وهذا ما تشير إليه الآية في ختامها بقوله ـ سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾، وكل ما تم ذكره وسرده بيان وتبيان علمناه من الكتاب الحكيم، فمن المناسب ذكر بعض الآداب لهذا الكتاب الحكيم، ينبغي أن يتحلّى بها قارئ القرآن، وعندما قال الله ـ عز جاره: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [1]. عرفنا أن الله ـ عز شأنه ـ منَّ على محمد ﷺ بإنزال هذا القرآن العظيم الجامع لصفات الكمال، والمبين لكل شيء، وكان تبيانه لكل شيء بالكلمة الجامعة، وهي قوله ـ سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [2]. وما تبعه من آيات تأمر بالوفاء بالعهود والأيمان، والأعمال الصالحة، والتي لم تعلم إلا من هذا الكتاب، الذي له آداب عند الشروع في قراءته؛ ناسب أن يعقّب ببيان ذلك، وهي الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم حين القراءة، حيث قال الله ـ عز وجل: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [3]. والتعبير بالفاء في مستهل الآية للتفريع والتنويه بشأن القرآن [4]، فللقرآن آداب، من أهمها حين الاستفتاح بتلاوة هذا القرآن العظيم، الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، وكأنها تهيئة للنفس لتنظيفها من وسوسة الشيطان الرجيم، العدو الأكبر لبني الإنسان، واستقبالًا لكلام نفيس نزيه مقدس، وخلوص المشاعر إلى الله، لا

---

(1) سورة النحل، الآية٨٩.

(2) سورة النحل، الآية ٩٠.

(3) سورة النحل، الآية ٩٨.

(4) انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/٢٢٠، والمناسبة ذكرها صاحب التحرير، ونسبها إلى شرف الدين الطيبي، وقد ذكر القرطبي كلامًا مختصرًا قريبًا من الكلام المذكور. انظر: تفسير القرطبي، ج١٠/١٧٤.

يشغلها شاغل من عالم النجاسة والرجس والدنس، الذي يقوده ويمثله الشيطان الرجيم، فيقبل القلب والأعضاء قاطبة إلى آيات الله الكريمة، ويتأثر الإنسان؛ فينتج عنه لذة وطمأنينة وراحة نفس، وسلوك جيد يظهر بعد ذلك. وبعد أن بيَّن الله لقارئ القرآن أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم حين القراءة، وفعل ذلك واستعاذ، ناسب أن يُعقّب - عز شأنه - ببيان نتيجة ذلك التعوذ في قوله - سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩ ﴾[1]. والتعبير بقوله - عز وجل: ﴿ إِنَّهُۥ ﴾ المقصود به الشيطان، ولم يذكر هنا؛ لأنه ذكر في الآية السابقة؛ فالشيطان ﴿ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ ﴾، وعند الاستعاذة منه ينتفي سلطانه، ويقضى على وسوسته، يقول الله - تعالى وتبارك: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠ ﴾[2]، ويقول أيضًا: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦ ﴾[3]. وكون الإنسان يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم؛ فإنما تدلُّ على استجابته لأوامر الله - تبارك وتعالى - ولم تأت الاستجابة لفعل الأوامر وترك النواهي، إلا لأنه آمن بالله ورسوله؛ لذا عقّب - بعد ذلك - بقوله - تقدست أسماؤه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾. وذكر الإيمان بعد الأمر بالاستعاذة، تعني أن من استعاذ وآمن بالله، فهو محفوظ من تسلُّط الشيطان، وأمر ثالث مطلوب وهو قوله - سبحانه وتعالى: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾، وهذا الأمر هو التوكل على الله. والتعبير بالمضارع في قوله: ﴿ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ، يفيد التجدد والاستمرار والتكرار في التوكل على الله - سبحانه وتعالى. وبعد أن ذكر الله أدبًا من آداب القرآن حين تلاوته، وهو الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، وبيَّن أن هذه الاستعاذة تحميه من تسلُّط الشيطان ووسوسته، مع الإيمان بالله، والتوكل عليه حق التوكل؛ ناسب أن يُعقّب ببيان من يتولاه الشيطان ويتسلّط عليه، حيث قال - سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ١٠٠ ﴾

---

[1] سورة النحل، الآية ٩٩.

[2] سورة الأعراف، الآية ٢٠٠.

[3] سورة فصلت، الآية ٣٦.

[1]. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ ﴾ استئناف بياني؛ لأن مضمون الآية السابقة يثير سؤالًا فحواه؛ فعلى من يكون سلطانه ؟[2] والجواب ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾. والتعبير بالمضارع في قوله: ﴿ يَتَوَلَّوْنَهُۥ ﴾، يدل على تجدد واستمرار وتكرار اتباع الشيطان الرجيم، واتخاذه وليًّا، ونتيجة لتكرر اتباعهم للشيطان، وجعله الولي لهم؛ ناسب أن يُعقّب بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾، فهم أشركوا بسبب تسلط الشيطان عليهم، ووسوسته لهم بفعل كل ما يتصل بالشرك، وهذا ما يؤكده عود الضمير في قوله ـ تعالى: ﴿ بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾. والتعبير بالاسم في قوله تعالى: ﴿ مُشْرِكُونَ ﴾ يفيد الثبوت والدوام، فعندما تولوه طائعين له في وسوسته لهم؛ فقد وقعوا في جرمين في اللحظة نفسها، أما الجرم الأول، فهو اتباعه وطاعته فيما يوسوس لهم به، وأما الجرم الثاني، فكونهم يطيعونه فقد عبدوه، وما يؤكد ذلك طاعة اليهود والنصارى لأحبارهم ورهبانهم، حيث إنهم يحرمون الحلال، ويحلون الحرام؛ فأطاعهم قومهم، ووقعوا في شرك الطاعة، والذي أخبر الله عنه بقوله ـ سبحانه وتعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[3]. ويستمر السياق في تناسقه الموضوعي، وبعد أن بيَّن أن لهذا القرآن العظيم آدابًا ينبغي التحلي بها، كالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، وبيان أن الاستعاذة بالله مع الإيمان وحسن التوكل؛ تخزي الشيطان، وتقضي على وسوسته التي لا يسلطها إلا على من يتبعه ويتخذه وليًّا، ويتخذه معبودًا له بطاعته، بما يوسوس له به من خزعبلات شركية، وأفكار هدامة، ناسب أن يعقّب بذكر طعنهم في القرآن؛ نتيجة وسوسة الشيطان لهم، مستنكرين قضية النسخ، وجعلها فرصة سانحة لتكذيب الرسول ﷺ حيث قال الله ـ تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ

[1] سورة النحل، الآية ١٠٠.

[2] انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/٢٢٣.

[3] سورة التوبة، الآية ٣١.

ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾

﴾[٢]. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةً ﴾ تعظيم لله، وبيان أن النسخ بيده وحده دون سواه، وتأكيد على وقوع النسخ، وأن أمر النسخ أمر له شأن عظيم، وتبديل الآية في النسخ، يستلزم تبديل آية أخرى؛ لذا ناسب أن يعقّب بقوله: ﴿ مَّكَانَ ءَايَةٍ ﴾، وهذا التبديل له علله وحكمه التي لا يعلمها إلا الله، فهو أعلم بما ينزله إن كان ناسخًا أو منسوخًا؛ لذا عقّب بعد ذلك بقوله ـ تبارك وتعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾، وهنا التفات من التكلم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ﴾ إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ ؛ للإشارة إلى أن أمر النسخ من الله، والتعبير بالجملة السابقة، توبيخ للكفار لكونهم نسبوا الافتراء إلى محمد ﷺ لأجل التبديل والنسخ الذي أخبر الله عنه؛ لذا ناسب أن يعقّب بعد ذلك بقوله ـ سبحانه وتعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ ﴾. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ مُفۡتَرِۭۚ ﴾ ، أن لا صفة لك إلا صفة الافتراء. والتعبير في ختام الآية بقوله تعالى: ﴿ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ مناسب للسياق؛ فأكثرهم لا يعلمون حقيقة النسخ، ولا يعلمون حكمة الله من تبديل آية مكان آية؛ فالأمر لله من قبل ومن بعد. وبعد أن طعن الكفار في النبي ﷺ وقالوا: إنه نتيجة للنسخ؛ فإن هذا القرآن جاء به محمد من عند نفسه؛ ناسب أن يعقّب الله – سبحانه وتعالى- بأمر النبي ﷺ أن يخبرهم أن هذا القرآن الكريم من عند الله، وأن هذا التبديل الصالح، إنما هو بأمر الله، والذي يدلُّ على ذلك أن جبريل ـ عليه السلام ـ هو الذي أنزله من عند الله، حيث قال الله ـ تعالى وتبارك: ﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[١]. والأمر في قوله: ﴿ قُلۡ ﴾ ، موجها للنبيﷺ تكريمًا له وتشريفًا، وتسليته؛ لأنهم رموه بالافتراء، فكان الطعن موجه إليه، وإلى كتاب الله الكريم، ولا شك أن هذا كان يؤذي النبيﷺ وإشارة إلى الدفاع عن النبي ﷺ من الرب العظيم، والذي يجب علينا أن ندافع عنه، ونفديه بكل ما

---

(٢) سورة النحل، الآية ١٠١.

(١) سورة النحل، الآية ١٠٢.

نملك. والتعبير بقوله - سبحانه وتعالى: ﴿ نَزَّلَهُۥ ﴾ مناسب للسياق، فنزله تعني نزوله بالتدريج على حسب الأحوال والحوادث والمصالح، وتبديل آية مكان آية، لا يكون في تلك اللحظة نفسها، بل ربما تنزل الآية، وبعد أيام، وربما شهور أو سنين، تنزل مكانها آية أخرى، والتعبير بقوله - سبحانه وتعالى: ﴿ رُوحُ ﴾ ، بيان أن الروح يحيا بها البدن، فكذلك القرآن تحيا به القلوب. والتعبير بإضافة ﴿ ٱلْقُدُسِ ﴾ إلى جبريل - عليه السلام - يدل على طهره وقداسته من المآثم[1]. والتعبير بقوله - سبحانه وتعالى : ﴿ مِن رَّبِّكَ ﴾ ، تأكيد على تشريف النبي ﷺ وتشديد على أن القرآن لم يكن من عند محمد ﷺ ولكنه من الله العظيم في كل آياته وسوره، وكل أحكامه وقصصه، وناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومطلقه ومقيده، وكل أغراضه، وإن اختلفت؛ لذا عقَّب الله بعد ذلك بقوله: ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ . وتنزيل القرآن بناسخه ومنسوخه، ونزوله على قلوب المؤمنين، ليكون تثبيتًا لهم في دينهم، وزيادة لهم في إيمانهم، وحسن انقياد وتقبل لتغير الأحكام، وهداية لهم، بخلاف الكفار الذين لم يعجبهم تبديل آية مكان آية أخرى، فضلوا وأضلوا، ولم يستنفعوا بأحكام النسخ، التي منها التخفيف والتسهيل على الأمة؛ لذا ختم الآية بقوله: ﴿ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾. ويستمر السياق في سرد قضايا قرآنية مهمة، فبعد تذكير رسول الهدى ﷺ بتهيئة نفسه، ونفوس المؤمنين حين الإقبال على قراءة الكتاب العظيم، وتطهيرها من النجس الشيطان الرجيم، ووسوسته التي تدعو إلى الكفر، والتي عصم الله منها المؤمنين المتوكلين على ربهم، ووقع فيها الكفار الذين اتبعوا الشيطان واتخذوه وليًّا، فعبدوه بطاعتهم له، وبشركهم، وبنشر الأباطيل والمزاعم التي تطعن في رسول الهدى ﷺ وفيما جاء به من الذكر الحكيم، والذي كان من مقتضياته النسخ؛ فكانت الفرصة مواتية لمن استسلموا لوسوسة الشيطان، فقالوا: كيف يكون من عند الله وفيه تبديل آية مكان آية ؟ إنه لا شك - في زعمهم - افتراء وكذب من محمد - حاشاه - وحينما رد الله عليهم أنه كتاب منزل من عند الله، نزل به الملك المقدس، الطاهر من النقائص والمآثم؛ ناسب أن يذكر الله بعد ذلك وسوسة أخرى بثها الشيطان في نفوسهم، فنطقت بها أفواههم، حيث يزعمون أن

---

(1) انظر: تفسير الزمخشري، ج٢/٦٣٣، بتصرف.

هذا القرآن ليس من عند الله، وإنما تعلمه محمد من غلام أعجمي، حيث قال الله - تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [1] والتعبير بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ ﴾ باللام، وقد، والفعل الماضي؛ تدلُّ على تأكيد علم الله - سبحانه وتعالى - وتحققه في كل شيء، وخصوصًا في مقولتهم التي عبَّر الله عنها بقوله - جل وعز: ﴿ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾ . والتعبير بالفعل المضارع وأن في قوله: ﴿ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ﴾ ، حيث علم الله أن الكفار يكررون ويجددون مقولتهم الشنيعة، بأن القرآن ليس من عند الله، ولم ينزل به جبريل إلى رسول الله، ولكن محمدًا تعلَّم هذا الكلام من بشر لا ملك. واستمرارًا للسياق عقَّب الله - عز وجل - بكنه هذا البشر الذي يدعونه، حيث قال سبحانه: ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ ﴾. والتعبير بقوله - سبحانه وتعالى وتقدس: ﴿ لِّسَانُ ﴾، يدلُّ على القرآن الكريم؛ لأنه يُقرأ باللسان، والعرب تقول: هذا لسان فلان، تريد كلامه [2]. والتعبير بقوله: ﴿ يُلْحِدُونَ ﴾ ، يفيد عدولهم عن كلام الله الحق المعتدل، من كون أن النبي ﷺ لم يفتر هذا القرآن من عند نفسه، وأنه نزل عليه من ربه عن طريق روح القدس، ولكنهم كلما قامت عليهم حجة بصدق هذا النبي، وأن القرآن من عند الله؛ مالوا إلى فرية أخرى. وآخر هذه الافتراءات، أن النبي ﷺ تعلَّم هذا القرآن من البشر، حيث إنهم مالوا عن الجادة، وهذا الذي اختاروه، إنما هو أعجمي، وهو الذي لا يبين عن مراده، من كل ناطق لا يفهمون ما يريده؛ ولذلك سموا الدواب بالعجماوات، والياء في قوله - سبحانه وتعالى وتقدس: ﴿ أَعْجَمِىٌّ ﴾ ياء النسب [3]؛ وذلك لتقوية المعنى، بوصفه أعجميًّا لا يقدر على الإفصاح، ولا يستطيع على الإبانة. وإذا كان أعجميًّا، وغير مبين، فالقرآن ضد العجمة، فهو عربي، وضد عدم الإبانة، فهو مبين؛ لذا ناسب أن يختم الآية بقوله - عز شأنه: ﴿ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ . والتعبير باللسان مرة أخرى، مع دلالة السياق عليه؛ إظهار لتعظيم القرآن، ودليل على أنه منزل من عند الله، فحجتكم التي كانت لكم أصبحت عليكم.

---

(1) سورة النحل، الآية ١٠٣ .

(2) انظر: تفسير الماوردي ،ج٣ص/٢١٤ .

(3) انظر: التحرير والتنوير،ج١٣ص/٢٣٠ .

ونتيجة لرد حجتكم، علمنا كذبكم، وصدق محمد ﷺ ولما ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ موقف الكفار من تبديل آية مكان آية أخرى، واستغلالهم للفرصة في تكذيب محمد ﷺ والطعن في القرآن الكريم، وأن هذا التبديل ليس من عند الله ـ كما زعموا ـ ورد الله عليهم حجتهم الواهية بحجة قوية، لعلهم يرجعون عن غيهم وبهتانهم ، وذكر أن هذا القرآن نزل به الملك المقدس جبريل ـ عليه السلام ـ من عند الله إلى نبي الله ﷺ تثبيتًا وهداية، وبشرى لمن أذعن، وهي دعوة أخرى للكفار لعلهم يؤمنون، ولكنهم ما زالوا يواصلون غيهم، فافتروا فرية أعظم مما سبق، حيث جعلوا من النبي متلقيًّا، ولكن هذه المرة من بشر أعجمي، لا يعرف العربية التي نزل بها القرآن الكريم؛ وقد ناسب أن يعقّب بأن غرض هؤلاء الكفار، ليس البحث عن أسباب الإيمان والمجادلة الموضوعية التي تنتهي بالاقتناع، وإنما غرضهم جحد آيات الله، وتكذيب رسوله، والطعن في كتابه الكريم؛ لذا قال الله ـ سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾[1]. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ ، مقصوده أنهم كلما مرَّ بهم آية من آيات الله القرآنية، فإنهم يحاولون جاهدين في بث شبهة من شبهاتهم المزيفة، وعند تبديل آية مكان آية، لم يستسلموا لله وينقادوا مؤمنين طائعين، وأثاروا شبهة للتشكيك في القرآن، فنسبوا الافتراء إلى المصطفى، ولما ردَّ الله عليهم بتفنيد شبهتهم، والانتصار لمحمد ﷺ كانت فرصة لهم ليؤمنوا، ولكنهم تمادوا، فجعلوا هذا القرآن من عند بشر أعجمي، يعلم به محمدا، فحكموا على أنفسهم بالضلال، واختاروا طريق الشر، بعد أن بيَّن لهم طريقي الخير والشر. ولن يوفقهم الله لإصابة الحق، ولن يهديهم سبيل الرشاد في الدنيا؛ لذا عقَّب الله بقوله: ﴿ لَا يَهۡدِيهِمُ ٱللَّهُ ﴾ ، ولن يتوقف عقابهم عند هذا الحدِّ؛ نتيجة جرمهم وتعديهم السافر على كتاب الله، وشخص رسول الله ﷺ بل لهم في الآخرة عذاب مؤلم موجع؛ تهديدًا لهم، وتوبيخًا لأفعالهم الشنيعة؛ لذا ختم الآية بقوله سبحانه: ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾. وبعد أن بيَّن الله ـ سبحانه ـ حججهم الواهية، والتي كان أولها الاستغراب من النسخ في القرآن، والذي وجدوه فرصة كبرى للنيل من الرسول ﷺ والطعن في القرآن الكريم؛ نتيجة وسوسة الشيطان لهم وتسلطه عليهم؛ فسارعوا إلى وصف الرسول ﷺ بالافتراء، وأنه اختلق القرآن

---

[1] سورة النحل،الآية ١٠٤ .

الكريم من تلقاء نفسه، وجاء الرد عليهم من الله؛ دفاعًا عن كتابه ورسوله، وبيان أن القرآن مُنزَّل من عند الله، نزل به الملك المقدس جبريل ـ عليه السلام ـ على قلب محمد ﷺ تثبيتًا للمؤمنين، وهداية وبشرى لإيمانهم وتصديقهم بالقرآن وبالنبي؛ فسارعوا كعادتهم في إثارة شبهة أخرى تنصُّ على أن القرآن من عند رجل أعجمي، تلقفه النبي ﷺ وجاء الرد عنيفًا من الله، إذ كيف يتعلم القرآن من بشر، ولسانه أعجمي، ولسان القرآن عربي؟! ولكنها النفوس الخبيثة الكافرة، التي توعدها الله في الدنيا والآخرة؛ نتيجة كذبهم المتوالي، وافترائهم على الرسول ﷺ ولهذا فمن المناسب أن يعقّب بعد ذلك ببيان المفتري الحقيقي، إنه أنتم، لا محمد ﷺ حيث قال ـ جل في علاه: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [(١)]. والتعبير بـ ﴿ إِنَّمَا ﴾ في صدر الآية، والتي تفيد الحصر أن ما بعدها، وهو قوله تعالى: ﴿ يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ﴾ ، يدل على أن الكذب من أفحش الفواحش وأكبر الكبائر، ولا يقدم عليها إلا من كان من ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ . والتعبير بالمضارع في قوله ـ سبحانه وتعالى: ﴿ يَفْتَرِي ﴾ ، تعد ردًّا على قولهم ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ﴾ . فافتراؤهم متكرر متجدد، وأيضًا لرعاية المطابقة بين ﴿ يَفْتَرِي ﴾ و ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [(٢)]. وإذا علمنا قاعدة من القواعد القرآنية، بأن من يفتري الكذب، هو الذي لا يؤمن بالله ـ سبحانه وتعالى ـ علمنا أيضًا أن أشهر من يُوصف بذلك، أولئك الذين افتروا على محمد ﷺ وطعنوا في مصداقيته، وفي القرآن العظيم؛ لذا ناسب أن يختم الآية بقوله ـ تبارك وتعالى: ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾ . والتعبير في الجملة السابقة، يؤكد على رسوخ الكذب فيهم، وهي من عاداتهم وصفاتهم.

وبعد أن بيَّن الله حجج الكفار الباطلة، ومستنداتهم الواهية حيال القرآن العظيم والرسول الكريم، من تكذيب للنسخ، وأنه نتيجة لذلك، فإن القرآن من عند نفسه لا من الله، وقد رد الله على حجتهم بالتأكيد منه – سبحانه- أن القرآن حق وصدق، نزل به جبريل ـ عليه السلام ـ على قلب النبي الأكرم ﷺ وقد أوجدوا حينها حجة واهية، وهي أن القرآن لم

---

(١) سورة النحل، الآية ١٠٥.

(٢) انظر: تفسير أبو السعود، ج٤/١٥٥.

يأتِ به من عند نفسه، وإنما علّمه بشر أعجمي، ورُدَّت حجتهم بأن القرآن عربي مبين، وهذا البشر الذي تزعمون أنه يعلم محمدا ﷺ إنما هو أعجمي فكيف ذلك؟! وفي كل مرة يكفرون؛ فعاقبهم الله في دنياهم، وسيعاقبهم في أخراهم. ويستمر السياق في ذكر الكفار، ولكن في هذه الآيات يتكلّم عن صنف آخر من الكفار؛ لذا ناسب أن يقول وقوله الحق: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [1]. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ ﴾ ، بيان للمرتد الذي ذاق طعم الإيمان، ثم كفر، وتخصيص الكلام عن المرتد؛ لعظم جرمه ودناءة فعله، إذ كيف يكفر من تغلغل الإيمان في قلبه؟ وكيف يستبدل الأدنى بالذي هو خير؟ ولكن هل كل من كفر بعد إيمانه يعاب عليه مطلقًا؟ الجواب ذكره الله عقب ذلك حيث قال - سبحانه وتعالى: ﴿ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾، فالمكره لا يكفر، ولا يكون مرتدًا، وهذا دليل على رحمة الله بخلقه، وسماحة الإسلام ويسره، ومحافظته على النفس، فهو معذور بنطق كلمة الكفر إن أكره، شريطة أن يكون قلبه مطمئنًا بالإيمان. والتعبير بالمبني المجهول بقوله - سبحانه وتعالى: ﴿ أُكۡرِهَ ﴾ ؛ لكثرة الذين يكرهون الناس على الكفر، ولأن الغاية من ذكر ذلك، هي بيان أمر الإكراه لخطورته وتفشيه [2] .وهذا النوع من الكفر لا يصنَّف من أنواع الكفر وليس بردة؛ لأن نطق الكفر باللسان دون القلب، لا يكون معه تعلُّق لا بكفر ولا بإيمان، وما دام اللسان فقط هو الذي عبَّر لأجل الإكراه، والقلب لم ينشرح؛ فهو في مأمن، والخطورة كل الخطورة في ذلك الذي عقَّب الله بذكره، فقال: ﴿ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا ﴾، والتعبير بالجملة السابقة يبيِّن حال ذلك الكافر، الذي فتح قلبه لاستقبال الكفر وقبوله، فهو مقر بلسانه، معتقد بقلبه؛ لذا استحق العقوبة التي ذكرها الله في ختام الآية، حيث قال: ﴿ فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ . والتعبير بالجملة الاسمية في قوله تعالى: ﴿ فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ ﴾ يفيد دوام واستمرار الغضب، الذي لا يعقبه عفو وصفح ومغفرة، وتقديم

---

(1) سورة النحل، الآية ١٠٦ .

(2) انظر: التفسير البياني،ج١ص/٢١٣ .

الخبر المجرور على المبتدأ؛ للاهتمام بأمرهم[1]. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ؛ لتذكيرهم بأن الله هو الخالق القادر على كل شيء، لا أصنامكم وآلهتكم. ونظرًا لجرمهم وقبيح فعلهم، لم يكتفِ الله بالغضب عليهم، بل أعدَّ لهم عذابًا عظيمًا يوم القيامة. ولما ذكر الله استحقاق هؤلاء المرتدين الغضب، والعذاب العظيم؛ نتيجة أنهم وقعوا في منكر عظيم، وجرم خطير، ألا وهو الردة. وبعد أن عرفوا طريق الخير وتنكصوه، ناسب أن يعقِّب أن استحقاقهم للغضب والعذاب، كان أمرًا حتميًّا لردتهم، ولأنهم فضلوا حبَّ الدنيا وزخرفها على نعيم الآخرة، وآثروا العافية مع الردة، وكرهوا البلاء مع الإيمان، حيث إنهم كانوا تابعين موالين للشيطان، مختارين للضلالة على الهداية، ولهذا قال الله ـ عز شأنه وتقدست كلماته: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [2]. والتعبير باسم الإشارة ﴿ ذَٰلِكَ ﴾، يعود على ما أعدَّه الله للمرتد من غضب لا عفو بعده، ومن عذاب عظيم يوم القيامة يستحقه. والتعبير بالباء السببية في قوله تعالى: ﴿ بِأَنَّهُمُ ﴾ ، لبيان سببهم الشنيع، وهو ارتدادهم. والضمير في قوله: ﴿ بِأَنَّهُمُ ﴾ ، يعود على هؤلاء المرتدين. ويستمر السياق في سرده، ببيان سبب استحقاقهم للغضب والعذاب العظيم، حيث قال الله تعالى: ﴿ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾. والتعبير بقول الحق ـ سبحانه ـ في الجملة السابقة، يدل على أن حبهم للحياة لم يكن حبًّا عاديًّا، بل حبًّا شديدًا، وتضمين ﴿ ٱسْتَحَبُّوا۟ ﴾ معنى (فضلوا) بحرف ﴿ عَلَى ﴾ ؛ جعلهم مبالغين في حب الدنيا والإقبال عليها، مستغرقين في حبها، مقدمين نفع الدنيا على نفع الآخرة، ويعني هذا أنهم قد عرفوا حقيقة الإسلام، وما تركوه إلا خوفًا من الفتنة، أو رغبة في التلذذ بالدنيا الدنية، ويقودنا هذا إلى عظم جرم المرتد، وكبر ذنبه، حتى على الكافر من أول الأمر ـ والله أعلم [3]. وختم الآية بقوله ـ سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ليبين أن المرتد حين استحق الغضب والعذاب العظيم، إنما ذلك نتيجة حتمية لاتخاذه الشيطان وليًّا، ولعبادته إياه بطاعته في السير قدمًا نحو الضلالة، والابتعاد عن طريق

---

[1] انظر: التحرير والتنوير ،ج١٣ص/٢٣٥ بتصرف .

[2] سورة النحل، الآية ١٠٧.

[3] انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/ ٢٣٨، بتصرف.

الهدى، وتسلُّط الشيطان عليه وتمكُّنه منه؛ فاستحق أن يكون ضالًا مضلًا، ولن يهديه الله نتيجة لاختياره الكفر. وبعد أن بيَّن الله عقوبة المرتد بغضب الله عليه، ووعيده بالعذاب العظيم؛ لاستحبابه الدنيا وتفضيلها على الآخرة، وطاعته وعبادته للشيطان، الذي وسوس له الكفر، وحُرم من الهداية؛ ناسب أن يُعقّب ببيان أن حرمانهم الهداية؛ بسبب حرمانهم الانتفاع بوسائلها، فالقلوب معطوبة، والآذان صماء عن سماع الحق، والأبصار عليها غشاوة، وبها عمى عن النظر في آيات الله والانتفاع بها؛ لذا ناسب أن يُعقّب بقوله ـ تبارك وتعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٠٨ ﴾[1]. والتعبير باسم الإشارة في صدر الآية بقوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ لهؤلاء المرتدين؛ إشارة لتحقيرهم، وتحقير صنيعهم، وإعلام الناس بسوء صنيعهم، والتشهير بهم وبفعلتهم الشنيعة؛ لذا أعقب الكلام بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ﴾ ، حيث إنهم حُرموا وسائل الهداية، حيث قال: ﴿ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ ﴾. والتعبير بالجملة السابقة، يؤكد أن لا أمل لهم بهداية، فقلوبهم مختوم مطبوع عليها، وكأنها مغلقة موثقة، لا يصل إليها خير، ولا يدخل إليها إيمان، وسمعهم لا يسمع إلا ما تتلوه عليهم الشياطين من شر وكفر، ولكنها صماء حين سماع الإيمان وكل خير، وأبصارهم أصابها العمي، فلا تُبصر آيات الله الدالة على وحدانيته، والموجبة للإيمان به؛ وكل ما سبق نتيجة حتمية لغضب الله. وتلك الحالة البائسة التي أصبحوا عليها ، لا شك أن حالهم بعد ذلك كحال البهائم التي لا تسمع ولا تعقل؛ لذا ناسب أن يعقّب بختام الآية بقوله ـ تقدست كلماته: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴾. وبعد أن بيَّن الله أن هؤلاء الذين بدلوا إيمانهم بكفر، استحقوا الغضب عليهم من الله، فمنع عنهم الهداية، وحرمهم بوسائل الانتفاع بها، فقلوبهم مسكرة مغطاة عن قبول الحق، وأسماعهم صماء عن سماع الخير، وأبصارهم عميت عن النظر إلى الدلائل المشيرة إلى الإيمان بالله، والنظر إليها نظر اعتبار، وكأن الله يبيّن فيما سبق غضبه عليهم؛ لذا ناسب أن يعقّب ببيان العذاب العظيم في الآخرة، ألا وهو الخسران العظيم، حيث قال ـ جل في علاه: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٠٩ ﴾[2]. والتعبير بمؤكدين

---

[1] سورة النحل، الآية ١٠٨.

[2] سورة النحل، الآية ١٠٩.

هما: ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ ، وأن في قوله: ﴿أَنَّهُمْ ﴾ ؛ للتأكيد على سوء حال المرتدين يوم القيامة، حيث قال: ﴿ فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾. وتقديم الجار والمجرور في قوله: ﴿ فِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ له مدلوله، فهؤلاء المرتدون الذين حكى الله عنهم في قوله ـ سبحانه وتعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [1]، وبين أنهم بالغوا أشد المبالغة في حب الدنيا، حتى أنهم فضلوها على الآخرة، ومن شدة حبهم للدنيا، نسوا أن هناك آخرة، وقد ذكر هنا ﴿ فِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾؛ ليذكرهم بالآخرة التي تناسوها، والتعبير عقب ذلك بقوله تعالى: ﴿ هُمُ ﴾، يفيد تخصيص هؤلاء المرتدين بأنهم هم ﴿ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾. والتعبير بالكلمة السابقة، كأن لا أحد غيرهم خاسر، وأن خسارتهم فادحة وعظيمة، نسأل الله العافية والسلامة.

وعندما ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ في موضوع بيان ما في القرآن من أحكام الردة في قوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [2] .صدَّر الله ـ سبحانه ـ الكلام عن ذلك الذي أكرهه الكفار على النطق بكلمة الكفر، ولكن قلبه عامر بالإيمان، وانتقل إلى ذلك المرتد الذي لم يكتفِ لسانه بنطق الكفر، بل هيأ قلبه لاستقبال الكفر، وبيان استحقاقه لغضب الله، والعذاب العظيم؛ لتفضيلهم الدنيا على الآخرة، فحرموا الهداية ووسائلها؛ فطُبع على قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم؛ فصاروا غافلين، وفي الآخرة خاسرين. وقد ناسب أن يعيد – سبحانه- السياق إلى الذين كفروا بألسنتهم؛ نتيجة التعذيب لهم من أهل الكفر، ولكن قلوبهم عامرة بالإيمان، أقول: ناسب أن يُعيد السياق؛ لتبشيرهم بالمغفرة والثواب، حيث قال ـ سبحانه وتعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [3]. والتعبير

---

(1) سورة النحل، الآية ١٠٧.
(2) سورة النحل ، الآية ١٠٦ .
(3) سورة النحل، الآية ١١٠.

بالعطف في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ﴾ ؛ للتراخي الرتبي، وبيان الفرق بين من كفر بلسانه إكراها، وقلبه ينبض بالإيمان، ومن كفر بكل جوارحه، وارتد عن الإسلام، وتقديم ﴿إِنَّ رَبَّكَ ﴾ على الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ ﴾؛ لبيان ناصرهم، وهو الله ـ سبحانه ـ وبيان عظمته وعلو مكانته، وأنه فوق كل قوة، وهو خطاب تشريف للنبي ﷺ وتبشير له ﷺ بأن صحبه الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ الذين نطقوا بكلمة الكفر، وقلوبهم تفيض بالإيمان، فإن ربهم يغفر لهم لسلامة قلوبهم، وصدق إيمانهم، واللام في قوله: ﴿لِلَّذِينَ ﴾؛ لاختصاصهم دون غيرهم[1]. وهم لم يهاجروا ويتركوا الأوطان، والبيوت، والأموال، والأهل، والأولاد إلا ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ﴾؛ فنطقوا بكلمة الكفر، وقلوبهم كانت تفيض بحب لله ورسوله؛ لذا حين سنحت الفرصة لهم بالهرب، كانوا أسودًا ينافحون عن الدين بأموالهم وأنفسهم؛ تأكيدًا على طهارتهم من دنس الكفر؛ لذا عقَّب بعد ذلك بقوله ـ تقدست كلماته وجل ثناؤه: ﴿ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ ﴾. والتعبير بالعطف في قوله: ﴿ ثُمَّ ﴾ للتراخي؛ لأن الجهاد كان بعد الهجرة بمدة [2] .ونتيجة لأفعالهم الصالحة غفر الله لهم على نطقهم بالكفر بألسنتهم؛ لذا عقَّب بعد ذلك بقوله ـ سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾، وأعيد قوله تعالى في الجملة السابقة؛ لأنه نوع من أنواع التكرار، وفائدته إذا طال الكلام، وخشي من تناسي الأول، أُعيد ثانيًا؛ تطرية له وتجديدًا لعهده [3]ولتبشير النبي ﷺ ولبيان اعتناء الله به، ولمغفرته وعفوه عن أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ وختم الآية بقوله ـ جل في علاه: ﴿لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾؛ ليناسب الكلام، فبعد نطق الكفر باللسان دون القلب لأجل الإكراه، وعمل الصالحات بعد ذلك، فالوعد من الله بالمغفرة رحمة منه ـ سبحانه ـ وهي كذلك تأكيد لتبشير من وقع في ذلك.

ولما ذكر الله حال من نطقوا بالكفر بألسنتهم، وقلوبهم مطمئنة بالإيمان؛ نتيجة فتنتهم وإكراههم من المشركين، وذكر أنه بعد هجرتهم وجهادهم في سبيل الله، وعدهم بالمغفرة.

---

[1] انظر: زهرة التفاسير، ج٨/٤٢٨١، بتصرف.
[2] انظر: التفسير البياني ،ج١ص/٢٢١ بتصرف .
[3] انظر: الإتقان ،ج٢ص/١٨٠ .

ولما ذكر حال ذلك الذي آمن، ولكنه سرعان ما ارتد، وأقبل على الكفر، منشرحًا به صدره؛ لتفضيله الدنيا على الآخرة؛ طاعة للشيطان، واتباعا لوسوسته؛ توعده بالغضب عليه، وحرمانه الهداية ووسائلها من ختم على قلبه، وعلى سمعه، وعلى بصره؛ فصار غافلًا وخاسرًا؛ لاستحقاقه العذاب العظيم، ولما ذكر أحوالهما ووعده ووعيده، ناسب أن يذكر حالهما يوم الوفاء، مع إعطاء كل طرف الفرصة؛ ليدافع عن نفسه، ويبرر فعلته، حيث قال -تبارك اسمه: ﴿ ۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [1] .والتعبير بقوله -سبحانه وتعالى:﴿ يَوْمَ ﴾، والمقصد به يوم القيامة، والتعبير بقوله تعالى عقب ذلك: ﴿ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ ﴾، وتعني كل الأنفس، وهذا من عدل الله ورحمته وإنصافه، أن أذن لكل نفس أن ﴿ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا ﴾، والنفس الكافرة تجادل عن نفسها، فإذا جادل الكفار بكذبهم وجحدهم للكفر، شهدت عليهم الجوارح والرسل وغير ذلك بحسب الطوائف، فحينئذ لا ينطقون، ولا يؤذن لهم فيعتذرون، فتجتمع آيات القرآن باختلاف المواطن. والتعبير بالنفس الأولى في الآية، هي النفس المعروفة، أما التعبير بالنفس الثانية، فهي الذات، كما تقول: نفس الشيء وعينه، أي ذاته [2]والتعبير بقوله تعالى: ﴿ وَتُوَفَّىٰ ﴾، يفيد التأكيد على أن الله لا يظلم مثقال حبة، وسيعطي كل نفس ما تستحقه، سواء كانت تلك النفس مؤمنة، أم كانت كافرة؛ لذا عقّب بقوله تعالى: ﴿ وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ ﴾، تكفي للدلالة على سلامة الخلق من الظلم، ولكنه ختم الآية بقوله تعالى: ﴿ وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾؛ لمزيد التأكيد على عدله -سبحانه وتعالى- ولتحقيق وعده ووعيده، ولبيان أن الظلم لن يتجدد عليهم ظاهرًا وباطنًا [3].

---

(1) سورة النحل ، الآية ١١١ .
(2) انظر: تفسير ابن عطية ج٤ص/٢٠٣ .
(3) انظر : نظم الدرر ج٤ص/٣١٦ بتصرف .

المقصد الثاني: كفران النعمة وحلال السورة وحرامها، ويشمل الموضوع التالي: كفر النعمة وحلالها وحرامها، ويشمل الآيات (١١٢ ـ ١١٩):

النص القرآني قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ ﴾[١].

بعد أن هدَّد الله الكفار، وتوعدهم بالعذاب العظيم؛ نتيجة كفرهم بعد إيمانهم، أو كفرهم مطلقًا، وسؤال كل نفس عما عملت، ناسب أن يُعقّب بقدرته على إيقاع العذاب في الدنيا أيضًا، كما أوقعه على أهل قرية بحرمانهم من الأمن والاطمئنان والرزق، بعد أن كانوا آمنين مطمئنين مرزوقين؛ نتيجة كفرهم بنعمة الله، حيث قال ـ تبارك اسمه: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[٢]. والتعبير بالماضي في قوله ـ

---

[١] سورة النحل من الآية ١١٢، وحتى الآية ١١٩.

[٢] سورة النحل، الآية ١١٢.

سبحانه وتعالى: ﴿ وَضَرَبَ ﴾ ؛ للتشويق لكي يلتفت إليه بإمعان، والتعبير بإضافة الضرب إلى الله ـ جل جلاله- تشريف له، وتنويه به، وبيان أهمية هذا المثل المضروب [1]. وما يؤكد أهمية هذا المثل، كون المثل مبهمًا، تنبيها للسامع، ثم فسره بقوله ـ تقدست كلماته: ﴿ قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ﴾ ، وتقديم الطمأنينة على الأمن؛ لتحتم انعدام الأمن إذا انعدمت الطمأنينة، فلا أمن إلا بطمأنينة. والأمن أنواع، وربما كان الأمن الغذائي مقصودًا في الآية؛ لأنه عقَّب بعد ذكر الأمن بقوله: ﴿ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ ﴾. والتعبير بالفعل المضارع في قوله ـ عز شأنه: ﴿ يَأْتِيهَا ﴾، يفيد التجدد والاستمرار، حتى أن من استمرارية هذا الرزق لأهل هذه القرية، واعتيادهم عليه، عقَّب بقوله: ﴿ رِزْقُهَا ﴾، وكأن هذا الرزق رزقهم. ومعلوم أن الرزق بيد الله، ولكن لكثرة هذا الرزق وتجدده واستمراره، فإنه أصبح عادة وأمرًا مألوفًا، يألفونه كل يوم. وهذا الرزق ليس رزقًا عاديًا، بل هو رزق رغيد كثير واسع، لا يعييك من مال، أو ماء، أو عيشٍ، أو كلاء [2]. وليس عند هذا الحد، بل الرزق يصلها من كل مكان، وقد تكون النعمة نقمة، إذا لم نحسن استخدامها. ونظرًا لكثرة رزق الله وسعته لأهل هذه القرية، فقد أصبحت بطرة؛ فناسب أن يعقِّب بعد ذلك بقوله ـ سبحانه: ﴿ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ ﴾، والفاء للتعقيب والترتيب، وهذا من تحول النعمة إلى النقمة، فالمفترض شكر الله، لا نكرانه – سبحانه- وهذا الترتيب والتعقيب من قِبلهم، يستحقون عليه التوبيخ، ورفع هذه النعمة التي حولوها إلى نقمة. والتعبير بجمع القلة في قوله تعالى: ﴿ بِأَنْعُمِ ﴾، أن كفركم بنعم الله العظيمة هذه لا تساوي شيئًا من نعمه وأفضاله التي لا تعد ولا تحصى. وإضافة النعم إلى الله؛ لبيان أن الله وحده هو المنعم، لا أحد سواه؛ فكانت نتيجتهم مؤلمة، حيث عقَّب الله بقوله تعالى: ﴿ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ ؛ فبعد الاطمئنان والأمن والبطر، انقلب حالهم إلى الجوع والخوف؛ نتيجة كفرهم بنعمة الله، وتسمية الجوع والخوف باللباس؛ لأنه قد يظهر

---

[1] انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/٢٤٤، بتصرف.

[2] انظر: لسان العرب، ج٣/١٨٠، بتصرف.

عليهم من الهزال، وشحوبة اللون، وسوء الحال ما هو كاللباس [1]. وبعد أن ضرب الله هذا المثل لتلك القرية، التي كانت في نعيم مقيم، ولكنها كفرت بمنعم تلك النعم، فاستحقت محو تلك النعم وإبدالها بنقم؛ ناسب أن يعقّب بأن أهل هذه القرية لم يرفع نعمه عنهم، إلا بعد أن أرسل لهم رسولًا من جنسهم، ولكنهم لم يكفروا بنعم الله وحسب، بل وكذبوا هذا الرسول؛ فأوقع الله بهم العذاب، حيث قال -جل وعز: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [2]. والتعبير بالواو العاطفة؛ لتأكيد اتصال السياق، وتناسب الموضوع. والتعبير باللام وقد في مستهل الآية؛ تنبيه وإعلام للسامعين بهذا الخبر؛ للتحذير من الوقوع في مثل ما وقع فيه أهل القرية المحكي عنهم [3]. والتعبير بالماضي في قوله: ﴿ جَآءَهُمْ ﴾، يؤكد أن هذه القرية ليست مكة، وكأن محمد ﷺ يخبر، ليعتبر كفار مكة والناس أجمعون، والتعبير بقوله تعالى: ﴿ رَسُولٌ مِّنْهُمْ ﴾، يفيد المزيد من التوبيخ لهم، فهذا الرسول عايشهم لحظة النعيم، وعرف كفرهم وجحدهم لنعمة الله، فناصحهم، ولكنهم كفروا بنعمته، ولم يتوقفوا عند هذا الحد، بل كذبوه في دعوته؛ لذا ناسب الله أن يعقّب بعد ذلك بقوله: ﴿ فَكَذَّبُوهُ ﴾. والتعبير بالفاء يدلُّ على سرعة تكذيبه، وعدم الاقتناع بدعوته؛ لأنهم أصلًا لم يستجيبوا له حين حذَّرهم من كفر النعمة، ولأن استجابة هؤلاء غير ممكنة، عقَّب الله بقوله: ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾، وكان عذابه شاملًا مهلكًا، يدلُّ على ذلك قوله: ﴿ فَأَخَذَهُمُ ﴾. وختم الآية بقوله: ﴿ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ ﴾ مناسب، فلم يأخذهم الله دون إرسال رسول منهم ومن جنسهم، بشر غير مخلوق خلقًا آخر، لكي لا يكون لهم عذر، وحذّرهم من مغبة كفر النعمة، فلم يستجيبوا، فعذبهم الله بحرمانهم من النعم، ولكنهم تمادوا، حتى وصل بهم الأمر إلى تكذيب الرسول الذي أرسل إليهم، فكانوا ظالمين؛ لعدم الاعتراف بأن النعمة من الله، وكانوا ظالمين أيضًا؛ لعدم صرف العبادة لمستحقها، وهو الله -سبحانه وتعالى.

---

(1) انظر: تفسير الماوردي، ج٢١٧/٣ بتصرف.

(2) سورة النحل، الآية ١١٣.

(3) انظر: التحرير والتنوير، ج٢٤٨/١٣، بتصرف.

وبعد أن ضرب الله مثل القرية التي كانوا فيها آمنين مطمئنين، مرزوقين رزقًا رغدًا من كل مكان، سلب الله عليهم كل هذا الخير؛ لجحدهم النعمة، وأبدلهم جوعًا وخوفًا، وواصلوا عنادهم، فكذبوا رسولهم الذي أُرسل إليهم؛ ومن ثم فقد ناسب أن يبيِّن الله أهمية شكر النعمة، ووجوب شكر الله عليها، ووجوب اتباع نبيكم محمد ﷺ كيلا يحل بكم ما أحل بأهل القرية، حيث قال - تقدَّس اسمه: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ (1). والفاء في صدر الآية للتفريع، حيث إنها تؤكّد الترابط والتلاحم بين هذه الآية وما سبقها في سياق متصل، فلا يكن حالكم كحال أهل القرية التي مثلناها لكم، وأمرهم بالأكل، شريطة أن يكون حلالًا وطيبًا. والتعبير بالأمر هنا، يفيد أن أهل القرية الذين حرموا مما كانوا فيه من نعم، ليس لأن الله رزقهم الرزق الطيب الواسع، ولكن لكفرهم وجحدهم أنعم الله؛ فلا بأس ولا حرج عليكم أن تأكلوا مما رزقكم الله، شريطة أن يتصف هذا الرزق بحلاله وطيبه، حيث قال: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾. والتعبير بإسناد الرزق إلى الله؛ تذكير لهم بأن الله هو الرازق المنعم، فلا تقعوا في كفران النعمة، كما وقع أهل القرية. والتعبير بكونه حلالًا، حيث إن كل ما حُرِّم ممنوع عليكم، والتعبير بكونه طيبًا، حيث إن كل ما خبث حرام عليكم؛ ويعني هذا ألا تحرموا ما أحل الله، ولا تحلوا ما حرمه الله. ومع كل ما سبق، لا تنسوا أن الله هو الذي رزقكم وأنعم عليكم، فلا تقابلوا هذا بكفر النعمة؛ لذا عقَّب بعد ذلك بقوله - جل وعز: ﴿ وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ . والتعبير بلفظ الجلالة أيضًا؛ لتذكيرهم بأن الله هو المنعم لا أحد غيره، وأنه وجب عليكم حينئذ شكره. واعبدوا الله، وأطيعوا رسوله، وقوموا بما أمركم به، واجتنبوا ما نهاكم عنه؛ لذا ختم الآية بقوله تعالى: ﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾. والتعبير بالجملة السابقة، دعوة إلى إقامة النفوس كما تقول للشخص: إن كنت من الرجال، فافعل كذا، على معنى إقامة نفسه (2). وبعد أن أباح الله الأكل لهم، مشترطًا عليهم أن يكون حلالًا وطيبًا، مع شكر الله على نعمه وعدم كفرانها، وعبادة الله وحده دون سواه، ناسب أن يعقّب بحصر المحرمات من ميتة، ودم، ولحم خنزير، وما أهل لغير الله به، إلا إذا كانوا

---

(1) سورة النحل، الآية ١١٤.

(2) انظر: تفسير ابن عطية، ج٤/٢٠٥ ، بتصرف.

مضطرين، فالله يغفر لهم، حيث قال - سبحانه: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [1]، والتعبير في صدر الآية بأداة القصر ﴿إِنَّمَا﴾، يفيد قصر المحرمات على ﴿ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾؛ فلا شيء غير ما ذكر محرم عليكم. والتعبير بإضمار اسم الله، بيان أن من أحل لهم وهو الله، هو الذي حرّم عليهم الميتة والدم ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به [2]. ويكون القصر قصرًا إضافيًا؛ لحصر ما كان يحله الكفار، وبيان أنه محرم، والدليل على أنه قصر إضافي، تحريم محرمات أخريات في الكتاب والسنة، ليس مجالها هنا. ويدخل تحت الميتة أيضًا، المنخنقة، والموقوذة، والمتردية، والنطحية، وما أكل السبع، ، حيث إن كل ذلك داخل في الميتة ، وما ذُبح على النصب داخل تحت ما أهل به لغير الله[3] في قوله - سبحانه وتعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [4]. وهذا التحريم في حال الاختيار؛ لذا ناسب أن يعقّب ببيان الحكم حال الاضطرار، حيث قال سبحانه: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فالمضطر الذي شارف على الهلاك، ولم يجد إلا هذه المحرمات؛ فإنه يُباح له أكلها، بقدر ما يحفظ الحياة ويسد الجوع، ولا يعتدي ويزيد عن القدر المرخص به. وختم الآية مناسب للسياق، فمن كان هذا حاله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ولما علمت أن الله - تبارك وتعالى - أمرنا بأكل الحلال الطيب، مع شكره لإنعامه علينا، ووجوب عبادته وحده لا شريك له، وبعد أن حصر المحرمات في تلك الأنواع الأربعة، مع الإذن للمضطر

---

[1] سورة النحل، الآية ١١٥.

[2] انظر: نظم الدرر، ج٣١٦/١، نقله عن الحرالي.

[3] انظر: تفسير الرازي، ج٢٨١/٢٠، بتصرف.

[4] سورة المائدة، الآية ٣.

وغير الباغي فيها؛ ناسب أن يعقّب بعد ذلك بالمبالغة في تأكيد ذلك الحصر تزييفًا لطريقة الكفار، الذين زادوا على هذه الأربع؛ حيث حرموا البحيرة [(١)]، والسائبة [(٢)]، والوصيلة [(٣)]، والحام [(٤)]، وكانوا يقولون: ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا، ومحرم على أزواجنا، وقد زادوا في المحرمات، وزادوا أيضًا فأحلوا ما حرم الله ؛ وذلك لأنهم حللوا الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل به لغير الله. والله – تعالى- فبيَّن أن المحرمات هي هذه الأربعة، وبيَّن أن الأشياء التي يقولون: إن هذا حلال وهذا حرام، كذب وافتراء على الله، ثم ذكر الوعيد الشديد على هذا الكذب [(٥)]، حيث قال ـ تبارك اسمه وتعالى جده ولا إله غيره: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾[(٦)]. والتعبير في صدر الآية بقوله ـ تبارك وتعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ ﴾، يفيد المنع التام لقول ذلك بأي وجه من الوجوه، وبأي حال من الأحوال، وبأي وقت من الأوقات؛ لأن قولكم ليس بحجة، ولا مستند له ولا دليل، فهو من اللسان، ولا يستحق أن يدخل القلب [(٧)]؛ لذا عقَّب بعد ذلك بقوله: ﴿لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ ﴾. والجملة السابقة تشعر بالمبالغة في وصف كلامهم بكونه كذبًا [(٨)]. والتعبير بذكر الكذب؛ توطئة للسامع بأن قولهم مهما كان، هو كذب لا أصل له، وكذبهم هذا عبَّر عنه بقوله: ﴿ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ ﴾، وكأنكم وكلاء عن الله، تحلون وتحرمون ما تريدون؛ لذا عقَّب

---

(١) وسميت بذلك؛ لأنهم كانوا يجعلونه بالناقة إذا ولدت عشرة أبطن، شقوا أذنها فيسيبوها، فلا تركب ولا يحمل عليها . انظر: المفردات، ج١/٣٧.

(٢) وهي: التي تسيب في المرعى، فلا ترد عن حوض ولا علف، وذلك إذا ولدت خمسة أبطن وانسابت. انظر: المفردات، ج١/٢٤٦.

(٣) وهي: أن أحدهم كان إذا ولدت له شاته ذكرًا وأنثى، قالوا: وصلت أخاها، فلا يذبحون أخاها من أجلها. انظر: المفردات، ج١/٢٢٥.

(٤) وهو: الفحل إذا ضرب عشرة أبطن، كان يُقال: حمي ظهره فلا يُركب. انظر: المفردات ج١/١٣٢.

(٥) انظر: تفسير الرازي، ج٢٠/٢٨١، بتصرف.

(٦) سورة النحل، الآية ١١٦.

(٧) انظر: نظم الدرر، ج٤/٣١٩، بتصرف.

(٨) انظر: تفسير الرازي، ج٢٠/٢٨١، بتصرف.

بقوله تعالى: ﴿ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ ﴾ ، ومن ذا يجرؤ على افتراء الكذب على الله؟! وهي دعوة للذين استجرؤوا على الفتيا، يحلون ويحرمون وفق أهوائهم. إن الذين يفترون على الله الكذب، خسارتهم أكبر خسارة، فلا فلاح ولا نجاح لهم؛ لذا ختم الآية بقوله ـ تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴾، والتأكيد بـ ﴿ إِنَّ ﴾؛ دليل على حرمانهم من الفلاح، ولن تتوقف عقوبتهم عند ذلك ـ رغم عظمها ـ ولاتصال السياق؛ ناسب أن يبيِّن أن متاعهم قليل، لا يكاد يُذكر، طال الزمان أو قصر، ثم إن عذابهم يوم القيامة عذاب مؤلم موجع، حيث قال ـ تبارك وتعالى: ﴿ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١٧ ﴾[1] .والتعبير بقوله: ﴿ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ﴾ ، يفيد أن الإنسان عندما يرزقه الله ـ على سبيل المثال ـ بيتًا جميلًا، فإنه يشعر بلذة ومتعة، وما هي إلا أيام، وتنتهي تلك اللذة، وتنقطع تلك المتعة، ويصبح الأمر عاديًا، وقس على ذلك باقي متع الدنيا الزائلة. والتعبير بقوله ـ سبحانه وتعالى ـ عقب ذلك: ﴿ وَلَهُمۡ ﴾ ؛ زيادة في التحذير، وتنبيه على اختصاصهم بالعذاب؛ نتيجة افترائهم وكذبهم [2]، وهذا العذاب عذاب أليم موجع. وبعد أن أذن الله بأكل ما رزقنا، شريطة أن يكون حلالًا طيبًا، وأن نكون شاكرين لله على نعمائه، عابدين له طائعين، وحرَّم علينا الميتة، والدم ولحم الخنزير، وما أُهلَّ لغير الله به، إلا إذا اضطررنا غير باغين ولا معتدين، ولا إلى تحليل الكفار وتحريمهم جانحين، ناسب أن يُعقّب ببيان ما خُصَّ به اليهود من المحرمات، حيث قال الحق ـ سبحانه وتعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١١٨ ﴾[3]. والمراد بقوله: ﴿ هَادُواْ ﴾، أي اليهود، والذي حرمه الله على اليهود، هو ما ذكره في سورة الأنعام؛ إذ قال ـ جل وعز: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ١٤٦ ﴾ [4]. والتعبير بقوله ـ سبحانه

(1) سورة النحل ، الآية ١١٧ .

(2) انظر: التحرير والتنوير، ج١٣/٢٥٠ بتصرف.

(3) سورة النحل، الآية ١١٨.

(4) سورة الأنعام، الآية ١٤٦.

وتعالى: ﴿ حَرَّمۡنَا ﴾، تعظيم لله، وبيان أن الذي يحلُّ ويُحرّم، هو الله ـ تبارك وتعالى ـ لا أنتم أيها الكفار ولا غيركم، والتعبير بقوله تعالى: ﴿ مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ ﴾، إظهار لتعظيم الله، وإبراز لمنزلة رسول الله ﷺ وإعلاء لمكانته، وتأكيد على أنه رسول الله، وأن هذه القصص ليست من عنده، ولا من عند بشر يعلمه بها، ولكنها من الله العزيز العليم. وهذا التحريم الذي قصصناه عليك يا محمد، لم يكن ظلمًا، ولكن بسبب ظلمهم لأنفسهم، بارتكابهم الذنوب والمعاصي، وصدهم عن السبيل وكفرهم؛ وقع عليهم تحريم الطيبات، يقول العدل ـ سبحانه وتعالى: ﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ١٦٠ ﴾ [1]؛ لذا ناسب أن يُعقّب بعد ذلك بقوله ـ جل شأنه: ﴿ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾. والتعبير بالجملة السابقة، يدلُّ على عظم رحمته بأمة محمد ﷺ حيث حرَّم على اليهود بعدله وظلمهم، ولم يُحرِّم علينا الطيبات، بل حرَّم الخبائث بفضله ورحمته؛ فله الحمد وله الشكر. ولم يتوقف فضله وإنعامه على ذلك فقط، بل أنعم بنعمة أخرى على كل الأمم، وذلك بأن من وقع في أي ذنب، فإن باب التوبة مفتوح، ومغفرة الله ورحمته أوسع؛ لذا ناسب أن يُعقّب بعد ذلك بقوله ـ تبارك وتعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ ١١٩ ﴾ [2]. والتعبير في صدر الآية بحرف التراخي ﴿ ثُمَّ ﴾؛ لبيان أهمية هذه النعمة العظمى، وتأكيد ذلك بـ ﴿ إِنَّ ﴾ المؤكدة، وتعقيب ذلك بقوله: ﴿ رَبَّكَ ﴾ موجه للنبي ﷺ الحريص على هداية أمته، والباخع نفسه لكي يؤمنوا، بأن الفرصة قائمة، والأمل موجود لغفران الذنب، وستر العيب للذين أقدموا على الذنوب وارتكبوها، والمعاصي وفعلوها، قائلًا عنهم: ﴿ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ﴾ . والتعبير بالجملة السابقة، أي عمل سوء عملوه بخفة وطيش، وليست الجهالة هنا عدم العلم، ثم أعقب بعد ذلك بحرف التراخي ﴿ ثُمَّ ﴾ في تناسق موضوعي. فهؤلاء الذين عملوا السوء، لا شك أنهم عملوا عملًا قبيحًا دونيًّا، في أسفل الرتب، ولكنهم

---

(1) سورة النساء، الآية ١٦٠.

(2) سورة النحل، الآية ١١٩.

(تَـابُواْ) ؛ فارتقوا إلـى أعلـى الرتـب، فناسـب أن يـأتي بــ ﴿ ثُمَّ ﴾؛ للبـون الشاسـع بـين عمـل السـوء، والإقـلاع عنـه بالتوبـة. والتعبيـر بقولـه: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ ﴾، أي ذلـك الـذنب ولـو كـان عظيمًا [1]. والتوبة التي تكون وقتية لا تكفي؛ بل لابد من الاستمرار في عمل الصـالحات؛ لـذا عقَّـب بعـد ذلـك بقولـه: ﴿ وَأَصۡلَحُوٓاْ ﴾، وأعيـد ذكـر ﴿ إِنَّ رَبَّكَ ﴾، وهـو نـوع مـن أنـواع التكرير؛ ذلك لأن الكلام طال، وخُشي تناسـى الأول، فأعيد ثانيًـا؛ تطريـة لـه وتجديدًا لعهده [2]. والتأكيـد بــ ﴿ إِنَّ ﴾، وتعقيـب ذلـك بقولـه سـبحانه: ﴿ رَبَّكَ ﴾، الموجـه إلـى النبـي ﷺ تأنيس لرسوله وللعالم أجمع بمغفرته لذنوبهم، واتساع رحمته؛ لذا عقَّب بعد ذلك بقولـه: ﴿ لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾، مؤكدًا (غفور) بـاللام المؤكـدة؛ زيـادة فـي التطمين والتـأنيس. والضـمير فـي ﴿ مِنۢ بَعۡدِهَا ﴾ عائد إلى التوبة، وما تقدمها من أعمال السوء [3].

---

[1] انظر: نظم الدرر، ج٤/٣١٩.

[2] انظر: الإتقان، ج٢/١٨٠.

[3] انظر: نظم الدرر، ج٤/٣١٩.

الخاتمة: طريقة الدعوة إلى الله، وتشتمل على الموضوع التالي:

إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومنهجه في الدعوة إلى التوحيد، ويشمل الآيات (١٢٠ ـ ١٢٨):

النص القرآني قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾[1].

بعد أن أمر الله الخلق بعبادته وحده لا شريك له، مثبتًا ذلك بحججه الدامغة، الدالة على وحدانيته، وحده لا شريك له، من خلق السماوات والأرض وما فيهن وما بينهن ، وما في السماء من جنة ونار وملائكة ، وما في الأرض من رسل وبشر، وحيوانات، ونباتات، وليل، ونهار، وشمس، وقمر، ونجم، وبحر، وبيان قدرته على ذلك، وتفنيد مزاعم أهل الشرك واليهود، ودحض حججهم الواهية، وبيان أن دعوة الرسل واحدة، وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده، وأن الذي أتى به محمد ﷺ مثل ما أتى به إبراهيم ـ عليه السلام ـ لذا ناسب أن يُعقّب بذكر إبراهيم ـ عليه السلام ـ وبيان أنه لم يُشرك كما تشركون، يا من تدعون

---

[1] سورة النحل من الآية ١٢٠، وحتى الآية ١٢٣.

حبكم لإبراهيم وتُعظِّمونه، سواء كنتم عربًا أم يهودًا. وكما هو معلوم أن اليهود أيضًا يزعمون بيهودية إبراهيم، وحالهم كقول الشاعر:

وكل يدعي وصلًا بليلى ############## وليلى لا تَقرُّ لهمْ بذاكا [1]

يقول المولى ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [2]. والتعبير بـ ﴿ إِنَّ ﴾ المؤكدة؛ للرد على المشركين الذين يدعون حبه، ويزعمون تعظيمه، وردًّا على اليهود الذين يزعمون يهوديته، إنه ﴿كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾؛ فهو يا من تنازعتم في حبه، ونسبتم أنفسكم إليه، إنه كان أمة يُقتدى به، يُعلِّم الناس الخير، فهل كنتم أممًا يُقتدى بكم، تدلون الناس على الخير، أم تصدون الناس عن سبيل الله؟ وكان أيضًا ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ ﴾، فهل كنتم مطيعين لله، مداومين على عبادته؟ أم كنتم متقلبين في عبادتكم، فعندما تكونون في حالة الضراء، توجهتم إلى الله مخلصين له الدين، وعند نجاتكم، انقلبتم إلى عبادة أصنامكم؛ لذا ناسب أن يعقّب بوصف آخر لإبراهيم ـ عليه السلام ـ حيث قال: ﴿ حَنِيفًا ﴾، فهل كنتم مخلصين لله الدين، مستقيمين على طريق الحق كأبيكم إبراهيم؟ وهل كنتم تنبذون عبادة الأصنام؟ أم كنتم به تشركون؛ لذا ناسب أن يختم الآية بنبذ الشرك عن إمام الموحدين إبراهيم ـ عليه السلام ـ حيث قال: ﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾. ويستمر السياق في تناسق موضوعي بديع، حيث يكمل السياق صفات إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ قال الله ـ عز وجل: ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ ﴾ [3]. وصدَّر الآية ببيان شكره لأنعم الله، معبرًا بجمع القلة، فهو يشكر

---

[1] وقد نسبه أحمد قبش إلى أبي العتاهية في كتابه مجمع الحكم والأمثال (الرب والإله)، وقرأت قافية الكاف من "شرح ديوان أبي العتاهية " (ص ١٧٩ – ١٩٢ / ط . دار التراث بيروت)، ولم أجده أيضًا. وقد نسبه ابن تيمية في كتابه مجموع الفتاوى، ج٤/٧١ إلى مجنون بني عامر، وتصفحتُ كتاب " قيس بن الملوح مجنون بني عامر" تأليف جورج غريّب (ط . دار الثقافة / بيروت)، فلم أجد هذا البيت، وهو موجود في ديوان الصبابة، لمؤلفه شهاب الدين أحمد بن أبي حجلة المغربي دون نسبته لأحد. انظر ديوان الصبابة، ج١/١.

[2] سورة النحل، الآية ١٢٠.

[3] سورة النحل، الآية ١٢١.

ما أنعم الله به عليه من نعم، وإن كانت قليلة، فهل يا من تزعمون قرابتكم لإبراهيم ـ عليه السلام ـ شكرتم نعم الله الكثيرة المتوالية عليكم؟! وهل توجهتم بالعبادة إلى الله؛ شكرًا له على ما أنعم به عليكم؟ وإن كنتم تزعمون حبكم وولاءكم لإبراهيم ـ عليه السلام ـ فاسمعوا ما جاء به محمد ﷺ وأطيعوا؛ لأن الدعوة واحدة، وهي عبادة الله وحده لا شريك له. وبعد أن سرد صفات إبراهيم ـ عليه السلام ـ وهي صفات مثالية رائعة، يستحق صاحبها الاجتباء والاصطفاء والاختيار؛ لكي يكون قدوة للناس يهتدون به، ولن يكون ذلك إلا بجعله نبيًّا رسولًا؛ لذا عقَّب الله بقوله سبحانه: ﴿ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾. ونظير ذلك قوله ـ تبارك وتعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣ ﴾ (١). وما يزال السياق في تناسقه الموضوعي المتناغم، وكأنه يعود بنا إلى أول الموضوع، فكما علمنا تنازع الكفار واليهود في إبراهيم ـ عليه السلام- وحبهم له، وهذا مصداق قوله ـ سبحانه وتعالى: ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٢٢ ﴾ (٢). فالتعبير بقوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ ﴾، يدلُّ على أن جميع أهل الأديان يتولونه ويرضونه (٣)، وهذا لم يتأت إلا لأنه لسان صدق، والتعبير بقوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ ﴾، يفيد أن هذا من الله وحده دون سواه، وهو تعظيم لله ـ تبارك وتعالى ـ وكثير من الآيات عندما تذكر ثوابًا أو عقابًا لأحد؛ فإنها تبيِّن ذلك الثواب أو العقاب في الدنيا، ثم تعقِّب بذكر ثواب أو عقاب في الآخرة؛ لذا ناسب أن يعقِّب هنا بعد ذكر ثوابه في الدنيا، بذكر ثوابه في الآخرة. وإذا كان ما عدَّده الله من ثناء على إبراهيم ـ عليه السلام ـ في الدنيا، ففي الآخرة ثوابه أعظم، حيث قال الله ـ تبارك وتعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾. والتعبير بإن المؤكدة واللام في ﴿ لَمِنَ ﴾، تدل على أن ثواب الآخرة أعظم من ثواب الدنيا، وتعظيم لأمر الصلاح، وحثّ الناس على أن يكونوا صالحين (٤). وبعد أن ساق الله فضائل إبراهيم ـ عليه السلام ـ من كونه أمة يُقتدى

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥٣.

(٢) سورة النحل، الآية ١٢٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري، ج٣١٩/١٧، وقد رواه عن قتادة.

(٤) انظر: نظم الدرر، ج٣٢٠/٤ بتصرف.

به في دعوته للخير، طائعًا لله، مداومًا لعبادته، ولم يكن يومًا من المشركين، حيث كان يشكر الله على نعمائه؛ ولذا اختاره ليكون نبيًّا، وكان له القبول من جميع الأديان، وله الخير الكبير في الآخرة، ومن ثم فقد ناسب أن يختم بفضيلة أخرى لإبراهيم ـ عليه السلام ـ وهي أن محمدًا خير خلق الله، يأمره الله باتباع ملة خليل الله، حيث قال الله ـ سبحانه: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [1]. والتعبير بالعطف في قوله: ﴿ ثُمَّ ﴾ ، تأكيد لاستمرار السياق، وأيضًا يفيد هذا الحرف التراخي الرتبي والزمني، أما التراخي الرتبي، فإن تلك الفضائل العظام التي تفضَّل الله بها على إبراهيم ـ عليه السلام ـ لها مكانتها وأهميتها، ولكن أشرف هذه الفضائل، وهذه النعم، هي اتباع أفضل من وطئت قدماه الأرض، لملة إبراهيم ـ عليه السلام ـ وهو محمد رسول الله، بأبي هو وأمي [2]. وأما التراخي الزمني، فإن ما بين بعثة إبراهيم ـ عليه السلام ـ وبعثة محمد رسول الله ﷺ زمن طويل، ومدة ليست بالقصيرة. والتعبير بقوله تعالى: ﴿ أَوْحَيْنَآ ﴾ ، تعظيم لله ـ تبارك وتعالى ـ وتفخيم لهذا الأمر، وهذه القضية التي لها مدلولاتها الواسعة. والتعبير بقوله: ﴿ إِلَيْكَ ﴾ ، أي النبي محمد ﷺ أوحينا إليك هذا الأمر، وأنت أشرف الخلق، وجعلته وحيًا لأهميته العظمى، والتي تكمن في بيان أكبر فضل لإبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو اتباع أفضل بشر له، وإشارة إلى من ادعى حب إبراهيم من الكفار واليهود وسائر الأديان، أن محمدًا رسول الله، مأمور قبلكم باتباع ملته، وأن ما يدعو إليه محمد، هو ما دعا إليه إبراهيم، فإن كنتم تزعمون حب إبراهيم، فاتبعوا محمدًا، حيث قال ـ سبحانه وتعالى: ﴿ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ ﴾ . وختم الآية بقوله: ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ، وفيها تأكيد على الكفار واليهود وسائر الأديان، بأن إبراهيم لم يكن من المشركين، فإياكم والشرك. وفيه دلالة على أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ لم يشرك في ماضيه، ولا حاضره، ولا مستقبله، وبراءته البراءة التامة من الشرك وأهله [3].

---

[1] سورة النحل، الآية ١٢٣.

[2] انظر: تفسير الزمخشري، ج٦٤٣/٢ بتصرف.

[3] انظر: التحرير والتنوير، ج٢٥٦/١٣، بتصرف.

وبعد أن ذكرنا تنازع الكفار واليهود في إبراهيم ـ عليه السلام ـ وأن كلا يدعي حبه، وأنه على ملته، وعرفنا ردّ الله عليهم، بتفنيد تلك المزاعم الباطلة بذكر فضائله، وهي: أنه أمة بحاله، يدعو إلى الخير، مطيعًا، مخبتا لله على طريق مستقيم، ولم يشرك بالله، يشكر الله على إنعامه، فحاز على الاصطفاء والاختيار من ربه، ونال الحب من كل الأديان، حتى تنازع فيه المتنازعون، بل وأعظم فضائله اتباع أفضل الخلق لملته؛ فكيف تزعمون أنكم على طريقه سائرون، وبأفعاله مقتدون، ومعتقداتكم تخالف ما كان عليه إبراهيم ـ عليه السلام ـ والتي منها تفضيلكم ليوم السبت، والذي لم يكن في ملة إبراهيم ـ عليه السلام. وهذا الرد بالتحديد يفنِّد مزاعم اليهود؛ لذا ناسب أن يقول الله ـ تقدس اسمه: ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١٢٤ ﴾. والتعبير بأداة الحصر﴿ إِنَّمَا ﴾ في صدر الآية، رد على اليهود، وتفنيد لزعمهم، وهذا الزعم ـ كما أسلفنا ـ يكمن في أنهم أتباع ملة إبراهيم، والدليل على ذلك: ﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ ﴾، فاليهود فرض عليهم تعظيم السبت، والذي لم يكن في ملة إبراهيم ـ عليه السلام ـ ومما يؤكد أن معنى ﴿ جُعِلَ ﴾ فرض قراءة عبد الله ابن مسعود: (إنا أنزلنا السبت) [1] ، وهو فرض عاقب عليه المختلفين فيه [2]، وذلك أن موسى ـ عليه السلام ـ أمر بني إسرائيل أن يجعلوا من الأسبوع يومًا مختصًا بالعبادة، وأمرهم أن يكون الجمعة، فقال جمهورهم: بل يكون يوم السبت؛ لأن الله فرغ فيه من خلق مخلوقاته، فقال غيرهم: بل نقبل ما أمر الله به موسى، فراجعهم الجمهور، فتابعهم الآخرون، فألزمهم الله يوم السبت إلزامًا قويًّا؛ عقوبة لهم منه، فلم يكن منهم ثبوت، بل عصوا فيه وتعدوا، فأهلكهم [3]؛ لذا ناسب أن يعقّب بعد ذلك بقوله ـ سبحانه وتعالى: ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ ﴾، ولكن هذا الاختلاف لن يدوم طويلًا، حيث سيظهر الله حكمه وفصله لهذا الاختلاف في ذلك اليوم الرهيب، ويجازي كلًا بما يستحقه. ولأهمية هذا الاختلاف، فقد أكده بـ ﴿ وَإِنَّ ﴾، واللام

---

(1) انظر: تفسير الزمخشري، ج٢/٦٤٣ ، وتفسير ابن عطية، ج٤/٢١٠.

(2) قاله: ابن زيد . انظر: تفسير ابن عطية، ج٤/٢١٠.

(3) انظر: تفسير ابن عطية، ج٤/٢١٠.

في قوله: ﴿ لَيَحْكُمُ ﴾، لبيان قوة تهديده، وشدة غضبه على اليهود، ووسط ﴿ رَبَّكَ ﴾ بين ﴿ وَإِنَّ ﴾ و﴿ لَيَحْكُمُ ﴾ ؛ لتأكيد التأييد لمحمد ﷺ ولبيان منزلته ﷺ وختام الآية يُشعر أن الله عندما فنَّد مزاعم اليهود، وعدم صدقهم في اتباع ملة إبراهيم - عليه السلام - والتي ذكرها في آيات أخريات في قوله - تقدس اسمه: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [1]؛ أقول: بعد أن فنَّد مزاعمهم في أنهم ليسوا على ملة إبراهيم، ناسب أن يختم الآية ببيان حكمه عليهم يوم القيامة في عموم ما اختلفوا فيه مع نبيهم موسى - عليه السلام.

ولما ذكر الله تكذيب الكفار للقرآن، ووصفهم له بأنه ترهة من ترهات الأولين، وصدّ الناس عن سبيل الله، وتكذيبهم بالبعث، ومكرهم السيئات، واتخاذهم شركاء لله، وجعلهم لتلك الشركاء أموالًا، وجعلهم لله البنات، رغم كرههم لهن، وكفرهم بنعم الله، ونقضهم العهود والأيمان، واستسلامهم للشيطان، وطاعتهم له بعبادته، وتنفيذ وساوسه من تكذيب النسخ، والافتراء على الرسول بأن هذا القرآن من عند نفسه، ثم اتهامهم له بأن الذي يُعلّمه إنما هو بشر أعجمي، وارتداد من آمن منهم، وتحريمهم ما أحلَّ الله، وتحليلهم ما حرَّم من المأكولات؛ كان موقف النبيﷺ موقف الحزين على قومه، والباخع نفسه لكي يؤمنوا. وقد زعموا أنهم أتباع إبراهيم هم واليهود، وهم أبعد عن ذلك، وبيان أن النبي ﷺ هو المأمور

---

(1) سورة آل عمران من الآية ٦٤ إلى الآية ٦٨.

باتباع إبراهيم - عليه السلام - في ملته، والتي تأسست بأسس ينبغي الانطلاق من خلالها من دعوة بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بأفضل الطرائق [1]، حيث قال الحق - تبارك وتعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [2]. والتعبير بالفعل الأمر في قوله: ﴿ ٱدۡعُ ﴾ متوجّه إلى النبي ﷺ ابتداء، ولكل من انبرى للدعوة، يقول الله حاثًا فئة معينة على القيام بالدعوة: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [3]، وهذه الدعوة التي حثَّ عليها الله - جل شأنه - وأمر بها، هي الموصلة إليه - سبحانه - حيث عقَّب بعد ذلك بقوله - تبارك وتعالى: ﴿ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾. والتعبير بإضافة السبيل إلى الرب، باعتبار أن الله هو الذي أرشد وأمر بالتزام ذلك السبيل [4]، وسبيل الله هو الإسلام، ولكن هذه الدعوة لا بد لها من أسس وقواعد تقوم عليها، ولا بد لها من طرائق وأساليب تستند إليها، وأول هذه القواعد، الدعوة إلى الله - سبحانه - ﴿ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾، والحكمة أعلاها كتاب الله، وكيفية تعامله مع القضايا ككل، وبالأخص قضية الدعوة. والحكمة بابها واسع، ولكن من أهم ما ينبغي أن تتصف به الحكمة: مراعاة مقتضى الحال، ومخاطبة كل قوم بما يعرفون، واختيار الزمان والمكان المناسبين، وملاطفتهم والترفق معهم بكل لين، وغيرها مما تتصف به الحكمة [5]. ثم عقَّب بأسٍّ آخر يندرج تحت الأس الأول، ألا وهو قوله - تبارك وتعالى: ﴿ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾، واصفًا تلك الموعظة بأن تكون حسنة؛ لأن هناك مواعظ ليست بالحسنة، وذلك عندما ينفّر الداعي من يستمع له بأسلوبه الخشن، وتعامله الفظ، واختياره المكان والزمان غير المناسبين. والموعظة أعلاها ما هو موجود في القرآن الكريم من قصص، وأخبار،

---

(1) انظر: نظم الدرر، ج٣٢٢/٤، بتصرف.

(2) سورة النحل، الآية ١٢٥.

(3) سورة آل عمران، الآية ١٠٤.

(4) انظر: التحرير والتنوير، ج٢٦١/١٣، بتصرف.

(5) انظر: التفسير القرآني، ج٣٩٩/٧، بتصرف.

وضرب أمثال، ووعد ووعيد، وحجج، ونعم، ثم ما في السنة من تلك القصص والأخبار، التي فيها من العبر الشيء الكثير، وما في التأريخ والسير من أخبار وقصص، فيها مواعظ تهز الجوارح، وتشحذ الهمم. ويستمر السياق في سرد القواعد التي أمر الله بها نبيه ﷺ في الدعوة إلى الإسلام، والتي ينبغي أن يتلمسها كل الدعاة، فقد قال ـ تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾، والتعبير بتغيير الأسلوب، يفيد بأن تخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها، ولا تنظر لما نالك منهم من ألم نفسي وجسدي، وأن تصفح عنهم، مهما كان ذلك الألم، ومهما بلغ ذلك الأذى [1]. وتغيير الأسلوب أيضًا، يفيد بأن الدعوة قد تقتصر على الحكمة والموعظة الحسنة، إذا تقبَّل الموعودن هذه الدعوة، ولم يكونوا أكثر جدلًا وأشد معاندة، ولكن إن لم يتقبلوها، وكانوا أكثر جدلًا وأشد معاندة؛ فإنك تنتقل معهم إلى مرحلة جديدة، وهي المجادلة الحسنة التي لا تنفِّر، ولا تضيِّق الخناق عليهم، حتى تؤتي الدعوة أكلها، ويستفيد الناس منها، وهنا ينتهي دور محمد ﷺ حيث إن المطلوب منه دعوة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة لمن يتقبل ذلك، وبالمجادلة الحسنة لمن يعاند، ويكثر المحاجة، ولا يكلف نفسه فوق طاقتها، من اهتمامه وحرصه على هداية الناس، ولا يبخع نفسه متأسفًا متحسرًا على عدم إيمانهم، وعدم سلوكهم طريق المهتدين؛ لذا ناسب أن يعقِّب بعد ذلك بقوله ـ تبارك اسمه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ . والتعبير بـ ﴿إِنَّ﴾ المؤكدة، دليل وتأكيد على أن غايتك العظمى تنتهي عند البلاغ المبين، وهذا من بيان منزلة الرسول ﷺ واهتمامه به، حيث ناسب أن يعقِّب بعد ذلك بقوله ـ سبحانه وتعالى: ﴿رَبَّكَ﴾، وبيان أنه وحده ـ سبحانه وتعالى ـ الذي يعلم لا أحد سواه، فناسب أن يعقِّب بعد ذلك بقوله: ﴿هُوَ أَعۡلَمُ﴾. ولمزيد التأكيد بالنبي ﷺ والحرص عليه، قدَّم الضالين على المهتدين؛ لأن حزن الرسول كان على أولئك الذين تنكبوا عن الصراط، وأيضًا مزيد تهديد ووعيد لهم، حيث قال: ﴿بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾. والتعبير بإعادة علم الله مرة أخرى؛ للتأكيد على أن الله هو العليم، لا أحد غيره، حيث قال: ﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾. والتعبير بالماضي ﴿ضَلَّ﴾ عن الضالين؛ للإشارة إلى أن

---

[1] انظر: تفسير الطبري، ج١٧/٣٢١، بتصرف.

الضلال مخالف للفطرة حادث عارض لها، والتعبير ﴿ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾؛ فهي الفطرة، والتي تدلُّ على الدوام [1]. وبعد أن ذكر الله أساليب الدعوة، من الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ، فإن الخصم قد يتجاوز حده ، ويصبح مجادله في ضيق شديد ، وربما تضرر ضررا كبيرا ؛ لذا ناسب هنا ومن باب العدل والانصاف من الله العدل ، أنه إن عوقب وتضرر ، فإن الله يأذن له بعقاب من عاقبه بمقدار ما أصابه من عقوبة دون تجاوز، وإن صبر، فهو خير له، يقول الله العدل في ذلك: ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ ﴾[2]. والتعبير في صدر الآية بـ ﴿ وَإِنۡ ﴾ تقليل من حوادث رد العقوبة؛ حثًّا على العفو؛ لأن (إن) تستعمل للأمور المحتملة الوقوع، والمشكوك في حصولها، ولافتراض الأمور التي قد لا تقع [3]. ويدل هذا على أن هناك رمزية تدلُّ على ترك عقوبة من اعتدى علينا، حيث قال الله سبحانه: ﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ ﴾ . والتعبير في الجملة السابقة يدلُّ على رعاية العدل في القصاص، فلا تزيدوا عن حقكم - إن رغبتم في ذلك- حتى لا تتحولوا من كونكم مظلومين إلى ظالمين. وحين ذكر الرمزية الدالة على أن ترك رد العقوبة أولى، ناسب أن ينتقل من التعريض إلى التصريح، حيث قال: ﴿ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾، وهذا تصريح بأن الأولى ترك ذلك الانتقام؛ لأن الرحمة أفضل من القسوة، والعفو أفضل من الإيلام [4]. وبعد أن ذكر عدم ردّ العقوبة لمن عاقبنا بالرمز والتعريض، ثم بالتصريح؛ ناسب أن يُعقّب بورود الأمر جزمًا بالترك، حيث قال: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ ﴾ [5]. والتعبير بقوله: ﴿ وَٱصۡبِرۡ ﴾ موجّه لمحمد ﷺ لشرفه، وعلو مقامه، وأن صبره لم يكن سهلًا؛ بل عانى رسول الهدى من المشركين معاناة لا تطاق؛ ولأن الله رحيم بعباده متلطف بهم؛ ناسب أن يعقّب بعد إلزام

---

[1] انظر: زهرة التفاسير، ج٨/٤٣٠٣، بتصرف.

[2] سورة النحل، الآية ١٢٦.

[3] انظر: لمسات بيانية، ج١/٢٨.

[4] انظر: تفسير الرازي، ج٢٠/٢٨٨، بتصرف.

[5] سورة النحل، الآية ١٢٧.

الرسول ﷺ بالصبر، ببيان أن هذا الصبر الذي صبره، إنما هو بفضل الله عليه وبمعونته وتوفيقه له، حيث قال: ﴿ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾، ولما علمنا أن دور النبي ﷺ ينتهي بالبلاغ المبين، حين دعوة الناس إلى الإسلام، بكل حكمة وموعظة حسنة، ومجادلة بالحسنى إن استدعى الأمر، وإن اشتد الأمر، بمعاقبتهم وفق ما عاقبوه به، والصبر أفضل؛ ناسب أن يُسلي قلب رسول الله ﷺ بعدم التأثر والحزن لعدم هدايتهم، حيث قال ـ سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾، ولا تتكدَّر لما يحيكونه من خدع ومكر؛ لصد الناس عن اتباع الإسلام، وما يخططونه لتشويه القرآن، وما يدبرونه لتشويه صورتك، من وصفهم إياك مرة بالجنون، وأخرى بالسحر، وثالثة بالكهانة، حيث قال الله ـ تبارك وتعالى وتقدس: ﴿ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ . والتعبير بالفعل المضارع في قول الله ـ سبحانه وتعالى: ﴿ يَمْكُرُونَ ﴾، تجدد وتكرر مكرهم. ولما بيَّن الله القواعد التي يلتزم بها الداعية، من حكمة وموعظة حسنة، وإن استدعى الأمر الجدال، فيكون جدالًا حسنًا، وإن أوذي وأراد أن يردَّ، ردَّ بالمقدار نفسه دون تجاوز، وإن صبر كان خيرًا، بل ألزم الله نبيه بالصبر، فالصبر مستمده من الله، وعدم الحزن لإعراضهم ، وعدم الكدر لمكرهم؛ فكل هذه الأمور التي يقف عندها المؤمن، يجد الله معه ناصرًا ومؤيدًا؛ لذا ناسب أن يُعقّب بعد ذلك بقوله ـ سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (1). والتعبير بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ﴾، تأكيد وضمان بأن ﴿ ٱللَّهَ ﴾ ناصر المتقين ومؤيدهم، وهذا ما تفيده ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ﴾. والتعبير بالاسم الموصول تنويه بمكانة المتقين، وتأكيد على أن النصر والتأييد للمتقين، وكذلك المحسنين، حيث عقَّب بذكرهم في ختام الآية، فقال: ﴿ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾. والتعبير بالاسم الموصول تنويه بمكانة المحسنين كذلك، والحمد لله من قبل ومن بعد.

---

(1) سورة النحل، الآية ١٢٨.

الخاتمة: وتشتمل النتائج:

بعد حمد الله، فقد أنهيت هذه الرسالة، والتي تحدثت فيها عن التناسق الموضوعي في سورة النحل، وكانت هذه الدراسة مقسمة إلى جانبين: نظري وتطبيقي، وقد ذكرت في الجانب النظري، التناسق الموضوعي من ناحية التعريفات، ثم تطرقت إلى اسم السورة وفضائلها، وعدد آياتها، وتأريخ نزولها، ومكيها ومدنيها، ومناسبة السورة لما قبلها وما بعدها، وأسباب النزول، ومقاصد السورة وأهدافها، ومناسبة اسم السورة لموضوعاتها، ومناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها. وقد حاولت في الجانب التطبيقي جاهدًا، إبراز تلاحم الآيات وترابطها بعضها ببعض، وأبنت التناسق الموضوعي، حيث قسّمت السورة في جانبها التطبيقي إلى مقدمة تتحدَّث عن التوحيد ودلائله، ومبحثين وخاتمة. وقد تناولت في المبحث الأول، بيان ما في القرآن من بعض الآداب ، أما المبحث الثاني فتناولت فيه كفر النعمة، وتناولت في الخاتمة طريقة الدعوة إلى التوحيد. وفي الفصل الأخير، قسّمت السورة إلى تسعة عشر موضوعًا، تتمحور السورة حولها، وإن كانت السورة في مجملها تتمحور حول العقيدة، ونعم الله، وكان الهم الأكبر أن أبتعد قدر الإمكان عن الاستطراد، وأن أظهر المعاني بشكل يتناسب مع العصر الذي نعيش فيه، وبعيدًا عن الحشو الممل، والاختصار المخل.بحسب مقتضى المقام ، وكما هو معلوم، فإن حاجات المجتمع في تجدد مستمر، والأفكار تتوالى بشكل سريع وجديد على المجتمع، وربما احتاج إنسان هذا العصر إلى معلومة سريعة سهلة التناول، ومن ثم فقد يلبي هذا النوع من التفسير حاجته. وقد حاولت جاهدًا إبراز هداية القرآن الكريم، وذلك من خلال التناسق الموضوعي في ترابط الأفكار، واتصال الموضوعات بعضها ببعض، وإبراز إعجاز القرآن الكريم بما يلائم هذا العصر، وقد خلصت إلى نتيجة، أثرت في شخصيًّا من خلال بحثي في هذه الرسالة، حيث إن الآية من السورة إذا قُرئت أعطت معنى متكاملًا مفهومًا، يصلح أن يكون موضوعًا قائمًا بذاته، وإذا أتبعتها بآية أو أكثر، أعطت موضوعًا متكاملًا منسجمًا متناسقًا، وأيضًا كنت عندما أقرأ القرآن، وأنتهي من آية من آياته، وأدلف إلى الآية الثانية، أجد عدم ترابط وتماسك من خلال هذه الآيات، ولكن عندما أقرأ الآية مرات ومرات، مع حضور

القلب؛ فإني أجد لذة ومتعة ، وينكشف لي ذلك الترابط والتناسق والتناغم ، لذلك كان التدبر قطب رحى الفهم؛ لأني اكتشفت التلاحم القوي بين الآية والآية، وبين الآية والسورة كلها؛ بل بين الجملة والجملة، وخلصت إلى أن التكرار الذي تكلَّم عنه بعض الناس - قديمًا وحديثًا، ما بين مادح وقادح- له دلالاته ومغزاه وأهدافه في النص القرآني، حيث إن سياق الآية ربما يُوجب أن يتكرر هذا الموضوع مرات ومرات، وربما تكررت الآية، ولكن يكون لها دلالة مختلفة في كل موضع ذُكرت فيه، وذلك بحسب الموضوع التي طُرحت من خلاله.

الفهارس : وتتضمن الفهارس الآتية :

أولا: فهرس المصادر والمراجع

أولاً: الرسائل العلمية:

- تفسير سورة النحل وبيان الأهداف التي ترمي إليها : بحث مقدم من محمد متولي إدريس للحصول على درجة العالمية (الدكتوراه) في التفسير وعلوم القرآن ، بإشراف فضيلة الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوي عميد كلية أصول الدين بأسيوط ، وفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد السيد الكومي رئيس قسم الدعوة والأستاذ المتفرغ بالكلية ، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين ، قسم الدراسات العليا شوال ١٤٠٠ هـ ، أغسطس ١٩٨٠م .
- المكي والمدني في القرآن الكريم . رسالة علمية تقدم بها الطالب / عبدالرزاق حسين أحمد لنيل درجة الماجستير ، وقد طبعت هذه الرسالة في كتاب ، وقد نشرته دار ابن عفان ، سنة ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م بجمهورية مصر العربية .
- المناسبات بين الآيات وسورها وفوائدها . رسالة علمية تقدم بها الدكتور / سامي عطا حسن ، جامعة آل البيت .
- وحدة النسق في السورة القرآنية فوائدها وطرق دراستها . رسالة لرشيد الحمداوي .
- أسرار أسماء سور القرآن الكريم . رسالة دكتوراه تقدم بها الدكتور / الحسنين عبدالفتاح عبدالرحمن الشافعي ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م ، جامعة الأزهر ، كلية أصول الدين بالقاهرة، قسم التفسير وعلوم القرآن .

ثانياً: المراجع المطبوعة:

(١) الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٦هـ).

(٢) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم ، للدكتور / عبدالله محمود شحاته ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ .

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي، وضع حواشيه: عبداللطيف عبدالرحمن، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٩هـ).

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ليوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: على البجاوي، القاهرة.

(٥) أسد الغابة في معرفة الصحابة، لأبي الحسن علي بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق: محمد إبراهيم البنا، ومحمد أحمد عاشور، نشر: دار الشعب، القاهرة.

(٦) أحكام القرآن لمؤلف : القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي ، المكتبة الشاملة .

(٧) الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: الشيخ/عادل أحمد عبدالموجود ورفاقه، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٥هـ).

(٨) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي، نشر: مكتبة دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى سنة (١٤٢٦هـ). ضمن المجموعة الكاملة لآثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي، إشراف د/بكر عبدالله أبوزيد.

(٩) إعراب القرآن وبيانه ، لمحيي الدين الدرويش ، نشر: دار الإرشاد، سورية .

(١٠) إعجاز القرآن ، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، نشر : دار المعارف ، الطبعة الخامسة .

(١١) الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، للأستاذ الدكتور / عبدالله بن عبدالعزيز المصلح، الدكتور / عبدالجواد الصاوي ، نشر : دار جياد للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م .

(١٢) الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، لخير الدين الزركلي، نشر: دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة عشرة، سنة(١٩٩٨م).

(١٣) البداية والنهاية المؤلف : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى : ٧٧٤هـ) حققه ودقق اصوله وعلق حواشيه : علي شيري الناشر : دار إحياء التراث العربي الطبعة : طبعة جديدة محققة / الطبعة الاولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

(١٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي ناصرالدين أبي سعيد عبدالله بن عمر ابن محمد الشيرازي البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة ألأولى سنة(١٤٢٤هـ).

(١٥) البحر المحيط في التفسير، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، عناية الشيخ: عرفان العشاحسَّونة، نشر: دار الفكر، بيروت،، سنة(١٤٢٥ - ١٤٢٦هـ)

(١٦) البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي، تحقيق: زكي محمد أبي سريع، نشر: دار الحضارة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٧هـ) .

(١٧) البيان في عد آي القرآن ، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الأموي الداني دار النشر : مركز المخطوطات والتراث - الكويت - ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤ م الطبعة : الأولى عدد الأجزاء / ١ تحقيق : غانم قدوري الحمد .

(١٨) أخبار القضاة ، لأبي بكر مُحَمَّدُ بْنُ خَلَفِ بْنِ حَيَّانَ بْنِ صَدَقَةَ الضَّبِّيّ البَغْدَادِيّ، المُلَقَّب بـ"وَكِيع"(المتوفى سنة ٣٠٦هـ) المحقق :صححه و علق عليه و خرّج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغي الناشر :المكتبة التجارية الكبرى، بشارع محمد علي بمصر لصاحبها: مصطفى محمد الطبعة : الطبعة الأولى عام ١٣٦٦هـ=١٩٤٧م عدد الأجزاء :٣ .

(١٩) أيسر التفاسير ، لأبي بكر الجزائري ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، تاريخ النشر ١/١ / ٢٠٠٠ م .

(٢٠) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، المؤلف : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، المكتبة العلمية ببيروت ، عدد الأجزاء ٦ .

(٢١) تاج العروس من جواهر القاموس ، لحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني ، أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي تحقيق : مجموعة من المحققين الناشر : دار الهداية .

(٢٢) التاريخ الكبير لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ، تحقيق السيد هاشم الندوي ، دار الفكر .

(٢٣) تاريخ بغداد ، حمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت عدد الأجزاء : ١٤ .

(٢٤) التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، نشر: دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

(٢٥) تذكرة الحفاظ لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، وضع حواشيه: زكريا عميرات، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة(١٤١٩هـ).

(٢٦) تهذيب اللغة - موافقا للمطبوع المؤلف : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري تحقيق : محمد عوض مرعب دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت - ٢٠٠١م عدد الأجزاء / ١٥ الطبعة : الأولى .

(٢٧) التسهيل لعلوم التنزيل، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزيّ الكلبي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة(١٤٢٥هـ).

(٢٨) التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الإبياري، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، سنة(١٤١٣هـ).

(٢٩) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج المؤلف : د وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر : دار الفكر المعاصر - دمشق الطبعة : الثانية ١٤١٨ هـ عدد الأجزاء : ٣٠ .

(٣٠) التفسير القرآني للقرآن المؤلف : الدكتور / عبد الكريم الخطيب دار النشر : دار الفكر العربي - القاهرة عدد الأجزاء / ١٦ .

(٣١) التوقيف على مهمات التعاريف المؤلف : محمد عبد الرؤوف المناوي تحقيق : د. محمد رضوان الداية الناشر : دار الفكر المعاصر ، دار الفكر - بيروت ، دمشق الطبعة الأولى ، ١٤١٠ عدد الأجزاء : ١ .

(٣٢) تفسير القرآن العزيز، لأبي عبدالله محمد بن أبي زَمَنين، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٤هـ).

(٣٣) تفسير الجلالين، لجلال الدين السيوطي، وجلال الدين المحلي، مطبوع مع الفتوحات الإلهية، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٦هـ).

(٣٤) تفسير السراج المنير المؤلف : محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين عدد الأجزاء / ٤ دار النشر / دار الكتب العلمية - بيروت .

(٣٥) تفسير ابن أبي حاتم ، لإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي دار النشر : المكتبة العصرية - صيدا عدد الأجزاء / ١٠ تحقيق : أسعد محمد الطيب .

(٣٦) تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء ابن كثير الدمشقي، تحقيق: مصطفى السيد محمد ورفاقه، نشر: دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، سنة(١٤٢٥هـ).

(٣٧) تفسير القرآن العظيم، لعبدالرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، نشر: مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٠هـ).

(٣٨) تفسير القرآن، لأبي المظفر السمعاني، تحقيق: ياسر إبراهيم عباس، وغنيم عباس غنيم، نشر: دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٨هـ).

(٣٩) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني ، سامي وديع عبد الفتاح شحادة القدومي الناشر: دار الوضاح، الأردن - عمان عدد الأجزاء: ١ .

(٤٠) التفسير الحديث ، لمحمد عزت دروزة ، نشر : دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٣٨٣ هـ ، دار الغرب الإسلامي دمشق .

(٤١) تفسير الشعراوي ، لمحمد متولي الشعراوي ، المكتبة الشاملة .

(٤٢) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي، نشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٥هـ).

(٤٣) التفسير الواضح المؤلف : الدكتور / محمد محمود حجازى دار النشر : دار الجيل الجديد عدد الأجزاء : ٣ .

(٤٤) التفسير المظهري ، محمد ثناء الله العثماني المظهري الموضوع : تحليلي القرن : ١٣ اللغة: عربي ناشر: مكتبة رشديه المطبعة : باكستان دار إحياء التراث العربي ، ببيروت ، ١٤٢٥ هج = ٢٠٠٤ م سنة الطبع : ١٤١٢ هـ تحقيق : غلام نبي تونسي .

(٤٥) تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٤٦) تفسير مقاتل، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية ببيروت.

(٤٧) التفسير والمفسرون للذهبي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة السادسة ، ١٤١٦ هـ .

(٤٨) تعجيل الندى بشرح قطر الندى ، لعبدالله بن صالح الفوزان ، المكتبة الشاملة .

(٤٩) تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس المؤلف : أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى : ٨٥٢هـ) المحقق : د.عاصم بن عبد الله القريوني الناشر : مكتبة المنار - الأردن الطبعة : الأولى عدد الأجزاء : ١ .

(٥٠) تلخيص البيان فى مجازات القرآن ، المؤلف : الشريف الرضى دار النشر : دار الأضواء - بيروت عدد الأجزاء : ١ .

(٥١) تهذيب التهذيب، لأحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٥هـ).

(٥٢) تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، سنة(١٤١٨هـ).

(٥٣) تنزيل القرآن ، لابن شهاب الزهري الناشر : دار الكتاب الحديث - بيروت الطبعة الثانية ، ١٩٨٠ تحقيق : د. صلاح الدين المنجد عدد الأجزاء : ١ .

(٥٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، سنة (١٤١٧هـ) .

(٥٥) الثقات، لمحمد بن حبان البستي، طبع ونشر: وزارة المعارف العثمانية، حيدر آباد، تحت مراقبة: محمد عبدالمعيد خان.

(٥٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، نشر: عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٤هـ).

(٥٧) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، نشر: مؤسسة الرسالة ببيروت، الطبعة الأولى سنة (١٤٢٧هـ).

(٥٨) حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي (الْمُسَمَّاة) عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي المؤلف : أحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي دار النشر : دار صادر - بيروت عدد الأجزاء : ٨ .

(٥٩) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، نشر: مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، سنة (١٣٥١هـ).

(٦٠) دراسات بيانية في الأسلوب القرآني (التعبير القرآني) ، للدكتور / فاضل صالح السامرائي ، نشر : دار عمار ، الأردن ، عمان ، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١٠ م ، وكان هناك كتاب إلكتروني اسمه لمسات بيانية ، وهما في نفس الموضوع .

(٦١) الدرّ المنثور في التفسير المأثور، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، نشر: إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢١هـ).

(٦٢) رواة التهذيبيين ، إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية ، المكتبة الشاملة .

(٦٣) دلائل النبوة ، للإمام البيهقي ، تحقيق : وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه : الدكتور / عبد المعطى قلعجى الناشر : دار الكتب العلمية - ودار الريان للتراث الطبعة : الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م عدد الأجزاء : ٧ .

(٦٤) ديوان النابغة الذبياني، طبعة دار صادر ببيروت، وبمطبعة الهلال بالفجالة بمصر، ١٩١١ م .

(٦٥) ديوان الراعي النميري ، جمع و شرح و تحقيق محمد نبيل طريفي. بيروت : دار صادر ، ٢٠٠٠م .

(٦٦) ديوان الصبابة ، المكتبة الشاملة .

(٦٧) ديوان حسان بن ثابت ، طبعة أوربة ١٣٢٨ هـ .

(٦٨) ديوان قيس بن الملوح مجنون ليلى ، تحقيق : يسري عبدالغني ، نشر : دار الكتب العلمية ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

(٦٩) ديوان المثقب العبدي ، حققه وشرحه وعلق عليه حسن كامل الصيرفي، ١٣٩١ هـ .

(٧٠) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوسي، تحقيق: السيد محمد السيد وسيد إبراهيم عمران، نشر: دارالحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، سنة(١٤٢٦هـ).

(٧١) زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق: أحمد شمس الدين، نشر: دارالكتب العلمية، بيروت، الطبعةالثانية، سنة(١٤٢٢هـ).

(٧٢) زهرة التفاسير المؤلف : الإمام الجليل / محمد أبو زهرة دار النشر : دار الفكر العربي عدد الأجزاء / ١٠ .

(٧٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة الموضوعة وأثرها السيئ في الأمة المؤلف : محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني شهرته : الألباني دار النشر : دار المعارف، البلد : الرياض - المملكة العربية السعودية ،الطبعة : الأولى ،سنة الطبع : ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ،عدد الأجزاء : ١٤.

(٧٤) سنن الترمذي المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م عدد الأجزاء: ٥ أجزاء.

(٧٥) سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، عناية حسان عبدالمنان، نشر: بيت الأفكارالدولية، لبنان، الطبعة الثامنة، سنة(٢٠٠٤م).

(٧٦) السير، محمد بن الحسن الشيبانى / المتوفى - ١٨٩ هـ ملحوظة: هذه النسخة بتحقيق وتعليق د. محمود أحمد غازي ونشرو طبع و توزيع: مجمع البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد١٤١٩هـ / ١٩٩٨م و حذفنا التعليقات فمن أراد اقتناء الكتاب محققا مطبوعا عليه الاتصال بمجمع البحوث الإسلامية .

(٧٧) سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي) المؤلف : محمد بن إسحاق بن يسار [٨٥هـ - ١٥١هـ] المحقق : محمد حميد الله الناشر : معهد الدراسات والأبحاث للتعريف -

(٧٨) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى : ٧٦٩هـ) المحقق : محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر : دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة ، سعيد جودة السحار وشركاه الطبعة : العشرون ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م عدد الأجزاء : ٤ .

(٧٩) شرح ديوان العتاهية ، تقديم وترجمة وتحقيق أنطوان قوال ، نشر : دار الفكر العربي .

(٨٠) غاية النهاية في طبقات القراء المؤلف : شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى : ٨٣٣هـ) ، المكتبة الشاملة .
(٨١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري تحقيق : الشيخ زكريا عميران دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م الطبعة : الأولى عدد الأجزاء / ٦ .
(٨٢) غريب الحديث ، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي إبن عبيدالله بن حمادي بن أحمد بن جعفر الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ، ١٩٨٥ تحقيق : د.عبدالمعطي أمين قلعجي .
(٨٣) صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني الناشر : دار الصدّيق الطبعة : ط١: ١٤٢١هـ .
(٨٤) صحيح البخاري، نشر: دارالسلام الرياض، الطبعة الأولى، سنة(١٤١٧هـ).
(٨٥) صحيح مسلم، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢١هـ) .
(٨٦) صحيح وضعيف الجامع الصغير ، محمد ناصر الدين الألباني مصدر الكتاب : برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية .
(٨٧) الضعفاء الكبير ، لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي (المتوفى : ٣٢٢هـ) ، المكتبة الشاملة .
(٨٨) الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، تحيق : إحسان عباس ، نشر : دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٦٨ م ، عدد الأجزاء ٨ .
(٨٩) طبقات المفسرين، لأحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، نشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٧هـ).
(٩٠) طبقات المفسرين، لشمس الدين محمد بن علي الداوودي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ).
(٩١) طبقات المفسرين ، للسيوطي ، تحقيق : علي محمد عمر ، نشر : مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٦ هـ .

(٩٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبدالعزيز بن باز (١-٣)، ترتيب وترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، نشر: دارالريان للتراث، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة (١٤٠٧هـ).

(٩٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، نشر: دار الوفاء، بيروت، الطبعة الثالثة، سنة (١٤٢٦هـ).

(٩٤) الفتح السماوي تخريج أحاديث القاضي البيضاوي المؤلف : زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (المتوفى : ١٠٣١هـ) المحقق : أحمد مجتبى الناشر : دار العاصمة - الرياض عدد الأجزاء : ٣ أجزاء في ترقيم واحد مسلسل .

(٩٥) فضائل القرآن ،المؤلف: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي ،الناشر: دار الكتب العلمية سنة النشر: ١٩٩١، عدد الصفحات: ٢٨٠ .

(٩٦) فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة ، لأبي عبدالله محمد بن أيوب بن الضريس البجلي الناشر: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر - دمشق ، ١٤٠٨ هـ ، الطبعة الأولى .

(٩٧) في ظلال القرآن ، لسيد قطب إبراهيم ، دار النشر : دار الشروق - القاهرة عدد الأجزاء : ٦ .

(٩٨) القرآن وإعجازه العلمي ، لمحمد إسماعيل إبراهيم ، نشر : دار الفكر .

(٩٩) قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين بن علي الحربي، نشر: دار القلم، الرياض، الطبعة الأولى، سنة(١٤١٧هـ).

(١٠٠) كتاب العين ، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي الناشر : دار ومكتبة الهلال تحقيق : د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي .

(١٠١) كتاب الكليات لأبى البقاء الكفومى ، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ ١٩٩٨م .، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري .عدد الأجزاء ١ .

(١٠٢) كتاب الطبقات ، لأبي عمرو خليفة بن خياط دراسة وتحقيق: سهيل زكار ، الناشر: دار الفكر ، عدد المجلدات: [١] .

(١٠٣) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، لعلاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري (المتوفى : ٩٧٥هـ) المحقق : بكري حياني - صفوة السقا الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

(١٠٤) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٣هـ).

(١٠٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ويليه» الكافي الشافي«، لابن حجر، وبذيله:

١- كتاب الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، لابن المنير المالكي.

٢- حاشية الأستاذ محمد عليان المرزوقي .

٣- مساعد الإنصاف على شواهد الكشاف .

(١٠٦) الكافي والشافي في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر العسقلاني مطبوع في دار إحياء التراث العربي ببيروت ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .

(١٠٧) الكشف والبيان في تفسير القرآن لأحمد بن محمد الثعلبي تحقيق: السيد كسروي حسن، نشر الكتب العلميةبيروت الطبعة الأولى سنة(١٤٢٥هـ).

(١٠٨) كشف المعانى فى المتشابه من المثانى المؤلف : شيخ الإسلام / بدر الدين بن جماعة (المتوفى ٧٣٣ هـ) الناشر : دار الوفاء - المنصورة الطبعة الأولى عام النشر : ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م عدد الأجزاء : ١ تحقيق : الدكتور عبد الجواد خلف .

(١٠٩) الكامل في ضعفاء الرجال ، لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (المتوفى : ٣٦٥هـ) ، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض.

(١١٠) اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص عمر بن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وآخرين، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة(١٤١٩هـ).

(١١١) لباب التأويل في معاني التنزيل المؤلف : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن القرن : الثامن الناشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت سنة الطبع : ١٤١٥ هـ تحقيق : تصحيح محمد على شاهين عدد الأجزاء : ٤ .

(١١٢) لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، نشر: دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة، سنة(١٤١٤هـ).

(١١٣) مباحث في علوم القرآن ، لمناع خليل القطان ، لناشر : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة : الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م .

(١١٤) مراح لبيد لكشف معنى القرآن مجيد المؤلف : محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما ، التناري بلدا الناشر: دار الكتب العلمية مكان الطبع : بيروت سنة الطبع : ١٤١٧ هـ عدد الأجزاء : ٢ تحقيق : محمد أمين الصناوى .

(١١٥) مجمع الحكم والأمثال ، لأحمد قبش ، المكتبة الشاملة .

(١١٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، سنة (١٤٢٦هـ).

(١١٧) محاسن التأويل، لجمال الدين القاسمي، نشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٥هـ).

(١١٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبدالحق بن غالب ابن عطية، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة(١٤٢٢هـ).

(١١٩) مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي، تصحيح: أحمد شمس الدين، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة(١٤١٥هـ).

(١٢٠) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبدالله بن أحمد النسفي، نشر: دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، سنة(١٤٢١هـ).

(١٢١) المدخل إلى التفسير الموضوعي ، للدكتور : عبدالستار فتح الله سعيد ، نشر : دار التوزيع والنشر الإسلامية ، مصر .

(١٢٢) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، لشهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري ، المكتبة الشاملة .

(١٢٣) المستدرك على الصحيحين، لأبي عبدالله الحاكم النيسابوري، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت.

(١٢٤) مسند أبي داود الطيالسي المؤلف : سليمان بن داود بن الجارود المتوفى سنة ٢٠٤ هـ تحقيق : الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر الناشر : هجر للطباعة والنشر الطبعة : الأولى سنة الطبع : ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م عدد الأجزاء : ٤ .

(١٢٥) مسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار) المؤلف : أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار المتوفى : ٢٩٢ هـ المحقق : محفوظ الرحمن زين الله ، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩) وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧) وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨) الناشر : مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة الطبعة : الأولى ، (بدأت ١٩٨٨م ، وانتهت ٢٠٠٩م) عدد الأجزاء : ١٨

(١٢٦) مسند أحمد بن حنبل الكتاب : مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف : أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني الناشر : مؤسسة قرطبة - القاهرة عدد الأجزاء : ٦ .

(١٢٧) مشاهير علماء الأمصار ، ابى حاتم محمد بن حبان بن احمد التميمي البستى المتوفى سنة ٣٥٤ ه - ٩٦٥ م حققه ووثقه وعلق عليه : مرزوق على ابراهيم .

(١٢٨) مصنف عبدالرزاق ، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني الناشر : المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة الثانية ، ١٤٠٣ تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي عدد الأجزاء : ١١ .

(١٢٩) مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور ، للبقاعي ، تحقيق : د عبد السميع محمد أحمد ، نشرته دار المعارف بالرياض .

(١٣٠) معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة(١٤٢٠هـ).

(١٣١) معالم الحياة العصرية من خلال سورة النحل ، للدكتور محمد عبدالباقي فهمي ، نشر : دار السلام ، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م ، جمهورية مصر العربية .

(١٣٢) معاني القرآن ، لأبي جعفر النحاس ، تحقيق : محمد علي الصابوني ، مركز إحياء التراث الإسلامي بمكة المكرمة .

(١٣٣) معاني القرآن ، لأبي إسحاق إبراهيم السَّرِي بن سَهل ، الناشر : عالم الكتب الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م .

(١٣٤) معجم الزاوئد ومنبع الفوائد ، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، نشر : مكتبة المقدسي ، عام ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م .

(١٣٥) المعجم الكبير ، المؤلف : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني ، المكتبة الشاملة .

(١٣٦) معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، سنة(١٤٢٠هـ).

(١٣٧) معرفة الصحابة، لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، نشر: دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، سنة(١٤١٩هـ).

(١٣٨) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: بشار عواد، وشعيب الأرناؤوط، وصالح عباس، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، السنة(١٤٠٨هـ).

(١٣٩) موسوعة فضائل سور وآيات القرآن ، لمحمد بن رزق طرهوني ، نشر : دار ابن القيم ، رقم الطبعة ١ ، عدد المجلدات ٢ .

(١٤٠) المفردات في غريب القرآن، لحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، نشر: دار المعرفة.

(١٤١) الموقظة في علم مصطلح الحديث ، للذهبي ، تحقيق عمرو عبد المنعم سليم ، الناشر: دار أحد للنشر والتوزيع ، ١٤١٤ هـ ، ط ١ .

(١٤٢) النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن ، للدكتور / محمد عبدالله دراز ، نشر دار القلم، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٨ م .

(١٤٣) النحو الوافي ، لعباس حسن (المتوفى : ١٣٩٨هـ) الناشر : دار المعارف الطبعة : الطبعة الخامسة عشرة عدد الأجزاء : ٤ .

(١٤٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين البقاعي، نشر: دار الأندلس، بالتعاون مع دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى، سنة(١٣٩٦هـ).

(١٤٥) النكت على مقدمة ابن الصلاح ، در الدين أبي عبد الله محمد بن جمال الدين عبد الله بن بهادر الناشر : أضواء السلف - الرياض الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م تحقيق : د. زين العابدين بن محمد بلا فريج عدد الأجزاء : ٣ .

(١٤٦) النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، راجعه وعلق عليه: عبدالمقصود بن عبدالرحيم، نشر: مؤسسة الكتب الثقافية، ودار الكتب العلمية، بيروت.

(١٤٧) النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(١٤٨) النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري الشهير بابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناجي، توزيع: دار الباز بمكة المكرمة.

(١٤٩) نيل المرام من تفسير آيات الأحكام المؤلف : صديق حسن خان القنوجي البخاري تحقيق : محمد حسن إسماعيل - أحمد فريد المزيدي دار النشر : دار الكتب العلمية تاريخ النشر: ٢٠٠٣/٠١/٣٠ عدد الأجزاء : ١ .

(١٥٠) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار الثقافة، بيروت، سنة(١٩٦٨م) .

ثانيا : فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآية ورقمها	الصفحة
البقرة	﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ (٢٥٥) ﴾	٣٧
البقرة	﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٢٥٧) ﴾	١٨٢
آل عمران	﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ (٦٤) ﴾	٢٧٤

آل عمران	﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ ﴾	٢٧٤
آل عمران	﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦ ﴾	٢٧٤
آل عمران	﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧ ﴾	٢٧٤
عمران	﴿ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٨ ﴾	٢٧٤
آل عمران	﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ ﴾	٢٧٥
النساء	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ٩٧ ﴾	١٥٥
النساء	﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ وَبِصَدِّهِمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرٗا ١٦٠ ﴾	٢٦٧

المائدة	﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣) ﴾	٢٦٤
الأنعام	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١) ﴾	١٨٢
الأنعام	﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٨٢) ﴾	١٦٩
الأنعام	﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ	١٩٠

	شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾	
الأنعام	﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾	١٣٤
الأنعام	﴿ وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾	١٣٤
الأنعام	﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾	٢٦٦،١٢١
الأنعام	﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ	٢٨٢

	ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾	
الأعراف	﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾	٢٤٧
التوبة	﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾	٢٤٨
يونس	﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾	١٨٦
هود	﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ ﴾	١٣٠
الرعد	﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾	١٨٣

الرعد	﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾	١٠٦
إبراهيم	﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾	٦٢
الحجر	﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾	٦١
الحجر	﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾	١٢٨
النحل	﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ ﴾	٦١ ، ٨٢ ، ١٢٨، ٨٦
النحل	﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾	٦٧ ، ٧٨ ، ١٣٠، ١٢٨، ٨٦
النحل	﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ ﴾	٧٨ ، ١١٦ ، ١٣٢، ٨٦
النحل	﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ ﴾	٧٨، ١١٦، ١٣٢، ٨٦

النحل	﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ٥ ﴾	٣٨ ، ٦٨، ٨٦،١٣٢،١٣٣،٢٢٦
النحل	﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ٦ ﴾	٧٨، ١١٦، ١٣٢، ٨٦
النحل	﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ٧ ﴾	٨٦،١٣٢،١٣٦،١٣٥
النحل	﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٨ ﴾	٤٠، ١٣٦، ١٣٢، ٨٦
النحل	﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ٩ ﴾	٤٠ ، ٦٩، ١٣٢، ٨٦
النحل	﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ ﴾	٨٦،١٣٢،١٣٧
النحل	﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ١١ ﴾	٦٩، ١٣٨، ١٣٢، ٨٦

النحل	﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢ ﴾	٣٨، ١٣٩،١٣٢،٨٦
النحل	﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٣ ﴾	١٤٠،١٣٢،٨٦
النحل	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٤ ﴾	٦٩، ١٤١،١٣٢،٨٦
النحل	﴿ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَأَنۡهَٰرٗا وَسُبُلٗا لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥ ﴾	١٣٢،٨٦
النحل	﴿ وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦ ﴾	١٣٢،٨٦
النحل	﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧ ﴾	٧٠،١٤٥،١٤٤،٨٦
النحل	﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨ ﴾	٦٢، ١٤٦،١٤٥،٨٦
النحل	﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ١٩ ﴾	٤١، ١٤٦،١٤٥،٨٦

النحل	﴿ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾	١٤٥،٨٦
النحل	﴿ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾ ﴾	٤٠، ١٤٥،٨٦
النحل	﴿ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾	٤١، ١٤٧،١٤٥،٨٦ ،١٥٧
النحل	﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾	٤١، ٨٦، ١٤٥، ١٤٨، ١٥٧
النحل	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾	١٥٠، ٧٠، ٨٧، ١٦٩، ٢٣٣
النحل	﴿ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾	٨٧،١٥٠، ١٥١
النحل	﴿ قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾	٨٧،١٥٠
النحل	﴿ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُخۡزِيهِمۡ وَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ إِنَّ ٱلۡخِزۡيَ ٱلۡيَوۡمَ وَٱلسُّوٓءَ	٨٧،١٥٠، ١٥٣

	عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾	
النحل	﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾	١٥٠، ٨٧، ٦٢، ١٥٥، ١٦٠
النحل	﴿ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾	٨٧، ١٥٠
النحل	﴿ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾	٨٧، ١٥٠
النحل	﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾	١٥٠، ٨٧، ٤٠، ١٥٨
النحل	﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾	١٥٠، ٤٠، ١٦٠، ٨٧، ٦٢
النحل	﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾	١٤٥، ٨٧

النحل	﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾	٨٧، ١٤٥،، ٨٧
النحل	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ ﴾	٨٧، ٧٠، ١٦٩
النحل	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾	٨٧، ١٦٦
النحل	﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾	٨٧، ١٦٨
النحل	﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾	٨٧، ٨٣، ١٦٨
النحل	﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾	٨٧، ١٧٠
النحل	﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن	٨٧، ٤٠، ١٧١، ١٧٢

	فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾	
النحل	﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾	٤١ ، ٤٤ ، ١٧٢، ٨٧، ٤٩
النحل	﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾	١٧٢، ٨٧، ٤٩ ،١٧٣
النحل	﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾	٨٧ ، ١٧٥
النحل	﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾	٨٨ ، ١٧٥ ، ١٧٧
النحل	﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾	٨٨ ، ١٧٨
النحل	﴿ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾	٨٨، ١٧٨ ،١٧٩
النحل	﴿ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾	١٧٨، ٨٨ ، ١٧٩
النحل	﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ	٨٨ ، ١٨١ ، ١٨٧

	ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾	
النحل	﴿ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾	١٨١،٧٠،٨٨، ١٨٣، ، ١٨٦، ١٨٧
النحل	﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾	١٨١،٨٨، ١٨٤
النحل	﴿ ۞وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ ﴾	٨٨ ، ١٨٥
النحل	﴿ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾	١٨٥،٨٨، ١٨٧
النحل	﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾	١٨٥،٨٨
النحل	﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾	١٨٥،٨٨، ١٨٨
النحل	﴿ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾	١٨٥،٨٨، ١٨٩
النحل	﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾	١٨٥،٨٨، ١٩٠

النحل	﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ سُبۡحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ٥٧ ﴾	١٨٥،١٠٥،٨٨، ١٩١، ١٩٧
النحل	﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ٥٨ ﴾	١٨٥،٨٨، ١٩٢
النحل	﴿ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٥٩ ﴾	١٨٥،٨٨، ١٩٣
النحل	﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦٠ ﴾	١٨٥،٨٨، ١٩٥
النحل	﴿ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٦١ ﴾	١٨٥،٨٨، ١٩٦
النحل	﴿ وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكۡرَهُونَۚ وَتَصِفُ أَلۡسِنَتُهُمُ ٱلۡكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ ٦٢ ﴾	١٠٦،٨٨، ١٨٥،٤٠
النحل	﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦٣ ﴾	١٩٨،١٨٥،٨٨
النحل	﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ	١٨٥،٨٨، ١٩٩

	ٱلَّذِى ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحۡمَةً لِّقَوۡمٍ يُؤۡمِنُونَ ﴿٦٤﴾	
النحل	﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوۡمٍ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٥﴾	٨٨ ، ٤٤ ، ٢٠١
النحل	﴿ وَإِنَّ لَكُمۡ فِى ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةًۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾	٢٠١،٨٨، ٢٠٢
النحل	﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرًا وَرِزۡقًا حَسَنًاۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾	٢٠١،٨٨
النحل	﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴿٦٨﴾	٨٨ ، ٢٠١،٧٧،٢٩ ، ٢٠٦
النحل	﴿ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾	٢٠١،٧٧،٢٩،٨٨ ، ٢٠٧
النحل	﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَىۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٍ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾	٨٩ ، ٢١٠
النحل	﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ فِى ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا	٨٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢

	ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٧١﴾	
النحل	﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ٧٢ ﴾	٤٠،٢١٠،٢١٣، ٨٩
النحل	﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ رِزۡقٗا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٧٣ ﴾	٢١٤، ٨٩،٢١٠
النحل	﴿ فَلَا تَضۡرِبُواْ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡثَالَۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧٤ ﴾	٢١٥، ٨٩،٢١٠
النحل	﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ مِنَّا رِزۡقًا حَسَنٗا فَهُوَ يُنفِقُ مِنۡهُ سِرّٗا وَجَهۡرًاۖ هَلۡ يَسۡتَوُۥنَۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٧٥ ﴾	٢١٦، ٤٠،٨٤، ٨٩
النحل	﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ لَا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ أَيۡنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأۡتِ بِخَيۡرٍ هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ	٢١٨، ٢١٦، ٨٩،٨٤

	مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾	
النحل	﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ ﴾	٢٢٠، ٢١٦، ٨٤،٨٩
النحل	﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾	٢٢٢، ٢٢١، ٨٩
النحل	﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾	٨٩،٢٢١
النحل	﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ ﴾	٢٢٣، ٨٩،٢٢١
النحل	﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾	٢٢٥، ٧٢،٨٩،٢٢١

النحل	﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ ﴾	٢٢١،٨٩، ٢٢٦
النحل	﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾	٢٢١،٨٩، ٢٢٧
النحل	﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾	٨٩، ٢٢٩، ٢٣٤
النحل	﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾	٢٢٩،٨٩، ٢٣٠
النحل	﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾	٢٢٩،٨٩، ٢٣١
النحل	﴿ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾	٢٢٩،٨٩، ٢٣٢
النحل	﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾	٢٢٩،٨٩، ٢٣٣
النحل	﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى	٢٢٩،٩٠، ٢٣٤، ٢٤٦

	وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾	
النحل	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾	١١٣ ، ٣٦، ٣٧، ٤٧، ٧٣، ٢٣٦ ، ٢٣٩، ٢٤٦
النحل	﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾	١١٣ ، ٢٣٦
النحل	﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾	١١٣، ٢٣٦ ، ٢٤٠
النحل	﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾	١١٣، ٢٣٦ ، ٢٤٢
النحل	﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾	١١٣، ٢٣٦ ، ٢٤٢

النحل	﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾	١١٣، ٢٣٦، ٢٤٣
النحل	﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾	٤٠،١١٣، ٢٣٦، ٢٤٤
النحل	﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾	١١٣، ٢٣٦، ٢٤٥
النحل	﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾	١١٣، ٢٣٦، ٢٤٦
النحل	﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾	١١٣، ٢٣٦، ٢٤٧
النحل	﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾	١١٣، ٢٣٦، ٢٤٧
النحل	﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾	١١٣، ٢٣٦، ٢٤٨
النحل	﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى	١١٣، ٢٣٦، ٢٤٩

	وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾	
النحل	﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾	١١٣، ٢٣٦ ، ٢٥٠
النحل	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾	١١٣، ٢٣٦ ، ٢٥٢
النحل	﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾	١١٤ ، ٢٣٧، ٢٥٣
النحل	﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾	١١٤ ، ٤٥ ، ٢٣٧، ٥٢ ، ٢٥٧ ، ٢٥٤
النحل	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾	٢٣٧، ١١٤، ٢٥٥ ، ٢٥٧
النحل	﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾	٢٣٧، ١١٤، ٢٥٦

النحل	﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْخَسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾	٢٥٦، ١١٤،٢٣٧
النحل	﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾	١١٤ ، ٤٥ ، ٥٣،٢٣٧، ٢٥٧،
النحل	﴿ ۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾	٢٥٩، ١١٤،٢٣٧
النحل	﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾	٢٦٢ ، ٧٣، ١٢٠،٤٥
النحل	﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾	٢٦٢ ،١٢٠
النحل	﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾	٢٦٣، ٢٦٢ ،١٢٠
النحل	﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ	٢٦٤، ٢٦٢ ،١٢٠

	غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٥﴾ ﴾	
النحل	﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾	١٢٠ ، ٤٠، ٢٦٢ ، ٢٦٥
النحل	﴿ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١٧﴾ ﴾	٤٠،١٢٠، ٢٦٢ ، ٢٦٦
النحل	﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾	١٢٠، ٢٦٢ ، ٢٦٦
النحل	﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ ﴾	١٢٠، ٢٦٢ ، ٢٦٧
النحل	﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾	٧٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠
النحل	﴿ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٢١﴾ ﴾	٧٣، ٢٦٩ ، ٢٧٠
النحل	﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾	٧٣، ٢٦٩ ، ٢٧١
النحل	﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ	٧١، ٧٨، ٢٦٩ ، ٢٧٢

	حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ (١٢٣) ﴾	
النحل	﴿ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ (١٢٤) ﴾	
النحل	﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ (١٢٥) ﴾	٢٧٧
النحل	﴿ وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ (١٢٦) ﴾	٢٧٧
النحل	﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ (١٢٧) ﴾	٣٨،٥٥،٢٧٧
النحل	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ (١٢٨) ﴾	٣٨، ٥٥ ، ٢٧٨
الإسراء	﴿ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا (٤٠) ﴾	١٩٢
الكهف	﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا (٣٦) ﴾	١٩٨

طه	﴿ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ﴾	١٣٩
الأنبياء	﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ ﴾	١٢٩
الأنبياء	﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾	١٤٧
الحج	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾	٩٦
القصص	﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ ﴾	٩٤
القصص	﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾	٩٤
العنكبوت	﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾	١٨٦

	﴾	
لقمان	﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾	١٩٦ ، ٢٣١
فاطر	﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾	١٨٣
فاطر	﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ﴾	٢٢٣
يس	﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ ﴾	١٣٣
يس	﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾	٦٣
الصافات	﴿ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾	١٩٢
فصلت	﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ	٢٤٧

	﴿ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾	
الزخرف	﴿ وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾	١٩٢
محمد	﴿ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ وَلَهُمۡ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡۖ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴿١٥﴾ ﴾	٨٣
الانشقاق	﴿ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ ﴾	١٨
الزلزلة	﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ ﴾	٣٧
الزلزلة	﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾	٣٧

ثالثا: فهرس القراءات الشاذة

القراءة	الصفحة
(إنا أنزلنا السبت)	٢٧٤

رابعا : فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الصفحة
(أعطيت مكان التوراة السبع ...)	٣٣
(من قرأ سورة النحل ...)	٣٤
(يا علي من قرأ سورة النحل ...)	٣٥
(أعظم آية في القرآن ...)	٣٧
بينما رسول الله صل الله عليه وسلم بفناء ...	٤٦
(نصبر ولا نعاقب)	٥٦ ، ٦٦
أن رسول الله ـ ﷺ ـ وقف على حمزة ...	٥٧
(ابدأ بنفسك)	١٣٩
(ويحك أو هبلت)	١٥٨
(ليس ذلك إنما هو الشرك)	١٩٦

خامسا : فهرس الآثار

طرف الأثر	القائل	الصفحة
(ناسقوا بين الحج والعمرة)	عمر ابن الخطاب	٢١
(أن من قرأ هذه السورة)	جعفر	٣٤
(إن أجمع آية ...)	ابن مسعود	٣٦
(إن أجمع آية لخير ...)	ابن مسعود	٣٦
(أعدل آية ...)	ابن مسعود	٣٧
(أيكم يخبرني ...)	عمر ابن الخطاب	٣٧
(على الخبير سقطت ...)	ابن مسعود	٣٧
(أوصيكم أن تقضوا ...)	هرم	٣٨
(أوصيكم بآخر سورة النحل)	هرم	٣٨
(فإنها نزلت في المدينة ...)	ابن عباس	٤٤
(أنها مكية ...)	ابن عباس	٤٤
(هي مكية ...)	مقاتل	٤٤
(أن أربعين آية ...)	جابر بن زيد	٤٥
(فذلك حين استقر الإيمان ...)	عثمان بن مظعون	٤٧
(سورة النحل من القسم المكي)	ابن الضريس	٤٨
(هم قوم هاجروا ...)	ابن عباس	٤٩

(ما ذكر الله تعالى ...)	ابن عطية	٥٠
(في أبي جندل ...)	ابن هند	٥٠
(وهذا ضعيف ...)	ابن عطية	٥٠
(من مكة ...)	مقاتل	٥٣
(وهذه الآية مدنية ...)	ابن عطية	٥٣
(والذي نفسي بيده ...)	حفصة	٥٤
(إن الآية نزلت بالمدينة ...)	حفصة	٥٤
(فأدخل الطبري هذا ...)	ابن عطية	٥٥
(لما كان يوم أحد ...)	أبي بن كعب	٥٦ ، ٦٦
(لما نزلت هذه ...)	ابن جريج	١٢٩

سادسا : فهرس الأعلام

العلم	الصفحة
عمر بن الخطاب	٢١
أبو نصر إسماعيل الجوهري	٢٦
الراعي أبو جندل النميري	٢٧
زياد بن معاوية الذبياني	٢٧
إبراهيم الجعبري	٢٨
واثلة بن الأسقع	٣٣
جعفر بن محمد بن علي	٣٤
علي بن أبي طالب	٣٥
شتير بن شكل	٣٦
عبدالله بن مسعود	٣٦
عبدالله بن عمر بن الخطاب	٣٧
هرم بن حيان	٣٨
حمزة بن عبدالمطلب	٤٤
عبدالله بن العباس	٤٤
قتادة بن دعامة السدوسي	٤٤
مقاتل بن حيان	٤٥
جابر بن زيد	٤٥
الحسن بن أبي الحسن	٤٥
عكرمة بن عبدالله	٤٥

عطاء بن أبي رباح	٤٦
جابر بن عبدالله	٤٦
عثمان بن مظعون	٤٦
أبو عبدالله محمد بن أيوب بن الضريس	٤٨
محمد بن مسلم الزهري	٤٨
محمد بن جرير الطبري	٤٩
عطية بن سعد أبو الحسن الكوفي	٤٩
عبدالحق بن غالب بن عطية	٤٩
القشيري	٥٠
أبو جندل بن سهيل	٥٠
محمد بن إسماعيل البخاري	٥٠
حفصة بنت عمر بن الخطاب	٥٤
عثمان بن أبي العاص	٥٤
أبي بن كعب	٥٦
عبدالرحمن بن صخر الدوسي	٥٧
عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج	١٢٩
أنس بن مالك	١٥٨
حارثة بن سراقة بن الحارث	١٥٨
الربيع بن النضير	١٥٨
حسان بن ثابت	٢٠٤
العائذ بن محصن بن ثعلبة	٢٢٥

سابعا : فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة

المصطلح	الصفحة
التناسق لغة	٢١
التناسق اصطلاحا	٢٢
الموضوعي لغة واصطلاحا	٢٣
التناسق الموضوعي	٢٣
السورة لغة	٢٦
السورة اصطلاحا	٢٨
الطوال	٣٣
المئون	٣٣
المثاني	٣٣
المفصل	٣٣
الجذام	٣٤
البرص	٣٤
الكشر	٤٦
شخص	٤٧
ينغض رأسه	٤٧
المعضل	٥٠
ربا الشيء	٥٦
لنربين	٥٦
وقد مثل به	٥٧

المناسبة لغة واصطلاحا	٥٩
براعة الاستهلال	١٢٩
حسن التخلص	١٣٠
الالتفات	١٣٠
الاستئناف البياني	١٣٢
الاكتفاء	١٣٤
الزبدة	١٣٤
السمن	١٣٤
ويح	١٥٨
هبلت	١٥٨
الفصل	١٨٤
الاستثناء المفرغ	١٩٩
البحيرة	٢٦٥
السائبة	٢٦٥
الوصيلة	٢٦٥
الحام	٢٦٥

ثامنا : فهرس الأماكن والبلدان

المكان	الصفحة
جبل أحد	٥٦

تاسعا : فهرس الشواهد الشعرية

البيت	الصفحة
هن الحرائر لا ربات أحمرة # سود المحاجر لا يقرأن بالسور	٢٧
ألم تر أن الله أعطاك سورة # ترى كل ملك دونها يتذبذب	٢٧
كلتاهما حلب العصير فعاطني # بزجاجة أرخاهما للمفصل	٢٠٤
وما أدري إذا يممت وجها # أريد الخير أيهما يليني	٢٠٨
أألخير الذي أنا أبتغيه # أم الشر الذي هو يبتغيني	٢٢٦
وكل يدعي وصلا بسلمى# وسلمى لا تقر لهم بذاكا	٢٧٠

عاشرا : فهرس الموضوعات

الموضوع .... الصفحة

ملخص الرسالة باللغة العربية ٢

ملخص الرسالة بالغة الإنجليزية ٤

المقدمة ٦

أهداف البحث ٨

أهمية الموضوع ٨

أسباب اختيار الموضوع ٩

الدراسات السابقة ١٠

خطة البحث ١٣

تعريف التناسق ٢٠

التناسق لغة ٢١

التناسق اصطلاحا ٢٢

الموضوعي لغة واصطلاحا ٢٣

تعريف السورة لغة ٢٦

تعريف السورة اصطلاحا ٢٨

اسم السورة ٢٩

الأهمية من معرفة فضائل السور ٣١

ما ورد في فضل السورة ٣٣

ما ورد في فضل بعض آياتها ٣٦

المبحث الثالث / عدد آيات السورة ٣٩

المبحث الأول/ تاريخ نزول السورة ٤١

المطلب الأول / أقوال أهل العلم في السورة من حيث مكيتها ومدنيتها

.... ٤٤

الآيات التي قيل عنها أنها مدنية ٤٩

الفائدة من معرفة المناسبات ٥٩

مناسبة السورة لما قبلها ٦١

مناسبة السورة لما بعدها ٦٣

أسباب النزول الواردة في السورة ٦٦

مقاصد السورة وأهدافها ٦٧

مناسبة اسم السورة لموضوعاتها ٧٧

مناسبة فاتحة السورة لموضوعاتها ٨٢

المقدمة / التوحيد ودلائله ٨٦

المقصد الأول / بيان وتبيان لبعض ما في الكتاب الحكيم .. ١١٣

المقصد الثاني / كفران النعمة ١٢٠

الخاتمة / طريقة الدعوة إلى التوحيد ١٢٣

الموضوع الأول / توحيد الله ، ويشمل الآيات (١ ـ ٢) ١٢٨

الموضوع الثاني / أدلة توحيد الله ، ويشمل الآيات (٣ ـ ١٦) ١٣٢

الموضوع الثالث / مقارنة بين الإله الحق والآلهة المزعومة ، ويشمل

الآيات (١٧ ـ ٢٣) ١٤٥

الموضوع الرابع / المقارنة بين موقفي المشركين والموحدين من

الوحي ، وبيان جزاء كل فريق ، ويشمل الآيات (٢٤ ـ ٣٢) ١٥٠

الموضوع الخامس / تهديد المشركين لعلهم يعودوا إلى جادة الصواب

ويشمل الآيات (٣٣ ـ ٣٤) ١٦٠

الموضوع السادس / احتجاج الكفار بمشيئة الله ، وإنكارهم البعث

ويشمل الآيات (٣٥ ـ ٤٠) ١٦٤

الموضوع السابع / المهاجرون في سبيل الله ، وما ينتظرهم من

خير ، ويشمل الآيات (٤١ ـ ٤٢) ١٧٢

الموضوع الثامن / التأكيد على بشرية الرسل ، وبيان مهمتهم ،

ويشمل الآيات (٤٣ ـ ٤٤) ١٧٥

الموضوع التاسع / تهديد وإنذار للمشركين ، ويشمل الآيات

(٤٥ ـ ٤٧) ١٧٨

الموضوع العاشر / كمال قدرته وخضوع كل شيء له ، ويشمل

الآيات (٤٨ ـ ٥٠) ١٨١

الموضوع الحادي عشر / عقائد المشركين ، ويشمل الآيات(٥١

ـ ٦٤) ١٨٥

الموضوع الثاني عشر / من دلائل القدرة الإلهية والتوحيد

ومظاهر النعم على الناس ، ويشمل الآيات (٦٥ ـ ٦٩) ... ٢٠١

الموضوع الثالث عشر / أحوال الناس وأطوارهم الدالة على

خالقهم ، ويشمل الآيات (٧٠ ـ ٧٤) ٢١٠

الموضوع الرابع عشر / الاستدلال على وحدانية الله تعالى

بضرب الأمثال ، وعلمه للغيب ، ويشمل الآيات (٧٥ ـ ٧٧) ٢١٦

الموضوع الخامس عشر / عود على بدء بتعداد النعم ، ويشمل الآيات

(٧٨ ـ ٨٣) ٢٢١

الموضوع السادس عشر / مشاهد يوم القيامة ، ويشمل الآيات

(٨٤ ـ ٨٩) ٢٢٩

المقصد الأول/ بيان لما في القرآن ، ويشمل الآيات

(٩٠ ـ ١١١) ٢٣٦

المقصد الثاني / كفر النعمة وحلال السورة وحرامها ، ويشمل الآيات (١١٢ -١١٩) ٢٦٠

الخاتمة / طريقة التنزيل الحكيم في منهج الدعوة إلى الله ، ويشمل الآيات (١٢٠ -١٢٨) ٢٦٩

الخاتمة ٢٧٩

فهرس المصادر والمراجع ٢٨١

فهرس الآيات القرآنية ٢٩٧

فهرس القراءات الشاذة ٣٢٤

فهرس الأحاديث النبوية ٣٢٥

فهرس الآثار ٣٢٦

فهرس الأعلام ٣٢٨

فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة ٣٣٠

فهرس الأماكن والبلدان ٣٣٢

فهرس الشواهد الشعرية ٣٣٣

فهرس الموضوعات ٣٣٤